

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

16

سلسلة الفكر الإيراني المعاصر

المسيحيّة في إيران

تاريخها وواقعها الراهن

سركيس أبو زيد

المسيحيّة في إيران

تاريخها وواقعها الراهن

سركيس أبو زيد

المسيحيّة في إيران

تاريخها وواقعها الراهن



المؤلف: سركيس أبو زيد
الكتـاب: المسيحيّة في إيران: تاريخها وواقعها الراهن
المراجعة والتقويم: فريق مركز الحضارة
الإخراج: هوساك كومبيوتر برس
تصميم الغلاف: حسين موسى



الطبعة الأولى: بيروت، 2008
ISBN: 978 - 9953 - 538 - 09 - 9

Christianity In Iran: Its History And Present



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي
Center of civilization
for the development of Islamic thought
بناية الصبّاح ـ شارع السفارات ـ بئر حسن ـ بيروت
هاتف: 826233 (9611) ـ فاكس: 820387 (9611) ـ ص. ب: 55/ 25
Info @ hadaraweb.com
www. hadaraweb.com

المحتويات

المقدّمة

من هم المسيحيّون الإيرانيّون؟ وهل هم اليوم أقليّة مضطهدة أم في وحدة متجانسة مع سائر مكوّنات الشعب الإيراني؟ وكيف ومتى نشأت الكنيسة في إيران وكيف تطوّرت وتوسّعت؟

كما هو معروف، فإن المسيحية هي بنت الشرق، انطلقت من فلسطين وبشّر بها الرسل باتجاه الشرق والغرب من إيران في «الإمبراطورية الفارسية»، وانتشرت بعدها باتجاه الهند وآسيا عامةً، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل: لماذا انتشرت وعُرفت أكثر في الغرب وأصبحت الدين الرسمي فيه، ولم تنتشر بالقدر نفسه في الشرق الذي وُلدت فيه على الرغم من تباشير الرسُل في أصقاعه كافة؟.

للإجابة عن الأسئلة المطروحة مجتمعة، لا بدّ من القول أولاً إنّ المسيحية تراجعت في الشرق لعدّة أسباب ذاتية، ولتنامي وصعود التيارات الدينية الأخرى في هذه المنطقة، ولكن الإشكالية الأكثر إلحاحاً هي أن المصادر حول انتشارها في الشرق شبه نادرة ومتناقضة في أحيانٍ كثيرة.

وفي ما يخص تحديداً موضوعنا «المسيحية في إيران» فإن أكثر الكتابات هي باللّغة الفارسيّة، أما الكتابات باللّغة العربية فهي شبه نادرة، هذا بالإضافة الى وجود بعض الكتابات باللّغتين الفرنسية والإنكليزية حول هذا الموضوع ولكنها كُتبت من وجهة نظر معادية للشرق. وأغلبها بأقلام مستشرقين أجانب تناولوا المسألة من زاوية سلبية، فكانوا يتعاطون مع المسيحيين في الشرق على أنهم أقليّات، ويحرّضونهم على إقامة دولتهم الخاصة والتمايز عن إخوانهم في الوطن.

ونتيجة لهذا النقص في المصادر والمراجع، نجد أنه من الضروري إعادة كتابة التاريخ بطريقة تكاملية ومشتركة، تتناول الموضوع بنظرة غير عدائية بين العرب والإيرانيين، ذلك أنّه من الملحّ أن نقوم بحلّ المشاكل في المنطقة على قاعدة الحوار والإنصاف وليس على قاعدة العداء والغزوات، خاصة وأن المناطق الحدودية التي تفصل بلاد العرب عن بلاد فارس غير محدّدة بشكلٍ واضح وقاطع، وكثيراً ما كانت متداخلة وتخضع لسيطرة إمبراطوريات مرّت عبر التاريخ، لاسيما الفارسية والرومانية والعربية والعثمانية، وتحديداً منطقة الأهواز وبلاد ما بين النهرين التي كانت متشابكة بشكل كبير.

وفي سياقٍ متّصل، نشير إلى صعوبة أخرى واجهتنا في موضوعنا، ألا وهي كثرة المعلومات المتضاربة حول عدد المسيحيين وحالتهم ووضعهم الاجتماعي، فالبعض كان يبالغ في السلبيات، ككتابات قوى معادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية والتي تستغل بعض الحالات الفردية لتضخيمها، وتصوير المسيحيين في إيران على أنهم أقلية مضطهدة، ولكن في الوقت نفسه ظهرت مبالغات في سرد إيجابيات الوضع

المسيحي في إيران وتضخيم «مثالية» الواقع الذي يعيشون فيه. وبالتالي، لم نحصل على كلّ المعلومات الوافية والضرورية لبحثنا هذا، والتي تمكّننا من إلقاء نظرة موضوعية ودقيقة وشاملة على أحوال المسيحيين في إيران اليوم. ولكن، استناداً إلى المصادر الكثيرة التي جمعناها، استطعنا أن ننقل صورة أقرب إلى الواقع.

وتجدر الإشارة إلى أننا حاولنا في موضوعنا تبيان واقع المسيحيين على تنوّع جماعاتهم المذهبية، فهم لا يجسّدون كتلة تاريخية متماسكة على مرّ الزمن، بل هناك اختلافات لاهوتية وإتنية وطبقية وسياسية في ما بينهم، وعلى سبيل المثال هناك فئات مسيحية كانت مؤيِّدة لحكم الشاه محمد رضا بهلوي وأخرى معارضة له، كذلك نرى فئات مسيحية تشارك وتؤيّد نظام الجمهورية الإسلامية اليوم، بينما هناك فئات أخرى تعارضه وتعاديه. وهذه الحالة من الاختلاف والانقسام كوّنها المسيحيون عبر التاريخ في إيران والشرق عامة.

خلاصة القول إنّ هذا الكتاب يحاول إلقاء الضوء على السيرة التاريخية للمسيحية في إيران منذ نشأتها أيام الرُسل حتى قيام الجمهورية الإسلامية. كما يسلّط الضوء على الواقع الذي يعيشه المسيحيون اليوم في ظلّ الأنظمة الإسلامية، وخاصة في ظلّ وجود قانون الأحوال الشخصية الذي يعطيهم هامشاً من الحرية.

ويتفرّد كتابنا هذا بنشر ملحق مقرّرات الأحوال الشخصية للأرمن الغريغوريين والمترجم عن اللّغة الفارسية. كما أنّه يشكّل دعوة لمواجهة الصعوبات والتحديّات التي يتعرّض لها النظام الإسلامي من أجل بناء مواطنية إيرانية سليمة.

ولعلّ هذا الكتاب هو الأول في مجاله لناحية سرد قصة المسيحية في إيران لكن هذا لا ينفي ضرورة إعداد كتابات أخرى تعالج مسائل لم يتمكّن من التوسّع والتعمّق فيها.

سركيس أبو زيد
إهدن في 7/ 10/ 2008

الفصل الأول

المسيحيّون قبل ظهور الإسلام

الباب الأول

مقدّمة

أسّس المسيح كنيسته على الأرض منطلقاً من فلسطين، وأوصى تلامذته بنشر تعاليمه فراحوا يجوبون البلدان و«جميع الأمم حتى أقاصي الأرض»، يبشّرون بالإنجيل. ويدعون الناس إلى الانضواء تحت رايته.

ودخلت الديانة المسيحية إلى مدينة أنطاكية المعروفة باسم «مدينة الله» بواسطة الرسل الذين اتخذوا من هذه المدينة التجارية الكبرى قاعدة لانطلاقهم، نظراً لأهميتها ودورها في تبشير الغرب، وفيها أُطلق اسم «المسيحيين» أول مرة على أتباع يسوع الناصري. أما باتجاه الشرق، فلا توجد براهين تؤكّد دخول المسيحية إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس في القرن الأول الميلادي، في عهد الرسل والتلاميذ الأُول.

لكنّ التقاليد تروي أنّ[1] المجوس الذين انطلقوا من البلاد الفارسية وبلاد ما بين النهرين، إلى بيت لحم ليكرّموا المسيح في بلاده، أصبحوا

(1) الأب ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص 6.

رسلاً وبشّروا بهذا الحدث الفريد لدى عودتهم إلى أوطانهم، بعدما تزوّدوا ببعض قطع من قُمُط يسوع الطفل للتبرُّك.

ويذكر سفر أعمال الرسل بين الحاضرين في أورشليم يوم العنصرة «الفرثيين وسكان ما بين النهرين». والفرثيون كلمة فارسية تعني المنفصلين أو المنعزلين عن الناس، وقد يُشار إلى هذا المصطلح بالدولة الأرشاقية.

فهل أصبح هؤلاء النواة الأولى للمسيحيين في أوطانهم، ثم أقبل تلاميذ المسيح، فازدهرت الرسالة؟ سؤال يجيب عنه التقليد الجاري في الكنيسة السريانية والذي يذكر أنّ الرسل الذين توجّهوا شرقاً وبشّروا هذه المنطقة هم أربعة: توما الرسول، ثم أدي وتلميذاه أجاي وماري.

ومن المعروف أنّ توما الرسول أسّس كنائس وذهب إلى بلاد الهند وبشَّر فيها وقضى نحبه هناك. ويقول المؤرخ أوسابيوس القيصري: إنّ القديس توما الرسول بشّر في بلاد الفرثيين أيضاً لدى عبوره فيها في طريقه إلى الهند[1]. وتشير الأساطير والتقاليد إلى أنّ أدي وأجاي وماري عُرفوا باسم «رسل المشرق»؛ لأنّهم بشّروا بلاد فارس وآثور[2] وأرمينيه ونواحي بابل وحتى حدود الهند.

ويعتبر التقليد الشرقي بشكلٍ عام أجاي رسول الرّها أكثر منه رسول المنطقة الفارسية. بينما نصّر مار ماري «الناس ببابل والأهواز وسائر كور دجلة وفارس...»[3].

---

(1) أوسابيوس القيصري، «التاريخ الكنسي»، طبعة بيجان، باريس، 1897، ص 151.

(2) المقصود ببلاد آثور هي المنطقة التي سكن فيها الآشوريون، إلا أنه في العراق تستعمل لفظة آثور أكثر من آشور.

(3) ماري بن سليمان، «المجدل»، ص5.

تطوّر المسيحية من العام 30م حتى العام 632م

يمتدّ العصر القديم من بدء الكنيسة إلى انتشار الإسلام (30 ـ 632)، وهو يشتمل على حقبتين يفصل بينهما مرسوم ميلانو في العام 313 الذي اعترف بشرعيّة الكنيسة.

أولاً ـ من العام 30م إلى 313م

في هذه الفترة توطّدت وتأصّلت الكنيسة في حوض البحر المتوسط الذي وحّدته الدولة الرومانية، وحدّدت موقفها من اليهودية والوثنية، وتبلورت أهم معالمها كعقيدة ومؤسّسة.

انتشار الكنيسة:

كانت الإمبراطورية الرومانية التي حقّقت الوحدة والاستقرار في حوض البحر المتوسط، الإطارَ الذي نشأت فيه الكنيسة. وأوّل ما نشأت الكنيسة في القدس على يد الرسل الذين شهدوا لقيامة المسيح، فكانوا يَدْعُون للمعمودية باسم يسوع. ثم توسّعت في أنحاء فلسطين وسورية إثر تشتّت الرسل عقب الاضطهاد الذي مارسه عليهم رؤساء اليهود، وكان ضحيّته الأولى الشهيد استيفانوس رئيس الشمامسة. وكانت البشارة تتوجّه أولاً إلى اليهود ثم انفتحت على الوثنيين (القدّيس بولس، رسول الأمم، اهتدى إلى الدين المسيحي في دمشق بعدما كان قائداً وثنياً يضطهد المسيحيين)، وأصبحت أنطاكية المركز الثاني بعد القدس لانتشار المسيحية، وانطلق منها القدّيس بولس في رحلاته الثلاث إلى آسية الصغرى (أفسس) واليونان (قورنتس).

ومن المراكز المسيحية الهامّة الأخرى في القرون الثلاثة الأولى،

مدينة الرَّها شمال شرق سورية، والإسكندرية (مصر)، وقرطاجة شمال إفريقيا، وليون في فرنسا. وانتشر المسيحيون في سائر أنحاء العالم الروماني، وأصبحوا في القرن الثالث يشكّلون نصف السكّان في المناطق الشرقية، في حين ظلّوا في الغرب أقليّة محصورة في المدن الكبرى. وقد تمّ انتشار المسيحية في ظلّ اضطهاد الدولة لهذه الديانة الجديدة.

الكنيسة واليهودية:

نشأت الكنيسة أولاً في بيئة يهودية في مدينة القدس، ولم يكن المسيحيون الأوّلون يتميّزون خارجياً عن سائر اليهود. فيسوع القائم من الأموات هو المسيح المنتظر الذي حقّق كلّ ما يتوق إليه شعب العهد القديم، فكانوا يواظبون على الصلاة في الهيكل، ويعملون بشريعة موسى. وهم تميّزوا عن سائر اليهود:

- بإيمانهم بيسوع القائم من بين الأموات.
- بالمعمودية باسمه.
- وباجتماعاتهم الخاصة لكسر الخبز (الأفخارستيا).

وتبيّن هذا الفارق الأول عندما عارض زعماء اليهود الرسل واضطهدوهم لمناداتهم باسم يسوع، وعندما انضمّ أناس من أصل وثنيّ إلى جماعة المؤمنين تقرّر رسمياً إعفاؤهم من الشريعة الموسوية في مجمع القدس (50). وطوال تلك الفترة ظلّ المسيحيون من أصل يهودي يمارسون الشريعة اليهودية ثم تخلّوا عنها رغم معارضة أنصار الختان. وهم لم يشتركوا في ثورة اليهود ضد الرومان. ثم انقطعت العلاقات بينهم وبين اليهود بعد هدم هيكل أورشليم، لكنّ الكنيسة بقيت متمسّكة بأسفار العهد القديم التي تسلّمتها من اليهود، وحرّمت بالتالي آراء البعض

مثل مرقيون (أواسط القرن الثاني) الذي رفض كتب العهد القديم، معتبراً أنَّ إله العهد القديم شرّير وهو غير إله العهد الجديد.

الكنيسة والوثنية:

كان المسيحيون موالين للدولة، ويشاركون في الحياة العامة وفي خدمة الجيش والبلاط، ويصلّون من أجل الحكام، لكنهم في الوقت نفسه كانوا يمتنعون عن التظاهرات المتّسمة بالإباحية، ويرفضون المشاركة في مراسم العبادة الوثنية وعبادة الامبراطور؛ لذلك مارست عليهم الدولة اضطهاداً واسعاً ابتدأ مع نيرون في العام 64. ولم يتخذ الاضطهاد في كل الحقبات المنحى نفسه، فقد قرر بعضهم (تراجان مطلع القرن الثاني) أن لا يلاحق المسيحيين، بل أن يعاقبهم فقط إذا وُشي بهم، ويسامحهم إن تراجعوا عن دينهم. بينما قام البعض الآخر بملاحقة المنتسبين إلى الدين الجديد ورجال الدين فقط (سبتيموس ساويروس مطلع القرن الثالث).

ونَعِم المسيحيون بفترات من السلم؛ إذ تغاضى عنهم بعض الأباطرة. ويعتبر اضطهاد داسيوس (251) وديوكليانيوس (303)، من أشرس الاضطهادات الشاملة بحق المسيحيين. فقد ذهب ضحيّته مئات الألوف من المسيحيين بعضهم أُرّخت أسماؤهم في السجلاّت، كما وصفت حوادث القتل نقلاً عن شهود عيان (الرسولان بطرس وبولس، القدّيس إغناطيوس الأنطاكي، بوليكربوس أسقف أزمير، شهداء ليون (177)، شهداء سيليوم شمال افريقيا (180).

وللدفاع عن نفسها ضدّ المفكّرين الوثنيين، ولتوضيح معتقدها، استعانت الكنيسة بالفلسفة اليونانية وبحثها عن الله.

حياة الكنيسة ومفاهيمها :

انتهى وحي العهد الجديد مع موت آخر الرسل يوحنا، ولكن مذكّراتهم ورسائلهم دُوِّنت في مجموعة تبلورت في القرن الثاني، وشُكّلت لائحة العهد الجديد (قانون موراتوري). وقد تولّى الأساقفة تعليم الإنجيل والتقليد الكَنَسي؛ بحيث كانت مهمتهم الأولى الحفاظ على صحة التعليم الموروث من الرسل.

وفي المقابل، حاول البعض إدخال آرائه الخاصّة على المسيحية، فمنهم من فرّغ السرّ المسيحي ليساير مفهوم العقل البشري (المغالطات الثالوثية)، ومنهم من مزج بين المسيحية واليهودية (الأبيونيون)، أو بين المسيحية والوثنية والفلسفة الأفلاطونية (أهل العرفان)، أو بين المسيحية والزرداشتية ديانة الفرس (المانويون)، ونادى البعض الآخر بحلول الروح القدس فيهم بشكل خاص، وبانتهاء العالم والعدول عن أمور الجسد (المونتانيون). بيد أنّ هؤلاء نُبذوا من جسم الكنيسة الجامعة وسُمّوا «هراطقة». وكان القدّيس إيريناوس أسقف ليون (+ 203) أشهر من قاومهم في كتابه «ضد البدع» مظهراً أن التعليم الصحيح موجود في الكنائس التي ترتبط سلسلة أساقفتها بالرسل، وأهمّ كنيسة بينها هي كنيسة روما.

كما قام خلفاء الرسل المباشرون بكتابة رسائل ومؤلّفات تنحو منحى كتابات الرسل، فسُمُّوا بالآباء الرسوليين (القدّيس أكليمنضس أسقف روما، القديس إغناطيوس الأنطاكي)، وقام بعدهم من دافع عن المسيحية ضد اليهودية والحكّام المضطهِدين (أشهرهم القدّيس يُوستينُس 165).

ولمّا دخلت طبقةٌ من المفكّرين المسيحيّة بدأ ما سُمّي باللّاهوت العلمي الذي يوضح أسرار هذه الديانة بشكل علمي ومعمّق. وأشهر هؤلاء ترتليانوس في الغرب (قرطاجة)، واكليمنضُس الإسكندري وأريجانوس في الشرق (القرن الثالث). بالإضافة إلى هذا، تكوّن علم خاصّ يتحرّى دراسة التراث الأدبي المسيحيّ القديم (علم الآباء)، ولكنّ العديد من المؤلّفات فُقدت بسبب اضطهاد ديوكلسيانوس الذي عمد إلى إحراق المكتبات وطالب بتسليم الكتب المقدّسة. ويعود الفضل الأكبر في كل ما دوُّن عن القرون الثلاثة الأولى إلى المؤرّخ أوسابيوس القيصري الذي عاش في مطلع القرن الرابع.

وكان الاختلاف حول طبيعة المسيح واحدة من أكثر الإشكاليات التي واجهتها الكنيسة في مراحلها الأولى. فالبعض كان يؤمن بأنه كان يملك طبيعتين مندمجتين، واحدة إلهية وأخرى بشرية. والمؤمنون بهذه الفكرة «monophysite» أصبحوا يعرفون باليعقوبيين تيمُّناً بالأسقف يعقوب البرادعي الذي كان واحداً من أواخر المناصرين لها. فيما كان آخرون يؤمنون بأن هاتين الطبيعتين ظلّتا منفصلتين، وأنّهما شخصان مختلفان، واحد بشري وآخر إلهي، كانا يسكنان جسد السيّد المسيح. وقد ارتبط هذا الرأي الذي يُدعى «diophysite» بأسقف القسطنطينية، نسطوريوس من أنتيوتش، فأطلق على تابعيه اسم النساطرة. وقد أُقرّت عقيدة الطبيعة الواحدة للسيد المسيح «monophysite» في مجمع مدينة أَفَسُس في العام 431، لكنّ مجمع كالسيدون (خلقيدونية) الذي انعقد في العام 451 رفض كلتا العقيدتين لمصلحة اعتقاد توفيقي: شخص واحد وطبيعتان، وأصبح هذا الاعتقاد هو المعتقد الأُورثوذوكسي للكنيسة البيزنطية.

ووجد المؤمنون بالطبيعة الواحدة والطبيعتين المنفصلتين للمسيح، بعد إنزالهم إلى مرتبة المهرطقين في العالم الروماني، حرية أكبر لهم في إيران. وانفصلت الكنيسة الإيرانية بشكل نهائي عن مدينة بيزنطية بعد مجمع أَفَسُس، وهي مؤسّسة مقرّها الجديد في العاصمة الساسانية كتيسيفون «Ctesiphon» في بابل أُوليت زعامتها إلى بطريرك مستقلّ، أطلقوا عليه اسم كاثوليكوس. وكانت هذه القطيعة تمثّل رفضاً للسلطة الدينية البيزنطية، ورفضاً لسلطتها السياسية على المسيحيين الإيرانيين. وقد انعقد مجلس كَنَسي في العام 486 رفض الزهد والرهبنة اللذين كانا مظهرين أساسيين بالنسبة إلى المسيحية البيزنطية، وحرّم عادة الامتناع عن الزواج، وجعل من مبدأ الـ «diophysitism» (اي الايمان بوجود طبيعتين منفصلتين للسيد المسيح) العقيدة الرسمية للكنيسة الإيرانية. غير أنّ النزعات الزهدية واللاّهوتية للمؤمنين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح، بالرغم من تهميشها، لم تختف كلّياً من إيران. فأصبحت أرمينيا ـ التي بقيت لفترة طويلة تحت الحكم الساساني ـ مسيحية بشكل رسمي في بداية القرن الرابع، تقريباً في الوقت الذي اعترفت فيه الإمبراطورية الرومانية بالدين المسيحي. وبعد الفتح العربي في منتصف القرن السابع، نُفيت مجموعات من اليعقوبيين من أديسا إلى هيرات ومناطق أخرى من شرقي إيران، وتكاثرت أعدادهم إلى درجة تأسيس أبرشيّتين هناك.

ثانياً ـ من 313م إلى 632م

في هذه الحقبة نالت الكنيسة الحريّة، واعترف بها رسمياً الإمبراطور قسطنطين (مرسوم ميلانو 313)، فاندحرت الوثنية أمامها، وأصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية، فكان هذا العصر الذهبي للآباء القدّيسين.

بعدها تنظّمت الكنيسة وتشكّلت رسمياً البطريركيّات والليتورجيّات الكبرى، وأخذ المجتمع المدني وجهاً مسيحياً، فبنى قسطنطين عاصمة جديدة في العام 330 دعيت باسمه القسطنطينية بهدف الابتعاد عن جوّ روما الوثني. وفشلت محاولة الإمبراطور جوليانوس (361 ـ 363) لإعادة النفوذ الوثني فتراجعت الوثنية جرّاء ذلك شيئاً فشيئاً أمام المسيحية. وكان غراسيان وثاوذوسيوس قد فصلا الدولة عن الديانة الوثنية، ومنع ثاوذوسيوس العبادات الوثنية في أنحاء المملكة، فكان آخر من جمع في يديه حكم المملكة الرومانية بكاملها، وبعد وفاته في العام 395 قسّمت المملكة بين ابنيه، فكان مركز القسم الأول من المملكة في روما، والقسم الآخر في القسطنطينية. لكن القسم الثاني من هذه الحقبة أظهر تصدّعاً في الوحدة القائمة في العالم الروماني القديم، فقد استولى الجرمانيون الغزاة على القسم الغربي في العام 476، ولكنّ الدولة الرومانية بقيت في الشرق والتي عرفت بالبيزنطية، درعاً للمسيحية حتى سقوطها في العام 1453 في يد العثمانيين.

المجمع الأول:

عُقِد المجمع المسكوني الأول في مدينة نيقية في العام 325 بدعوة من الملك قسطنطين، لحلّ الأزمة التي أنشأتها تعاليم آريوس الذي أنكر ألوهية الكلمة ومساواته للآب. وقد أقرّ آباء المجمع أن الكلمة من نفس جوهر الآب[1]، فأُخذت عدة تدابير إدارية منها تحديد تاريخ عيد

---

(1) فقد جاء في قانون الإيمان الذي أصدره آباء المجمع «318 أسقفاً» الذين أقرّوا في إحدى فقراته «مساوٍ للآب في الجوهر»، أي أن الكلمة الابن مساوٍ لله الآب بالجوهر أي بكامل الصفات الإلهية.

الفصح، والإقرار بالميزات التي تنعم بها المدن الكبرى الثلاث: روما والإسكندرية وأنطاكيه. وبعد مناقشات طويلة ودراسات لاهوتيّة ساهم فيها الآباء الكبادوكيون، تمّ الإجماع حول مفهوم سرّ الثالوث الأقدس بوحدة الطبيعة وتثليث الأقانيم، وأقرّ ذلك في المجمع القسطنطيني الأول في العام 381، وفيه ثبت قانون الإيمان المعروف بقانون نيقية القسطنطينية.

علاقة كرسي فارس بأنطاكيا وساليق

تطرّق مجمع نيقية إلى تحديد رئاسة روما والإسكندرية، وتعيين الأبرشيات الخاضعة لهما، وذكر أيضاً في القانون السادس «الحقوق القديمة» التي تتمتّع بها أنطاكية مع «سائر الأبرشيات»، من دون توضيح هُوّية هذه الأبرشيات. ولم يمارس ديمتريانس، أسقف أنطاكية، الذي جاء أسيراً إلى كونديشابور سنة 257 سلطته، حتى على رعاياه في المنفى، إلا بعد موافقة السلطة الدينية المحلّية على ذلك. أمّا إثناسيوس الجمّال، بطريرك أنطاكية السرياني (595 ـ 631)، فأتى إلى المدائن في السنين الأولى من بطريركيته لتقديس الكنائس الثلاث التي أقامها كسرى الثاني أبرويز إرضاءً لزوجته مريم ابنة الملك موريقي الروماني، ولكنه لم يأت بصفة رئيس على الكنيسة الشرقية، ولم يحظ باستقبال الرؤساء.

إلا أنّه كان هناك نوع من الارتباط بين كنيسة أنطاكيا وكنيسة المشرق، لا سيّما في القرون الثلاثة الأولى. وكان هذا الارتباط يتوقّف على أن يُثبّت أسقف (بطريرك) أنطاكية ويؤيّد جاثليق البلاد الفارسية **(والجاثليق بالمفهوم الكَنَسي تعني مطراناً عاماً ولكن له صلاحيات البطريرك)**. وهذا أمر يبدو جليّاً في قصة «أحادابويه» الذي توجّه إلى

أنطاكية بصحبة «يهبيشوع»؛ لكي يتمّ تعيين أحدهما هناك. ولكنهما اعتُبرا جاسوسين في أنطاكية، ولقي يهبيشوع جرّاء ذلك حتفه مصلوباً على باب كنيسة الرسل، وهرب أحادابويه إلى القدس حيث تقبّل الرسامة. أمّا إبراهيم الكشكري (159 ـ 171)، فكان يعيش في أنطاكية، وهناك تمّ اختياره وجرت رسامته، ثم أرسل إلى المشرق. ولكن سرعان ما ضعفت هذه الروابط ثمّ زالت، وذلك لصعوبة المواصلات والأخطار الكثيرة الناجمة عنها، بالنظر إلى العداء بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ لقب «البطريرك ـ وهي لفظة يونانية تعني الأب العام ـ لم يظهر إلا بعد المجمع الخلقيدوني (سنة 451)، وقد أُعطي في بادىء الأمر للكراسي الرئيسية: روما ـ القسطنطينية ـ الإسكندرية ـ أورشليم ـ أنطاكية. وقد تبنّته أيضاً كنيسة المشرق في فترة ما بين هذا التاريخ ومنتصف القرن السادس؛ لذا لا يجوز استعماله مطلقاً قبل هذا التاريخ دلالة على عدم قِدَم هذه النصوص، أو على تحريف طرأ عليها على أيدي كتبة متأخّرين. وتجدر الإشارة إلى أنّ رؤساء كنيسة المشرق، وإيران من ضمنها، احتفظوا في ما بعد بلقبهم الأول مع اللقب الجديد: الجاثليق البطريرك: «قاثوليقا بطريركس».

الباب الثاني

المسيحيّون في الإمبراطورية الفارسية من القرن الأول حتى القرن الثالث

لم يتعرّض المسيحيون القاطنون في الإمبراطورية الفارسية للاضطهاد العنيف طالما كانت الأمبراطورية الرومانية تؤمن بالوثنية. ولكن بعد صدور مرسوم ميلانو سنة 313، الذي أعلن فيه الملك قسطنطين الكبير شرعية الديانة المسيحية في أمبراطوريته، ثم انتماءه إليها، تغيّر موقف الفرس من رعاياهم المسيحيين، وأخذوا يضمرون لهم الشرّ. وإذ لم يكن للفرس آنذاك سوى ملك صغير السنّ لا يستطيع مجابهة خصومه الرومان، فقد ظلّت العلاقات طيّبة أو فاترة بين الإمبراطوريتين، واستمر المسيحيون ينعمون براحة نسبية.

وقد عاشت الكنيسة الشرقية قرنها الأول والثاني في المنطقة الفارسية تحت ظلّ تسعة ملوك فرثيين من السلالة الأرشاقية. وحينها انتشرت المسيحية في شتّى أنحاء بلاد ما بين النهرين وبابل. ولا توجد معلومات أكيدة عن علاقة هؤلاء الملوك بالديانة المسيحية.

وكان للدين المسيحي أتباع منذ القرن الأول الميلادي في بلاد ما بين النهرين وغرب إيران، وقد انتشرت المسيحية في إيران في عصر

الأخمنيين (250ق.م./ 226 م) وزاد عدد أتباعها في العصر الساساني (224/ 652م) نتيجة الحروب التي دارت بين الفرس والرومان، ونتيجة عمليات الأسر الجماعي وتمركز الأسرى المسيحيين في مناطق معيّنة. ويُعدّ انتشار المسيحية في أرمينيا من أهم أسباب انتشارها في إيران. وعندما طرد النسطوريون من روما في القرن الخامس الميلادي استوطنوا في بلاد ما بين النهرين وإيران، وأنشأوا مدارس خاصة بالمسيحيين في عهد كسرى أنوشروان (531/ 579م)، واشتهرت هذه المدارس بتدريس العلوم الطبية، وحظي الأطباء المسيحيون بصلاحيات واسعة للعمل والتنقّل في المملكة الفارسية.

الدين في زمن الإخمينيين

اكتسب الفرس عادة بناء المعابد المقدّسة في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً، بتأثير من جيرانهم البابليين والشعوب الأخرى في الشرق الأدنى. وخضعت معظم الأراضي الإيرانية في العام 332 قبل الميلاد وطوال القرنين التاليين، من سهل بلاد الرافدين إلى حدود الهند الشمالية الغربية، لسيطرة الإغريق ونفوذ الثقافة الهيلّينية حيث تمّ الربط بين الآلهة الإغريقيّة والآلهة الإيرانية.

وفي 28 نيسان من العام 226، أطاح أردشير بالحكم الأرشاقي، وأسّس السلالة الساسانية التي حكمت البلاد أكثر من أربعة قرون . ولمّا كانت المسيحية قد انتشرت في البلاد، وتغلغلت في مختلف ميادين الحياة، اضطّر الساسانيون إلى اتخاذ موقف من الديانة الجديدة التي تهدّد معتقداتهم الوثنية وما فيها من خرافات، فكان بعض ملوكهم متسامحاً تجاه المسيحيين، وبعضهم الآخر اضطهدهم تحت تأثير رجال الدين المزديين.

دين الدولة الساسانية في إيران

ترجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتي ساسان الذي كان جدّ أول ملوك الساسانيين أردشير الأول، واستعمل اسم الإمبراطورية الساسانية للسلالةِ الإيرانيةِ الرابعةِ، والإمبراطورية الفارسية الثانية (226 ـ 651).

تأسّست السلالة الساسانية على يد الملك أردشير الأول بعد هَزيمة ملكِ الأخمينيين الأخير أرتبانوس الرابع، وانتهتْ عندما حاول ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجرد الثالث (632 ـ 651) مكافحة الخلافة الإسلامية المبكرة.

وضمّت أرض الإمبراطوريةَ الساسانية كل إيران، العراق، أرمينيا، أفغانستان، الأجزاء الشرقية من تركيا، وأجزاء من سوريا، باكستان، أرض القوقاز، آسيا الوسطى، والجزيرة العربية. وأثناء حكم الملك كسرى الثاني (590 ـ 628) كانت مصر، الأردن، فلسطين، ولبنان أيضاً ملحقة بالإمبراطوريةِ التي سمّاها الساسانيون (إيران شهر) أي سيادة الإيرانيين الآريين.

وفي هذه الفترة، تمثّل الخطر الجديد الذي هدّد الكهنة المازديين بشخص (النبي) البارثي، ماني، مؤسّس المانوية، الذي حثّ المازديين على تبنّي هذه السياسة الجديدة .وقد ولد في طائفة مسيحية هجينة عميقة التأثّر باليهودية والغنوصية، وأسّس دينه الخاصّ، وتمكّن في نهاية المطاف من جذب اهتمام بعض أفراد العائلة الملكية الساسانية إلى تعاليمه.

أدخل هذا النفوذ الكبير لماني الرعب في قلوب الكهنة المازديين،

مما دفع بالكاهن الرئيسي (موباد) في البلاط الملكي، كردير إلى إقناع الإمبراطور بالقبض عليه وزجّه في السجن، حيث لقي حتفه بعد مدة قصيرة من الزمن. غير أنّ ماني لم يكن التهديد الوحيد للمازديين، فالمسيحية كانت قد اكتسبت الكثير من المناصرين في الأراضي الإيرانية بعد هجرة بعض المسيحيين من الأراضي الرومانية هرباً من الاضطهاد. وقد حمل كردير بشدة على الدين المسيحي والأديان الأجنبية الأخرى التي تمارس طقوسها على الأراضي الإيرانية، مثل اليهودية والماندية، والبوذية. في نهاية الأمر، تمكّن الكهنة المازديون، بقيادة كردير، من جعل دينهم الدين الرسمي للدولة الساسانية. وكانت هذه هي البداية الرسمية للمعتقدات والشعائر الزرادشتية المكتوبة. وبعدها ترسّخ كذلك الاعتماد المتبادل على السياسيين والكهنة.

وبالوصول إلى عهد شابور الأول (241 ـ 272)، نرى أنه كان متسامحاً مع المسيحيين في البداية ويعطف عليهم نظراً إلى التعسّف والاضطهادات التي كانوا يتعرّضون لها من قبل الفئة الزرادشتية التي تصاعد نفوذها. لكنه في المقابل لم يتردّد في قتل إحدى زوجاته المسمّاة «أسطاسا» لاهتدائها إلى المسيحية، كما نفى أخته «شيرازان» التي اعتنقت المسيحية إلى منطقة «مرو» حيث أسّست كنيسة بمؤازرة الراهب «برشبا» الذي أصبح مطراناً لهذه المقاطعة.

في عهد شابور الأول انتشرت المسيحية في المنطقة الفارسية بواسطة السبايا الرومان او اليونان، وكان معظمهم من المسيحيين. فقد غزا شابور المناطق الرومانية ثلاث مرات، وكان بين السبايا ديمتريانس مطران أنطاكية الذي نفي إلى الأهواز العام 257، وبفضل هؤلاء السبايا ازداد

عدد المسيحيين في المملكة الفارسية، وكثُرت فيها الأديرة والكنائس[1]، واعتلى بعضهم مناصب مرموقة في البلاط الفارسي. وفي تلك الفترة شيّدت كنيستان في «إيران ـ شهر» وهي روارداشير التي أصبحت بعدئذٍ مركزاً لمطرابوليط فارس، وهي كنيسة للبيزنطيين ولغتها اليونانية، وكنيسة أخرى لسكّان كرمان؛ أي الفرس ولغتها السريانية.

هرمزد الأول (272 ـ 273)، لم يلق المسيحيون خلال حكمه القصير تعسّفاً، لكنّ المجوسي «كرتير» الذي كان يضمر لهم حقداً وعداءً أصبح رئيس الشعبة الدينية لدى المجوس، وأخذ نفوذه في التصاعد والازدياد.

وفي عهد بهرام الأول (273 ـ 276) شنّ «كرتير» اضطهاداً سافراً على المانويين[2] الذين رأى فيهم خطراً يهدد الديانة الزرادشتية، وخطوة تمهيدية للإيقاع بالمسيحيين.

بهرام الثاني (276 ـ 293) أشرف على تربيته أساتذة مسيحيون علّموه العقيدة واللغة السريانية. وقد كان في مستهلّ عهده متفهِّماً للمسيحيين، وكانت له زوجة مسيحية هي «قنديرة الرومانية»، إلا أنّه بعد عشر سنين أمضاها في الحكم، انقلب على المسيحيين تحت تأثير«كرتير» الذي حصل منه على مرسوم يقضي بملاحقة كل الذين يدينون بمذاهب غير الزرادشتية، ما أدّى إلى اضطهاد زوجة الملك المسيحية وهدم عدد من الكنائس.

فرسي (293 ـ 303) أعاد الأوضاع إلى حالتها الطبيعية، وسمح

---

(1) التاريخ السعردي 61، ص11 ـ 12.

(2) جماعة ماني الذين يؤمنون بوجود إلهين، اله الخير واله الشر، وهما في صراع دائم وفي النهاية ينتصر اله الخير أهورامزدا على اله الشر أهريمن.

للمسيحيين بتشييد كنائسهم المهدومة، وتراجع نفوذ «كرتير» إلى أن أُعفي من منصبه.

هرمزد الثاني (303 ـ 309) استأنف الاضطهاد ضد المانويين تحت تأثير المجوس، ولم يلحق الأذى بالمسيحيين الذين نظّموا شؤون كنيسة الشرق.

وعاش المسيحيون حتى نهاية القرن الثالث ضمن جماعات يرأسها أساقفة وتربطها بعض العلاقات بأنطاكية على صعيد المحبة المسيحية ووحدة العقيدة. وكانت كل هذه الجماعات المسيحية تتمتع باستقلال واسع في ما بينها. ومع الوقت ازداد نفوذ أسقف المداين، فاعتبر نفسه المسؤول الأول والأعلى لإخوته من أساقفة المشرق، وتبنّى لقب «الجاثليق»[1]، وهو اسم كان يطلق مدنياً على جابي الضرائب من المناطق الرومانية ويعني «العام» أو«الشامل».

ويعتبر العصر الساساني أحد أهم العوامل المؤثّرة في تاريخ إيران القديم، فقد شهد الإنجاز الأعلى للحضارة الفارسية، فكان لبلاد فارس تأثير كبير في الحضارة الرومانية، ووصل تأثيرهم الثقافي إلى ماوراء حدودِ الإمبراطوريةَ الإقليميةَ، إلى أوروبا الغربية، أفريقيا، الصين، والهند. كما لعب الساسانيون دوراً بارزاً في تشكيلِ أنواع من الفنون في القرون الوسطى الأوروبية والآسيوية.

علاقة الدولة الساسانيّة مع المسيحيّين

تغيّرت معاملة الدولة الساسانية للمسيحيّين بشكل جذريّ تبعاً

---

(1) تاريخ أوسابيوس القيصري، ص 5، 8، 10، 11.

للظروف المتغيّرة. فعلى الرغم من أنّ معظم الحكومات كانت تعاملهم بروح من التسامح، إلا أنّ ثمّة مراحل ثلاثاً عانوا خلالها اضطهاداً حقيقياً. فخلال فترة حكم شابور الثاني قُتل نحو 35 ألف مسيحي، ثم وقعت مذبحة أخرى، بتحريض من رئيس الوزراء مهر نارسيه، أثناء حكم بهرام الخامس في العشرينات من القرن الخامس. لكن أعمال الاضطهاد التي قام بها يزدجرد الثاني (قرابة 439 ـ 457) حصدت أعلى نسبة من الضحايا؛ حيث أدت إلى مقتل نحو 150 ألف مسيحي. وفي الحقيقة، كان العديد من المسيحيين يستفزّون الزرادشتيين عن طريق إطفاء نيرانهم المقدّسة أو تدنيسها.

ولكن، حتى في أسوأ الأوقات، لم تكن المسيحية ديناً محظوراً في إيران، كما كانت في الإمبراطورية الرومانية طوال ثلاثة قرون، وعلى الرغم من أنّ الممارسات الاضطهادية المتقطّعة بحق المسيحيين حصلت خلال الحقبة الساسانية، إلا أنّ بعض الحكّام كانوا رحماء في تعاملهم معهم. مثل يزدجرد الأول قرابة (399 ـ 421) الذي مدحته الوثائق المسيحية واصفة إياه بـ «الملك المجيد المظفّر»، حتى أنّ بعض الوثائق ادّعت أنّه كان مسيحياً. بالمقابل، تشير النصوص الزرادشتية إليه باسم (gonahkar)، (أي الخاطىء). من جانب آخر كان للملك خسرو الثاني قرابة (591 ـ 628) زوجتان مسيحيتان وطبيب مسيحي في قصره. أمّا الملك الساساني الأخير، يزدجرد الثالث الذي فرّ من وجه الجيوش العربية في منتصف القرن السابع، فقد قيل إنه دُفن على الطريقة المسيحية بعد موته في مدينة مارف شرقي إيران في العام 651.

وتوحي بعض المصادر أنّ المسيحية أصبحت في أواخر الحقبة

الساسانية، تشكّل التهديد الأقوى في وجه الزرادشتية ـ الدين الرسمي للدولة ـ وتشير الدلائل إلى أن عدد المسيحيين أصبح كبيراً إلى درجة أن الدولة احتاجت إلى دعمهم. على سبيل المثال، كتب في أواخر القرن السادس، الإمبراطور هورميزد الرابع (قرابة 579 ـ 590) رسالة إلى كهنته يأمرهم فيها بالتوقّف عن اضطهاد المسيحيين إضافة إلى آخرين غيرهم، مشيراً اليهم بـ«القوائم الخلفية للإمبراطورية»:

«كما أن تاجنا الملكيّ لا يمكن أن يقف على قائمتيه الأماميتين من دون الخلفيّتين، فحكومتنا أيضاً لا يمكنها أن تقف، وتكون ثابتة إذا ما أثرنا سخط المسيحيين وأتباع الديانات الأخرى، الذين لا ينتمون إلى ديننا. ولهذا السبب، عليكم أن تتوقّفوا عن مضايقة المسيحيين، واحرصوا على القيام بأعمال حسنة حتى يستحسنكم المسيحيون وأتباع الديانات الأخرى عليها، ويشعروا بالانجذاب إلى ديننا».

التوسّع المسيحي

انتشرت الديانة المسيحية خارج الإمبراطورية الرومانية في أرمينيا ومملكة فارس، وأنشئ تنظيم كَنَسي خاصّ في كلا البلدين، كما امتدّت إلى الحبشة واليمن والهند، وتسرَّبت إلى العديد من القبائل العربية في نجد والحجاز. وفي الغرب بلغت إلى إيرلندا وإسكُتلندا. كما تنصّر كلوفيس ملك الفرنجة العام 496، واعتنق ملك القوط في إسبانيا ريكاردو المذهب الكاثوليكي في العام 589. وفي العام 597 أرسل البابا غريغوريوس الكبير إلى الأنجلوساكسون في إنكلترا الراهب أغسطينوس الشرقي المنشأ الذي هدى الملك وأصبح أول أسقف لكانتربري.

وكانت إيران هي النقطة الأساس التي انتشرت منها المسيحية عبر

قارّة آسيا. فالمبشّرون الأوائل الذين نقلوا دينهم إلى الصين في القرن السابع عشر كانوا من إيران، حتى أنّ المصادر الصينية استمرت بالإشارة إلى المسيحية بكونها الدين الفارسي. وكان مسيحيّو جنوبي الهند، الذين كانوا يردّون أصولهم إلى القدّيس توما، يرتبطون مع إيران بواسطة الطرق البحرية، وظلّوا تحت سلطة الكنيسة الإيرانية التي كانت تتّخذ من بلاد الرافدين قاعدتها الرئيسية.

وبحسب المدوَّنات المسيحية الأولى، كان القدّيس توما الرسول أول من بشّر الفرثيين[1] بالإنجيل، تلاه إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس تلميذ له اسمه عدّاي (أو مار آدي)، ومن بعده تولّى نبيل فارسي اسمه ماري رعاية الجماعات المسيحية النامية آنذاك. ثم توالى سبعة أساقفة على التبشير حتى نهاية القرن الثالث. وتشير المخطوطات السريانية القديمة إلى أنّه كان للمسيحيين في بلاد فارس مع بدايات القرن الثالث زهاء 360 كنيسة كما قدّموا العديد من الشهداء[2].

وتعتبر مدينة أربيل (شرقي نهر دجلة في العراق حالياً) أول مركز مسيحي، فقد تنصّر أحد ملوكها سنة 36 للميلاد فآزر انتشار الإنجيل بين رعاياه ومنهم يهود كثيرون. ومع نهاية عهد الفرثيين، كان المسيحيون قد انتشروا في المدن الكبرى وحتى القرى والنواحي البعيدة، من الرُّها التي عُرِفت بمدرستها اللاّهوتية حتى أفغانستان. ويشير مؤرّخو تلك الحقبة إلى وجود أكثر من عشرين أسقفاً في بلاد فارس، كما أنّ حضور المسيحية بلغ الجزيرة العربية وآسيا الوسطى. هذا الانتشار في بلاد

(1) هم الأرشاقيون وقد أتى بعدهم الساسانيون.
(2) المركز الكاثوليكي للإعلام، دائرة التوثيق، 25/ 1/ 2004.

فارس عزّزه تساهل ملوك الفرثيين مع الأديان الأخرى عموماً، ومنحهم الحماية للمسيحيين الفارّين من الاضطهادات في الامبراطورية الرومانية. وعلى الرغم من انّ آلاف الفرس اعتنقوا المسيحية، بقيت الزرادشتية دين الإمبراطورية الرسميّ. ولم تقُم كنيسة فارسية بالمعنى القوميّ للكلمة، إلا أنّها كانت سريانية اللسان والتقاليد والأصول، وبقيت تنظر إلى أنطاكية كمرجعها ومنبع إيمانها.

وبغضّ النظر عن عدد المسيحيين في إيران، فإنّ أهميّتهم كانت كبيرة، وخصوصاً في مجال التعليم العالي. فهم، بتأثيراتهم المعرفية وإلمامهم باللّغات، كانوا في وضع يؤهّلهم للعب دور ناقلي الثقافة عبر العالم الإيراني وما وراءه، وهم غالباً ما خدموا كأطباء وذلك لمعرفتهم بحكمة اليونان القديمة. وعندما أصبحت المعرفة الوثنية المتوسطية الكلاسيكية منبوذة في الغرب الذي كان قد أصبح في ذلك الحين مسيحياً، وجد أولئك الذين يمتلكون مثل هذه المعرفة ملاذاً آمناً لهم في إيران، وخصوصاً بعد طرد النساطرة من أكاديميتهم في أديسا، ولعن مجمع أَفَسُس نسطوريوس في العام 431. في البداية، رُحِّل الكثيرون منهم شرقاً إلى نصيبين (Nisibis) في بلاد الرافدين الساسانية. وفي نهاية المطاف، أصبحت مدرستهم الطبية في جنديسابور، التي تقع جنوب غرب مقاطعة خوزستان الإيرانية، مركز التعليم النسطوري. وكانت تديرها عائلة بوختيش المسيحية، التي قدمت عدة أجيال من الأطباء إلى البلاط الملكي الساساني. واستمرّت حتى الحقبة الإسلامية؛ حيث درّب المعلّمون المسيحيّون العديد من العائلات العربية الرفيعة المستوى.

ونقل النساطرة الإيرانيون، بشكل رئيسي، المسيحية إلى آسيا الوسطى والصين عبر طرق الحرير. وفي القرن السادس، أقامت البعثات التبشيرية علاقات مع بدو آسيا الداخلية الناطقين باللّغة التركية، لإقناعهم بقبول الكهنة المسيحيين بدلاً من كهنتهم الروحيين (الشامان).

وقد وسّع بطريرك بغداد النسطوري تيموثي الأول (780 ـ 823) النشاط التبشيري ليشمل آسيا الوسطى، التي كانت في أيامه تقع على حدود السلطة الإسلامية. وشُيد النصب التذكاري المدعو بالنسطوري في مدينة كسيان[1] (الذي يخبر التاريخ المبكر للمسيحيين في الصين) في العام 781، بتوجيه من شخص إيراني يدعى يزدبوزد. كما أن الكنيسة الإيرانية كانت تنسج علاقات مع المجتمعات المسيحية في المنطقة الجنوبية من الهند؛ حيث يشهد عدد من الوثائق والنقوش المكتوبة باللّغة الفارسية التي كانت سائدة في العصر الوسيط (البهلوية)، على وجود الإيرانيين الذين يفترض أنّهم كانوا تجاراً.

وفي وقتٍ كان المسيحيون الإيرانيون يؤدّون طقوس عبادتهم باللّغة السريانية، كان مسيحيّو آسيا الوسطى يؤدّونها باللّغة السوغدية، وهي لغة متفرّعة من الإيرانية، التي كانت تعتبر لغة التواصل في طرق الحرير قبل العصر الإسلامي. (ثمّة لغة متفرّعة من السوغدية ما تزال منطوقة في وادي ياغنوب Yaghnob في طاجكستان). كما أنّ النصوص والكلمات الدخيلة على السريانية والسوغدية وجدت في الصين منذ القرن السابع، وفي الجزء الغربي من التيبت بعد قرنين من ذلك. كما اكتشفت نصوص

(1) عاصمة مقاطعة شانكسي شمال الصين.

مسيحية في مواقع قريبة مكتوبة باللّغة التركية. وقد استمرت المسيحية بالحضور بين الأقوام الناطقة بالإيرانية والتركية في آسيا الوسطى حتى القرن الرابع عشر؛ حيث قضى عليها التيمورلنكيون.

وفي سياقٍ آخر، كان الراهب المسيحي المرتدّ عن الزرادشتية أفراهات ـ من مدينة مار ماتاي Mar Mattai (بالقرب من نينوى) ـ من أشد المدافعين عن المسيحية الإيرانية في القرن الرابع، فكتب مناظرات مطوّلة ضد اليهود الإيرانيين، معتبراً أنهم تخلّوا عن مكانتهم كشعب مختار لصالح المسيحيين. وكان أفراهات قَلِقاً من اهتمام المسيحيين الإيرانيين الخاطىء ـ برأيه ـ باعتقادات وممارسات جيرانهم اليهود الضالّين، وهذا يُفسِّر اهتمامه الشديد بتمييز عيد الفصح المسيحي (Easter) عن عيد الفصح اليهودي (Passover).

ومع ذلك، لم يكن المسيحيّون في العالم الساساني، على الرغم من عدائهم الأيديولوجي للأديان الأخرى، بعيدين عن بعض جوانب فن الأيقونات والتصوير الزرادشتي. على سبيل المثال، غالباً ما كان يتم التعبير عن الرمز الإيراني القديم للمجد بعقد وشاح ترفرف نهايتاه الحرّتان باتجاه الأعلى حول صورة ما. وفي جورجيا المسيحية، التي كانت مقاطعة ساسانية، كان هناك صليب ملفوف بهذه الطريقة في كنيسة من القرن السادس. كما أنَّ النقود الجورجِيَّة في الفترة نفسها كانت تصكّ بشكل مشابه للنقود الساسانية، مع فارق وحيد هو استبدال صورة النار على النقود الساسانية بأخرى تمثل صليباً. مضافاً إلى ذلك، كانت الأختام المسيحية الإيرانية غالباً ما تحمل رموزاً ساسانية، مثل صورة الأسد المجنّح (هذا الرمز مرتبط بالقديس مرقس).

تأسيس الكنيسة الإيرانية

خلال القرون الثلاثة بعد ولادة يسوع، كان باستطاعة المسيحيين في إيران ممارسة دينهم والتبشير به بسهولة أكبر بكثير ممّا كان باستطاعة نظرائهم في العالم الروماني أن يقوموا به. ففي الإمبراطورية الرومانية كان يُنظر إليهم على أنّهم منحرفون عن الدين اليهودي، وكانوا بالتالي يفتقرون إلى اعتراف الدولة والحماية القانونية.

في تلك الأثناء، كانت إيران محكومة من قبل البارثيين، الذين كانوا يتّبعون سياسة تسامح ديني. ولم تعامل المسيحية معاملة دين مشبوه إلا بعد رفع منزلة الزرادشتية من قبل الحكومة الساسانية أواخر القرن الثالث. ولكن، حتى الساسانيون اعترفوا بالمسيحية كدين شرعي قبل فترة طويلة من اعتراف الإمبراطور قسطنطين بها في الإمبراطورية الرومانية، وذلك في العام 313.

وقد سمحت الظروف الملائمة التي وفّرها البارثيّون، للمسيحية بالانتشار والازدهار في مختلف أنحاء إيران، انطلاقاً من قواعد تبشيرية شمال بلاد الرافدين (أربيل الحالية شمال العراق وأورفا جنوب تركيا اليوم). وقد زاد اللاّجئون المسيحيّون القادمون من الإمبراطورية الرومانية من أعداد المسيحيين الإيرانيين. وبحلول العام 225، كانت عشرون أبرشية قد تأسّست على الأراضي التي يسيطر عليها البارثيون. ويذكر أنّ هناك مجموعة من ستين قبراً مسيحياً في جزيرة «خرج الصغيرة»، يعود تاريخها إلى العام 250.

وبعد انتصارات الساسانيين على الرومان في العامين 256 و260،

استوطن في الأراضي الإيرانية مسيحيون يتكلّمون اللّغتين اليونانية والسريانية.

وبحلول أواخر القرن الثالث، أصبح عدد المسيحيين في إيران كبيراً، إلى درجة دفعت الكاهن الزرادشتي كردير للدعوة إلى القضاء عليهم. ومع أنّ التحوّل إلى الدين استمرّ بشكل مطّرد طوال القرون التي تلت ولكن، في العام 562، أصدر الملك خُسْرو الأول مرسوماً يقضي بمعاقبة من يحاول التبشير المسيحي في إيران بالموت.

وبعدما أصبحت المسيحية الدين الرسميّ للإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع، ومع الهجمات المضادّة التي شنّتها روما على الساسانيين، اتُّهِم المسيحيون الإيرانيون بـ«الانتماء إلى دين العدو». وقد عانوا كما ذكرنا من الاضطهاد بشكل خاصّ بين العامين 340 و379، وذلك خلال الفترة الأخيرة من حكم الملك شابور الثاني. في تلك المرحلة، كان الكهنة المازديون يتّهمون المسيحيين الإيرانيين بأنّهم يشكّلون طابوراً خامساً لمصلحة الرومان، الأمر الذي أدّى إلى اعتقال أعداد كبيرة منهم، وإخضاعهم لأقسى ألوان العذاب، وذلك بغية إرغامهم على التخلّي عن دينهم. وبعد مرور ثلاثة أجيال على هذه الحادثة، نشأت تقاليد في بلدان مختلفة مع زيادات وتخيّلات كثيرة وتبديل أسماء المواقع والأشخاص. وقد أرادت كل بلدة أن تنسب هذا إلى نفسها، فادّعى تقليد «ماداي والأهواز» (وماداي هي منطقة ميديا، والأهواز هي منطقة واقعة في جنوب غرب إيران)، أن هذا الأمير كان ابن الملك شابور نفسه. وروى تقليد «بيتكرماي» أنّه كان ابن بولار الملك. وزعم تقليد «آثور اليعقوبي» أنّه كان ابن سنحاريب الملك.

واهتمّ الكثير من المؤرّخين بتسجيل أعداد الذين قُتلوا في سبيل الإيمان المسيحي على عهد الملك شابور. ومن جملة الذين انغمسوا في جمع معظم أخبارهم وترجمتهم الصحيحة هو مار ماروثا أسقف ميافرقين الشهير الذي كان سفيراً عند العديد من ملوك الروم إلى يزدجرد الأول ملك الفرس، وذلك في السنة 399م، ثم في سنة 408 وأخيراً سنة 418. وقد تفوّق هذا المؤلّف بكتبه على الكتابات اليونانية واللاتينية في دقّة وصفه للوقائع، وفي حياده عن الإطناب والمبالغة في الكلام[1]. وإضافة إلى مار ماروثا، بذل الجاثليق مار أحا (410 ـ 414) جهداً كبيراً في تدوين أعمال الشهداء في منطقة فارس بنوعٍ خاصّ.

غير أنّ اضطهاد المسيحيين انخفض كثيراً بعد موت شابور في العام 379، ودفعت النزاعات العقائدية ضمن الكنيسة الرومانية الكثير من أتباع الطوائف المسيحية غير المعترف بها من قبل الدولة إلى البحث عن ملجأ لهم في إيران.

وبينما كانت الاضطهادات تشتدّ ضدّ المسيحين، كانت سلطة الإمبراطورية الفارسية تقوى، حتى أنّها تمكّنت من استرجاع المقاطعات التي كان الرومان قد اقتطعوها منها سنة 297 في عهد ملكهم دوقليطيان. وقد اشتد ضغطهم على الرومان، حتى اضطّر هؤلاء إلى تسليم نصيبين للفرس سنة 363. وكان لهذه النكسة الخطيرة وقع عميق في نفوس سكانها المسيحيين الذين هاجر معظمهم إلى مدينة الرّها. ومن جملتهم القدّيس أفرام الملفان الذي أسّس مدرسة لهؤلاء النازحين في هذه المدينة سمّيت بـ «مدرسة الفرس».

---

(1) مجلة «المشرق» السنة الخامسة عشرة، 1912، ص 503 ـ 509.

الباب الثالث

الكنيسة الشرقيّة في القرن الرابع

عُيِّن فافا سنة 310 مطرافوليطا[1] على كرسي المداين الذي بقي شاغراً مدة طويلة بعد موت الجاثليق شلحوفا. وأراد توحيد كنيسة المشرق تحت زعامة كرسيّ ساليق وتنظيم الرئاسة الكَنَسية في المنطقة الفارسية، ولكنه لقيَ معارضة عنيفة من الأساقفة الذين كان يتزعّمهم «ميلس» مطران شوش. ثم انضمّ إلى المعارضة مار شمعون برصباعي نفسه الذي كان أركذياقوناً لفافاً (وأركذياقوناً هي رتبة من الرتب الكنسية الكبرى وتعني الشمّاس الإنجيلي؛ أي الذي يحقّ له أن يقرأ الإنجيل ويساعد الكاهن في خدمات القداس). بيد أنّ مناوأتهم هذه لم تكن احتجاجاً على زعامة كرسيّ المدائن، إنما احتجاجاً على تصرّفات فافا الشخصية، وأساليبه التعسّفية في معاملة أساقفة المشرق. وقد أخذ المعارضون يطعنون في سيرته وكبريائه وعدم التزامه بالقوانين الكنسيّة، ومسألة تعيينه أسقفين لكرسيٍّ واحد.

---

(1) لفظة يونانية تعني الأسقف أو رئيس الأساقفة.

جرّاء ذلك، عقد الأساقفة مجمعاً قرّروا فيه إدانة فافا وإعفاءه من منصبه. وتوجد وثيقتان ترويان هذه الأحداث، جاءت إحداهما في كتاب «المجامع الشرقية»؛ حيث يمتدح مجمع داديشوع فافا الجاثليق رافضاً إدانته ويلوم معارضيه. أمّا الوثيقة الأخرى، فقد وردت في أعمال ميلس، ويوجز المطران آدي شير هذه الوثيقة في كتاب شهداء المشرق ويقول: «ثم نزل (ميلس) إلى المدائن، وكانت أحوال النصارى في المداين مبلبلة جداً بسبب الجاثليق فافا بن عجي سلف القدّيس مار شمعون برصباعي. فإنه كان يتكبّر ويتطاول على كهنته وشمامسته ويحتقرهم، وكان قد عقد فيها مجمعاً من أساقفة بلادنا لتدبير أحوال النصرانية ورفع الشكوك. وكان ذلك سنة 314. فدخل القدّيس ميلس المجمع، ولما عاين ما كان عليه فافا من التكبّر، انتصب قائماً في الوسط وقال: «مالي أراك تتجرأ على إخوتك فتحتقرهم وتتطاول عليهم كمن لا إله له. أنسيت قول ربّنا القائل في إنجيله الطاهر: إنما ليكن الأكبر فيما بينكم خادماً لكم ؟»، قال فافا وقد جاشت في صدره عوامل الغضب: أأنت يا جاهل تعلّمني كأنني أجهل فريضتي؟»، فاضطرب ميلس وأخرج حالاً الإنجيل الذي بحوزته، فوضعه أمام فافا على وسادة وقال له: «إن كنت غير راضٍ أن تتعلم مني، لأني إنسان، فدونك إنجيل ربّنا الموضوع أمامك فمنه تعلّم»، فتجرّأ فافا ورفع يده بغضب وضرب الإنجيل وقال: «تكلّم يا إنجيل تكلّم»، فلما رأى منه ميلس هذه «الجرأة» ازداد هياجاً فأسرع إلى الإنجيل ورفعه وقبّله ووضعه على عينيه، وقال بأعلى صوته مخاطباً فافا: «من حيث إنك بتكبّرك قد تجرّأت على أقوال ربنا المحيية، فهوذا ملاكه يضرب أحد شقيّك بالفالج، ولا تموت من ساعتك، بل تبقى

موضوعاً لعلامة العجب والخوف لكثيرين». وفي الحال نزل من السماء شيء نظير برق فضربه على شقّه فيبّسه. وبقي اثنتي عشرة سنة، أي حتى مماته، وهو يقاسي ما لا يوصف من العذاب الأليم». وقد أسفر هذا المجمع عن إعفاء فافا من منصبه وتعيين مار شمعون برصباعي جاثليقاً على المدائن. وينقل ابن العبري تقليداً جاء بموجبه أنّ فافا لم يُعف من منصبه؛ لأنّ الآباء لم يروا في نوبة الشلل الذي انتابه قصاصاً إلهياً، بل نتيجة ثورة غضب أثّرت في أعصابه. أما هو فلم يذعن لهذه الإجراءات التي اتخذها الآباء الشرقيون ضده، بل رفع شكواه إلى «الآباء الغربيين» وطالب بحقه في الرئاسة وبعدم شرعية المجمع الذي أدانه. وكان أن تدخل هؤلاء الآباء لمصلحة فافا؛ إذ أثبتوا حق كرسي المدائن في الرئاسة، وأضافوا أنّه لا يمكن إدانة فافا من قبل أساقفته ولا من قبل الغرب؛ لأنّ «إدانته تعود فقط إلى المسيح الذي أختاره». وهذا ما ردّده أيضاً مجمع داديشوع سنة 424، الذي يقول: إنّ الحكم الذي صدر بحق فافا أُلغي، وإنّ الذين أصدروه عزلوا من مناصبهم الكنسيّة.

وقد أسفرت الأزمة التي هزّت الكنيسة الشرقية في مطلع القرن الرابع عن تثبيت الرئاسة لكرسي المدائن، وعن ارتباط أقوى بينه وبين سائر الكراسي في الكنيسة الشرقية، وعن وعي أعمق للمسؤولية القيادية التي عُهد بها إلى هذا الكرسي الذي أخذ شيئاً فشيئاً بزمام السلطة واحتل المقام الأول في المنطقة الفارسية. وكان من الطبيعي لعاصمة الفرثيين، وقد أصبحت الآن عاصمة الفرس الساسانيين، أن تصبح أيضاً العاصمة المسيحية للشرق ورائدة الفكر المسيحي، ليس في بلاد ما بين النهرين فحسب، بل أيضاً في الجهات الأخرى البعيدة والقريبة.

وضع المسيحيين في عهد الملك شابور الثاني (309 ـ 379)

انخفض معدّل اضطهاد المسيحيين كثيراً بعد موت شابور في العام 379، ودفعت النزعات العقائدية ضمن الكنيسة الرومانية الكثير من أتباع الطوائف المسيحية غير المعترف بها من قبل الدولة إلى البحث عن ملجأ لهم في إيران.

وبينما كانت هذه الاضطهادات تشتد، كانت سلطة الإمبراطورية الفارسية تقوى، حتى أنّها تمكّنت من استرجاع المقاطعات التي كان الرومان قد اقتطعوها منها سنة 297 في عهد ملكهم دوقليطيان. وقد اشتد ضغطهم على الرومان، حتى اضطر هؤلاء إلى تسليم نصيبين للفرس سنة 363. وكان لهذه النكسة الخطيرة وقع عميق في نفوس سكّانها المسيحيين الذين هاجر معظمهم إلى الرُّها. ومن جملتهم القدّيس أفرام الملفان الذي أسّس مدرسة لهؤلاء النازحين هناك سُمّيت بمدرسة الفرس.

وعندما بلغ شابور الثاني أشدّه، أخذ يطالب الرومان بإعادة المقاطعات الخمس التي اقتطعت من المملكة الفارسية في عهد غاليريوس ملك الرومان (305 ـ 311). وسرعان ما اتخذت هذه الخلافات طابعاً دينياً بين الإمبراطورية الفارسية الوثنية والإمبراطورية الرومانية المسيحية. ويُقال: إنّ قسطنطين الكبير كان قد هيّأ حملة كبيرة ضد الفرس، وأعدّ كنيسة متنقّلة لإقامة الصلوات أثناء الحملة، إلا أنّه توفي في 22 أيار من العام 337، قبل أن ينفّذ خططه الحربية ضد الفرس. وانتهز شابور هذه الفرصة، فزحف على المقاطعات الشرقية وحاصر مدينة نصيبين 63 يوماً، ولكنه ما إن أحسّ بقدوم قسطنطين الثاني (337 ـ

361)، حتى ترك المدينة وعاد إلى بلاده خائباً. وأمام هذه النكسة احتدم غيظاً، واستنفر قوّات الإمبراطورية برمّتها. وإذ لم يكن في خزينة الدولة ما يسدّ نفقات هذه القوّات، فرض ضرائب باهظة على السكان، لاسيّما على المقاطعة البابلية الغنية.

وجاء في أعمال مار شمعون برصباعي أنّ شابور «كتب من بيث هوزايي (منطقة الأهواز) إلى حكاّم بيث أرامايي جاء فيها ـ حالما تطّلعون على أمرنا هذا نحن الآلهة في كتابنا هذا الذي أرسلناه طياً، عليكم أن توقفوا شمعون زعيم النصارى، وألا تخلوا سبيله إلى أن يوقّع سنداً فيه يتعهد بجباية ودفع جزية الرأس مضاعفة وضرائب مضاعفة، من شعب النصارى الذين يسكنون في أرضنا نحن الآلهة وتحت سلطتنا؛ لأننا نحن الآلهة نتعرّض للضيقات والحروب، وهم يتمتّعون بالراحة والهناء. إنّهم يقطنون بلادنا وهم موالون لقيصر عدوّنا». وقد ساهم اليهود في إذكاء نار الحقد في قلب الملك على المسيحيين حينما قالوا له «إنْ أرسلت أنت ملك الملوك وسيّد الأرض كلّها رسائل جليلة وحكيمة إلى القيصر مع هدايا فاخرة ومواهب نفيسة، فإنّها لا تلقى استحساناً في نظره. أمّا إذا وجّه إليه شمعون رسالة في قصاصة ورق حقيرة، فإنّه يتناولها بكلتا يديه راكعاً وينجز أمره بكلّ اهتمام. وبالإضافة إلى ذلك فليس في مملكتك سرٌّ لم يطلع شمعونُ قيصرَ عليه».

الاضطهاد الأربعيني

تضاربت الآراء حول السنة التي بدأ فيها شابور الثاني اضطهاده الكبير ضد المسيحيين، ولكن يمكن القول إنّ هذا الاضطهاد جاء إثر المرسوم الذي فرض فيه الضرائب الباهظة على المسيحيين كما ذكرنا

سابقاً. ولما لم يستطع المسيحيون دفع هذه الضرائب، تعرّضوا للاضطهاد والتنكيل في ربيع العام 341. وكان مار شمعون برصباعي ورفاقه المائة والثلاثة في الدفعة الأولى من الذين راحوا ضحية هذا الاضطهاد الهائل، فقد أُلقي القبض عليهم وزُجّ بهم في السجون. وكان شمعون بحكمته يعرب عن ولائه للملك واحترامه للقوانين العادلة فقط دون الجائرة منها. وتردّد الملك في القضاء عليه، نظراً إلى هيبته ومكانته المرموقة التي أعجب بها هو نفسه. إلا أنّ المجوس واليهود لم يكفّوا عن تحريض الملك على المسيحيين. نتيجة ذلك، سيق شمعون ورفاقه من المدائن إلى كوخ ليدان في مقاطعة الأهواز حيث كان الملك يقيم آنذاك. وهناك في بلاط الملك كان الأمين كوشتازاد قد اعتنق المسيحية، فحاول الملك إقناعه بالعدول عن هذا المعتقد، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح. بيد أنّ كوشتازاد تظاهر أخيراً بالسجود للشمس تحت ضغط عظماء الدولة. ولكنه ما إنْ سمع بوصول قافلة الأسرى وعلى رأسهم جاثليق المشرق، حتى طلب أنْ يواجه شمعون، فأبى الأخير أن يلتقي به؛ لأنه عاد عن إيمانه تحت الضغط، فانزوى كوشتازاد في بيته، وعكف على الصلاة، واستمر في البكاء طوال يومين، إلى أن دُعي شمعون إلى المثول بين يدي الملك للاستجواب. وهناك جرت مناظرة بديعة بين الملك وشمعون حول معتقد النصارى والتهمة الباطلة التي ألصقت بشمعون. ولما لم يفلح الملك في إفحام الجاثليق، أمر بإعادته إلى السجن. ولدى خروجه التقى شمعون كوشتازاد الذي أراد التبرّك منه، ولكنه عندما لم يلق منه تجاوباً، أعلن كوشتازاد إيمانه بالمسيحية في العلن الأمر الذي أدّى إلى مقتله سنة 341. وفي صباح اليوم التالي، أمر الملك بإخراج شمعون ورفاقه من

السجن ودعاهم إلى السجود للنار، ولما رفضوا، أمر بضرب أعناقهم بالسيف.

وكان بين الذين قُتلوا كاهنان، هما حنانيّا وعبد هيكلا، فلما بلغ دور حنانيّا ليمدّ عنقه للسيف اعترته رجفة شديدة فإذا بصوت يناديه مشجّعاً: «لا تخف يا حنانيا، أغمض عينيك قليلاً فترى نور المسيح». وكان هذا صوت «فوسي» رئيس صنّاع الملك الذي قُتل في اليوم التالي بعد استجواب طويل و عذاب أليم. ولحقت به ابنته الراهبة مرتا في يوم أحد القيامة بعد مناظرة أفحمت فيها الملك.

وفي خريف العام 341 أُلقي القبض في ساليق على مار شاهدوست الذي خلف مار شمعون برصباعي على كرسي المدائن وعلى 128 شخصاً من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات، ليتمّ قطع رؤوسهم في بيت لافاط(مدينة في إيران).

وفي نهاية سنة 344، وخلال إقامة الملك في ساليق، أُلقي القبض على 120 شخصاً من الأقليروس وقُتلوا في 6 نيسان 345 بعدما أمضوا في السجن ستة أشهر. وفي شباط 345 أُلقي القبض على «بربعشمين» وهو ابن أخت مار شمعون و خلف مار «شاهدوست» على كرسي المدائن، وزُجّ به في السجن مع 16 شخصاً من أقليروسه. وظلّوا رهن الاعتقال حوالي سنة، ثم اقتيدوا إلى كرخ ليدان حيث قُتلوا في 9 كانون الثاني 346. و بعد مقتل بربعشمين، ظلّت الكنيسة الشرقية بلا راعٍ أربعين سنة تقريباً، إلى ما بعد وفاة شابور الثاني.

واستمر الاضطهاد ضد المسيحيين في المناطق الشمالية من المملكة الفارسية، لا سيّما في بيث كرماي (كركوك) وحديبات (إربيل)، و ذلك

لوجود القوّات الفارسية هناك على خطوط المجابهة مع القوّات الرومانية.

وفي سنة 360 استولى شابور على بلدة «فنك» التي كانت القلعة الحصينة لمقاطعة بيث زبدى. وعلى أثر اضطراب حدث فيها سنة 362، أجلى الملك الفارسي تسعة آلاف من سكّانها إلى المناطق الفارسية السفلى.

وكان المسيحيون أنفسهم يستغلّون الاضطهاد أحياناً للانتقام من إخوانهم المسيحيين. ففي سنة 374 مثلاً وشى شمّاس بعمّه عبد يشوع مطران منطقة كشكر متهماً إياه بمراسلة الإمبراطور الروماني وبإطّلاعه على أسرار الدولة الفارسية، الأمر الذي أدّى إلى مقتل المطران وعدد كبير من الكهنة.

وكان مقتل «عقبشما» أسقف حنيثا الشيخ ورفاقه سنة 379 خاتمة المطاف لهذه الحقبة الرهيبة والرائعة معاً لكنيسة المشرق.

أما عدد الضحايا الذين سبقوهم فهو غير محدّد. ويقول المؤرخ سوزمين إنّ الذين عرفت أسماؤهم وحدهم يربو عددهم على 16000. أما المسعودي (956) فيقول في كتابه «التنبيه والإشراف» إنّ عددهم بلغ حوالي200 ألف.

أردشير الثاني (379 ــ 383)

بعد وفاة شابور الثاني، تولّى الحكم أخوه أردشير الذي حذا حذوه في معاداته للرومان واضطّهاده للمسيحيين، وكان قد قتل الكثير عندما كان حاكماً على مقاطعة حدياب وبيث كرماي، ومنفذاً لأوامر أخيه شابور الثاني.

شابور الثالث (383 ـ 388)

خلف أردشير الثاني وغيّر خطته متّبعاً طريق السلام. وكان على اتصال مع تودوسيوس الأول الروماني (379 ـ 399)، وأرسل إليه سفراء وهدايا كثيرة ونفيسة من اللآلئ والحرائر ومن مطايا أصيلة لجرّ عربته الملوكيّة.

بهرام الرابع كرمنشاه (388 ـ 399)

ترسّخت في عهده العلاقات الطيّبة مع الرومان لدرء خطر الهونيين الزاحفين من المناطق الشمالية على كلتا الإمبراطوريتين.

الباب الرابع

الكنيسة الشرقيّة في القرن الخامس

عاشت الكنيسة الشرقية في سلام منذ أن تبوّأ الملك يزدجرد الأول عرش الإمبراطورية الفارسية سنة 399. وكان لماروثا، أسقف ميافرقين، ولإسحق جاثليق المشرق، دور هامّ في استتباب النظام والسلام داخل الكنيسة، وفي علاقاتهم بالسلطة الحاكمة.

ماروثا الميافرقيني

كان ماروثا حلقة وصل بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية؛ لأنه كان من المنطقة الرومانية ومن عائلة عريقة حكمت سافيت المجاورة لآمد (ديار بكر)، وكان في الوقت نفسه يمتّ بصلة إلى الشرق بثقافته ولغته، ويتفهّم مشاكل الكنيسة الشرقية. وكانت مهنة الطبّ التي مارسها هي السبب الأبرز الذي ساعده في نيل الحظوة لدى البلاط الفارسي. فقد جاء إلى المشرق مرّتين على الأقلّ. فكان مجيئه الأول إلى المشرق سنة 399 في بدء حكم يزدجرد الأول حاملاً إليه تهاني الملك الروماني. وفي ذلك الوقت تمّ انتخاب إسحق، في مجمع خاص، جاثليقاً لساليق. إلّا أنّ هذا الانتخاب صار موضوع جدال

واحتجاج لدى بعض الأساقفة، لا سيّما أولئك الذين كانوا من منطقة خوزستان (الأهواز). وفي سنة 408، عاد ماروثا ثانية إلى البلاد الفارسية لإطلاع الملك الفارسي، على مجيء تادوسيوس الثاني إلى الحكم في المنطقة الرومانية (408 ـ 450) تارة، ولتهدئة الأساقفة الثائرين على الجاثليق والطامعين في الرئاسة تارةً أخرى. وهكذا حصل من ملك الملوك يزدجر الأول على تثبيت إسحق في الرئاسة، وعلى الدعوة إلى عقد مجمع للكنيسة الشرقية في مطلع العام 410. حضر ماروثا المجمع كممثل لأساقفة الغرب، وكشخص له مكانة خاصّة ودور فعال في تسيير أمور الكنيسة الشرقية، وتوجيهها بحسب مقرّرات المجامع المسكونية السابقة، لا سيّما مجمع نيقية. وقد استغلّ فرصة إقامته في الشرق ثلاث سنوات لتقصّي أخبار «شهداء» أرض المشرق، ولجمع الكثير من ذخائرهم والأناشيد التي قيلت في إطرائهم، ثم نقل هذه الذخائر إلى مدينة ميافرقين التي سُمّيت في ما بعد «مدينة الشهداء» (مذينث ساهدي).

الجاثليق إسحق (399 ـ 410)

أصبح إسحق جاثليقاً لكرسي المشرق في السنة الأولى لحكم يزدجرد الأول عندما تخلّى سلفه «قيوما» عن كرسي الجثلقة لمصلحته. وقد دامت رئاسته إحدى عشرة سنة، وتُوفي سنة 410. إلّا أن ماروثا استدرك الأمر قبل استفحاله، واستطاع أن يبرّئ ساحة إسحق في المجمع الذي عقده في السنة نفسها.

يزدجرد الأول (399 ـ 420)

ساهم ملك الملوك يزدجرد الأول في إعادة النظام والسلام إلى كنيسة المشرق، وتبنّى منذ بداية حكمه سياسة تختلف كلّ الاختلاف عن

سياسة أسلافه الساسانيين، فعقد صلحاً مع الرومان وأحسن إلى المسيحيين، لكنه ومع ميله إلى الحلول السلميّة، كان يتّسم أيضاً بقساوة الملوك الساسانيين التقليدية. وقد ظهرت هذه القساوة في نهاية عهده حينما انقلب عدوّاً لدوداً للمسيحيين، لا يتردّد في اضطهادهم بغية الحدّ من نفوذهم المتزايد، ولإخماد ثورة غضب المجوس المتصاعد عليه.

مجمع ساليق (مار إسحق) ـ 410

افتتح هذا المجمع أعماله بمدح أمجاد الملك يزدجرد الأول الذي حقّق في الشرق ما قام به قسطنطين الكبير في الغرب قبل مائة سنة، بإعلانه مرسوم ميلانو الشهير سنة 313. فقد أصدر يزدجرد أمراً بإعادة بناء كل الكنائس المهدومة، وبإطلاق سراح معتنقي الدين المسيحي، وبمنح الحريّة لجميع رجال الدين. ويعود الفضل في هذا القرار إلى ماروثا الذي أقبل إلى المنطقة الفارسية حاملاً رسائل من «الآباء الغربيين»، أعطته أولاها صفة رسمية لدى يزدجرد ولدى الأساقفة الشرقيين، بينما كانت الثانية موجّهة إلى الملك يزدجرد نفسه، أما الثالثة فقد تضمّنت توجيهات إلى الجاثليق مار إسحق. وبالاتفاق مع مار إسحق، نقل ماروثا من اليونانية إلى الفارسية الرسالة الموجّهة إلى الملك وقرأها أمامه، ثم طلب إليه هو ومار إسحق أن يأمر بعقد مجمع شامل لأساقفة الكنيسة الشرقية، فلبّى الملك رغبته، وأصدر أوامره باستدعاء مطارنة نصيبين وحدياب وبيث كرماي وبيث هوزايي وميشان وكشكر، مع الأساقفة التابعين لهذه المقاطعات الكبرى. ويقول كتاب المجامع: إنّ عدد الأساقفة الذين استُدعوا إلى هذا المجمع بلغ أربعين أسقفاً. ولكن لا يسعنا تأكيد ذلك؛ لأن عدد التواقيع على قرارات المجمع لا

يتجاوز 38 توقيعاً، وقد أثبت بعض الموقّعين تواقيعهم في عهد متأخّر عن المجمع، وأمحت أسماء غيرهم من اللائحة.

وعند مراجعة مجمع مار إسحق، يمكن القول إنّ الأساقفة وصلوا إلى العاصمة الساسانية مطلع كانون الثاني من العام 410، واجتمعوا للمرة الأولى في الكنيسة الكبرى في عيد الدنح (عماد الرب وهو العيد الذي يُطلق عليه اللبنانيون عيد الغِطاس) يوم 6 كانون الثاني. وقد هدفت هذه الجلسة التحضيرية إلى تصفية الأجواء والحد من نفوذ المعارضين، ونالت مقرّراتها تأييد الأساقفة ورضى ملك الملوك نفسه. بعدها افتتح المجمع أولى جلساته الرسمية يوم الثلاثاء 1 شباط سنة 410 بصلوات رفعها الآباء لأجل ملك الملوك، ثم قُرئت الرسالة التي وجّهها «الآباء الغربيون» التي ترتكز على أعمال المركز النيقاوي. وقرّر الحاضرون وجوب عدم تعيين أكثر من أسقف واحد لكلّ مدينة، وتوحيد الأعياد و الصوم الكبير، وألّا تقام الذبيحة الإلهية إلّا على مذبح واحد في كلّ مكان.

وعلى الرغم من أنّ المجمع لم يدم مدة طويلة، إلا أنّه أسفر عن نتائج إيجابية هامة للكنيسة الشرقية، ففوّض على أثره الملك يزدجر شخصين من المقرّبين إليه لتوجيه خطاب إلى الأساقفة نيابة عنه. وأكّد الخطاب على حريّة المسيحيين في ممارسة دينهم و تشييد كنائسهم، وثبّت إسحق في الرئاسة عليهم في كلّ المشرق، هذا بالإضافة إلى أنّه أبرز استعداد السلطة الحاكمة لوضع قوة في خدمة السلطة الكَنَسية للقضاء على كلّ مقاومة تحاول النيل من سلطة إسحق أو من احترام ماروثا. أما الذين لم يخضعوا لمقرّرات هذا المجمع فقد عُزلوا وحُرموا، ومن بينهم

باطي أسقف مشمهغ ودانيال. في المقابل، حافظ بعض الأساقفة في مقاطعة شوش على موقفهم المتحرّر تجاه سلطة ساليق، ومنهم أغابيطس وماري وشيلا ويزديداد، فتُركوا في مناصبهم، ولكن حُظّرت عليهم الرِّسامات، واحتفظ الجاثليق بحق تعيين خلف لهم بعد موتهم.

ونتيجة للمجمع، أصبحت المسيحية ديانة معترفاً بها من قبل ملك الملوك في نطاق إمبراطوريته، وصار لهذه الديانة كنيسة منظمة تشمل عدة مقاطعات كبيرة خاضعة لكرسي ساليق.

ويعتبر مجمع مار إسحق أول مجمع هام في الكنيسة الشرقية؛ لأنه، انطلاقاً من قوانين المجمع النيقاوي (325)، ومن صورة الإيمان التي أقرّ بها الآباء الثلاثمائة والثمانية عشرة، سنّ واحداً وعشرين قانوناً، تطرّق فيها إلى الحياة المسيحية، ونظّم علاقات المؤمنين برؤسائهم على اختلاف مراتبهم، وارتباط هؤلاء الرؤساء برئيسهم الأعلى على جاثليق المشرق الجالس على كرسي ساليق. وقد نشر الأب يوحنا شابو هذه القوانين مع ترجمتها الفرنسية في باريس سنة 1902. ويتطرّق القانون الأول إلى كيفية انتخاب الأساقفة والصفات الضرورية للمنتخَبين. أما القانون الأخير، فيتناول الرتبة الكهنوتية، ثم يحدّد المقاطعات الكبرى في الكنيسة الشرقية وهي:

- ساليق، والتي تُعتبر مركز كرسي الجاثليق الذي تمتدّ سلطته المباشرة إلى أسقف كشكر، والذي يعتبر بدوره الساعد الأيمن للجاثليق في إدارة شؤون الكنيسة الشرقية.

- بيث لافاط (جنديسابور)، وهي أولى المطرافوليطات.

- نصيبين، وتمتّد هذه الأبرشية إلى منطقة بيث عربابي كلّها.
- فرات ميشان، وهي منطقة البصرة الحالية.
- حدياب، وهي منطقة إربيل الحالية.
- كرخ سلوخ، أي كركوك الحالية.

الجاثليق أحا (410 ـ 415)

تُوفي الجاثليق مار إسحق سنة 410، فخلفه في الرئاسة تلميذه مار عبدا، القدّيس «أحا». وفي وقتٍ يصف ماري زهده، يروي صليبا مدى قوّة نفوذه على بلاط يزدجرد، خصوصاً بعد نجاحه في إقناع «بيهور» ابن أخ يزدجرد وحاكم منطقة فارس، بالعدول عن معاداة عمّه ملك الملوك. وينسب كلا المؤرخين إلى الجاثليق أحا زيارته لأضرحة الشهداء، والبحث عن ذخائرهم وتقصّي أخبارهم. ويقول «التاريخ السعردي»[1] أن أحا «ألّف كتاباً فيه أخبار من استشهد من الشهداء بالمشرق». إلّا أن المجدليّيْن[2] يختلفان في تاريخ موته. فبينما يقول المؤرخ ماري: إنَّ مدته كانت «سبع سنين وأشهر»، يقول صليبا: إنّها كانت «أربع سنين ودفن في المداين». ولكنه في الواقع، وبحسب مؤرِّخِين آخرين كالنصيبيني، انتُخب أحا جاثليقاً في نهاية سنة 410، وتوفي في مطلع العام 415.

---

(1) هو كتاب اسمه «التاريخ السعردي»، نُسِب إلى مدينة سعرد؛ لأن مؤلفه مجهول الهوية.

(2) هما المشتركان في تأليف كتاب «الجدل»، وهما ماري ين سليمان وعمرو بن متى وثالثهما يوحنا بن صليبا الذي لم يُنشر الجزء الذي كتبه، ولهذا نُسِب إلى المجدليّن الآنفي الذكر نشر كتابهما كلّ على حِدَة تحت عنوان «أخبار بطاركة المشرق»، نشره المستشرق جسمنت في روما، الأول العام 1890، والثاني العام 1898م.

الجاثليق يهبالاها (420)

عُيّن مار يهبالاها جاثليقاً خلفاً لأحا. ويقول عنه المؤرخ ماري إنّه كان أيضاً تلميذاً لمار عبدا، وقد أرسله الأخير للتبشير عند الوثنيين، فهدى منهم عدداً كبيراً، ثم بنى ديراً على الفرات.

وقد توفي يهبالاها قبل موت الملك يزدجرد سنة 420، فاستمرت بذلك رئاسته على الكنيسة خمس سنوات. وتظهر السجلات التاريخية أنّ انتخابه جرى وفق رغبة الملك الذي أرسله في السنة التاسعة عشرة لملكه سفيراً إلى الإمبراطور الروماني تاودوسيوس الثاني، من «أجل السلام والصلح بين الإمبراطوريتين». وفي القسطنطينية، أظهر استقامة إيمانه فسُرّ الملك منه، وأعطاه هدايا كثيرة ونفيسة، فعاد إلى الشرق حيث عكف على تجديد كنيسة ساليق وتوسيعها. وتروي لنا أعمال فيروز الشهيد أنّ ماروثا رافق مار يهبالاها لدى عودته إلى البلاد الفارسية، وأن يهبالاها عند رجوعه شفى ابنة الملك الفارسي بأعجوبة باهرة.

وفي سنة 419/ 420، أوفد الإمبراطور الروماني تاودوسيوس أسقف آمد آقاق سفيراً إلى ملك الملوك يزدجرد، فانتهز يهبالاها فرصة حضور آقاق لكي يعقد مجمعاً ظهرت فيه تواقيع أشهر أساقفة سورية وبلاد ما بين النهرين، ومنهم فرفيريوس أسقف (بطريرك) أنطاكية، وآقاق أسقف حلب وفقيدا أسقف الرُّها، وأوسابيوس أسقف تلا، وآقاق أسقف آمد.

انتشار المذهبَين النسطوريّ والمنوفيزيّ في المشرق

ليست هناك تواريخ موثّقة تُطلعنا على نشاط الكنيسة الفارسية في فترة ما بعد مجمع داد يشوع الذي عُقد سنة 424. وفي هذا السياق، لم

يذكر كلّ من كتاب «المجامع الشرقية» وكتاب «تاريخ السعردي» شيئاً عن الفترة الواقعة ما بين سنة 422 وسنة 484، على الرغم من أن هذه الحقبة كانت في غاية الأهميّة للكنيسة الشرقية التي بدأت تسير نحو الانفصال عن الغرب في سياستها وعقيدتها. بالمقابل، سجّل مؤرخون آخرون معلومات عن هذه الحقبة، أمثال كتبة المجدل وغيرهم، والمؤرّخين المنوفيزيين أمثال سمعان الأرشمي الذي كتب عن دخول المذهب النسطوري وانتشاره في المنطقة الفارسية وكان الشاهد العيان لهذا الانتشار؛ لأنه كان أسقفاً على بلدة أرشم غير البعيدة عن العاصمة الساسانية.

إلى ذلك ساهمت أحداث سياسية دينية جرت في المشرق برسم معالم تاريخ المنطقة، ونخصّ بالذكر منها:

اضطهاد يزدجرد الأول

تُوفِّي الجاثليق مار يهبالاها قبل أن يرى الاضطهاد يزداد على الكنيسة من جديد. فقد حاول الملك يزدجرد الأول صدّ المدّ المسيحي وتهافت الناس على الديانة المسيحية وردّهم إلى دينهم الأصلي؛ أي الزرادشتية. ولكنه لم ينكث العهد الذي قطعه سنة 410 الذي قضى بإطلاق سراح معتنقي الدين المسيحي، وبمنح الحرية لجميع رجال الدين، إلى أن اضطرّه إلى ذلك تعسّف بعض المسيحيين. ففي مدينة هرمز أردشير في مقاطعة خوزستان، قام كاهن اسمه «هشو» (هوشع) بتدمير معبد للنار ملاصق للكنيسة، فأمر الملك على الفور بإحضار مطران المدينة «عبدا» مع الكاهن «هشو» وزميله إسحق مع الكاتب أفرام والشمّاس الرسائلي فافا والعلمانيين دادوق ودورتان وفافا أخي المطران.

وعندما سألهم الملك عن سبب إقدامهم على تدمير معبد النار، انبرى «هشو» يدافع عن شرعية عمله بكلّ جرأة. وتواصل المصادر سرد هذه الحوادث، وتقول: إنّ الملك دعا الأسقف عبدا إلى إعادة بناء المعبد، وحينما رفض أمر بقتله. ثم وجّه الملك ضربات أخرى إلى فئات من المسيحيين، فقُتل «طاطاق» خادم الملك الذي كان أصله من حدياب، وصرع عشرة أشخاص من بيث كرماي (وهي منطقة المرج في العراق الحالي) في ساليق وقطسيفون. وفي صيف العام 420 تُوفّي يزدجر الأول خاتماً حياته بنهاية تتّسم بالعنف والدمويّة.

اضطهاد بهرام الخامس

بعد موت يزدجرد الأول، ظهر منافسون عديدون على العرش. ولكنّ ابنه بهرام الخامس الملقّب بـ «كور» ـ أي الحمار الوحشي ـ هو الذي اعتلى العرش، بمؤازرة المنذر بن النعمان الأعور (الأكبر ـ الأول ـ السائح) ملك الحيرة الذي كان قد رعاه في صباه (403 ـ 431). وأراد العاهل الجديد أن يكتسب عطف رؤساء الديانة المزدكية ليكونوا سنداً له في حكمه، فأخذ يستميلهم إليه ويتّبع نصائح رئيس لهم يدعى «مهر شابور»، واضعاً قواته الملكية تحت إمرتهم. فانتهز المجوس هذه الفرصة المؤاتية، وشرعوا ينتقمون من المسيحيين ويضطهدونهم. ويذكر تيودوريطس أنّ بين الذين قتلوا في هذا العهد: هرمزد، وسورين وبنيامين، ومهرشابور، ويعقوب المقطع، ويعقوب الكاتب، وفيروز البيلافاطي.

ولم يكن موقف المسيحيين إزاء هذه التنكيلات متّسماً دوماً بالشجاعة والإقدام. فمنهم من تراجع وجحد إيمانه، ومنهم من فرَّ

واختبأ. وقد استفاد سكان المقاطعات المتاخمة للإمبراطورية الرومانية فالتجأوا إلى الغرب خوفاً من الاضطهاد. ولكن المجوس اقتفوا آثارهم، وحرّضوا القبائل الرحّل من أتباع ملوك الفرس على ملاحقتهم، فقتلوا عدداً كبيراً من الهاربين. وطلب الفرس إلى الرومان أن يسلّموهم الهاربين من رعايا مملكتهم. إلا أنّ الإمبراطور الروماني رفض ذلك الطلب، وساءه تصرّف الفرس تجاه المسيحيين، فأعلن الحرب عليهم سنة 421. ويظهر أنّ كفة الرومان رجحت في هذه الحرب، ولكن تادوسيوس عرض عقد الصلح مع بهرام الخامس. لذلك، أبرمت معاهدة صلح بين المملكتين دامت مائة سنة، تعهّد الفرس بموجبها باحترام حريّة العقيدة للمسيحيين في مملكتهم في مقابل احترام الرومان لحرية المعتقد للمزديين القاطنين في بلدانهم. وهكذا انتهى عهد الاضطهاد رسمياً في المملكة الفارسية على الرغم من بعض التجاوزات التي حصلت بحقّ المسيحيين حتى بعد سنة 422.

مجمع داديشوع (424)

عندما تُوفّي الجاثليق يهبالاها في الأشهر الأولى من سنة 420، ظهر ثلاثة أشخاص يتنافسون على الكرسي الجاثليقي في المشرق، وهم: معنا وفرابخت وداديشوع.

وقد اختير «معنا»، مطران فارس، جاثليقاً تحت تأثير القائد الفارسي «مهر نرسي». ولكن الملك يزدجرد غضب عليه إثر حادث الكاهن «هشو»، الذي ورد ذكره سابقاً. فقد أبى «معنا» أن يشجب عمل «هشو»، ولذا نُفي من بلاد فارس، وجُرّد من لقب الجاثليق، وكان ذلك قبل شهر آب سنة 420؛ أي قبل موت الملك يزدجرد. وإذ ذاك خلا الجو

لـ«فرابخت» الذي تبّوأ الكرسي. ولكن الأساقفة لم يرضوا به رئيساً، ونجحوا في عزله عن هذا المنصب، ثم أسقطوا اسمه واسم سلفه «معنا» من لائحة الجثالقة الشرعيّين.

أما الشخص الثالث، فكان «داد يشوع» (421 ـ 456) الذي اتّسمت حياته بالصعوبات بسبب المعارضة التي لقيها من الأساقفة. ولكنه في المقابل لم يتعرّض للاضطهاد المباشر في عهد يزدجرد الثاني كنتيجة لابتعاده عن العاصمة مع محافظته على لقب الجاثليق. وبسبب قلّة المعلومات عن هذا الجاثليق، فإنه من غير المعلوم مدى اشتراكه في الجدالات التي دارت آنذاك في العالم البيزنطي والروماني حول المعتقدات الجديدة.

وهناك من يرى أن الرسالة التي كتبها هيبا الرهاوي كانت موجّهة إلى الجاثليق داد يشوع الساكن في «فيه أردشير»، معلّلين ذلك بخطأ في اللقب وقع في لفظة «ماري» الآرامية التي تعني «السيد»، والتي تؤخذ أيضاً كاسم علم، وفي لفظة «روأرداشير» و«فيه أرداشير»، . وقد نسب عبد يشوع الطوباوي إلى كلّ من داد يشوع وماري (أسقف روارداشير) شرحاً لسفر دانيال النبي. فهل اعتبرهما التقليد الشرقي إذاً شخصاً واحداً؟

اضطهاد يزدجرد الثاني (438 ـ 457)

هو ابن بهرام الخامس. جاء إلى الحكم سنة 438 بعد موت أبيه بهرام. ويقول عنه تاريخ شهداء كرخ سلوخ إنه كان في البدء يعطف على المسيحيين، ولكنه بعد سبع سنين انقلب عليهم مضطهداً، ثم أخذ يقصيهم عن وظائف الدولة المرموقة والرتب العسكرية الرفيعة. ثمَّ نظّم

حملة ضدهم وجّهها إلى كرخ سلوخ (كركوك) بقيادة «طهمزجرد»، وأوصاه بأن يدعوهم إلى التخلّي عن دينهم والسجود للشمس والنار والماء، وإلّا سينزل بهم أشد العذاب، فقبض جنوده على المطرافوليط يوحنا، وعلى عدد من الأساقفة والأشراف، وأعدموهم في 24 آب سنة 446. وعلى أثر ذلك انضمّ «طهمزجرد» إلى الدين المسيحي، وأعلن تنصّره فمات معلّقاً على الصليب في 25 أيلول من السنة نفسها. وجدّد الملك يزدجرد اضطهاده للمسيحيين مرّة أخرى قبيل سنة 450 حتى مات في 30 تموز سنة 457.

الملك فيروز (459 ـ 484)

كان هذا الملك مسالماً مع المسيحيين وصديقاً لبرصوما مطران نصيبين، إلّا أنّه في السنة الأخيرة من عمره حذّر من الاعتراف بغير الديانة المجوسية وأمر بأن يسمي النصارى الشمس إلهاً والنار والماء والنهر والكواكب أبناء الآلهة. ولكن هذه المضايقات لم تدم إلا وقتاً قصيراً، ودارت حوادثها في منطقة بيث أرامايي وحدها، وكان الجاثليق بابوي أحد ضحاياها. غير أنّ الموت وضع حداً لهذه القسوة فقضى الملك فيروز في صيف سنة 484، خلال إحدى المعارك التي خاضها ضدّ الهونيين (الهياطلة).

الملك بالش (484 ـ 488)

هو ابن الملك فيروز، ويسمّيه «التاريخ السعردي» ميلاس. وقد أبدى رفقاً بالمسيحيين، وسمح لهم بإعادة بناء كنائسهم. ونال الجاثليق آقاق حظوة عند هذا الملك الذي أرسله بسفارة إلى الإمبراطور الروماني زينون.

برصوما النصيبيني ونرساي الملفان

لفت ذهاب نرساي الملفان إلى نصيبين الأنظار إلى هذه المدينة التي سرعان ما أصبحت مدرستها قبلة أنظار الطلاب ومنبت العلماء. وقد زاد هذا من شهرة مطرانها الطموح الذي كان زميلاً لنرساي في مدرسة الرُّها. واستطاع برصوما أن يكتسب بدهائه عطف الحاكمين الذين استغلّوه لأغراضهم السياسية. فقد كان مطّلعاً على الشؤون الرومانية، وكان من رعايا المملكة الفارسية، فارتبط بروابط الصداقة مع مرزبان المقاطعة، ونال حظوة لدى الملك فيروز حتى أصبح أحد مستشاريه. وهذا ما جعله خبيراً في السياسة أكثر منه مطراناً، ثم أخذت تصرّفاته تتّسم بطابع العلمنة وأخلاقه تتردّى حتى أجاز لنفسه معاشرة راهبة اسمها «ماموي»، الأمر الذي أدّى إلى نشوب خلاف بينه وبين مدير مدرسته نرساي الملفان، إلى أن تمّ طرد الأخير من المدرسة.

برصوما والجاثليق بابوي

بعد موت الجاثليق داد يشوع سنة 456، انتخب بابوي، المجوسي الأصل، سنة 457 في عهد الإمبراطور الروماني مرقيان (450 ـ 457)، والملك الفارسي هرمزد الثالث الذي لم يدم حكمه سوى سنتين (457 ـ 459)، فخلفه في الحكم الملك فيروز الذي قام، فور تسلّمه الحكم باضطّهاد كلّ الذين كانوا موالين للملك السابق هرمزد الثالث. وكان بابوي من جملة الذين اعتقلوا بأمر الملك، وبقي رهن الاعتقال سنتين بحسب المؤرخ ماري، وسبع سنين بحسب صليبا. وظلّ الجاثليق في السجن حتى سنة 464؛ حيث أُخلي سبيله بعد معاهدة الصلح بين الروم والفرس.

ويوجز ابن العبري، هذه الأحداث بقوله: «كان (بابوي) من أصل مجوسي وأحب المسيحية فآمن واعتمد وعكف على قراءة الكتب المقدّسة جهد استطاعته، ولما سمع ملك الفرس أنّه ترك ديانة المجوس، غضب عليه وسجنه سبع سنوات وراح يسومه العذاب ليكفر بالمسيح، ولكنَّ عزيمته لم ترتخ. ولما استتب السلام بين الروم والفرس، خرج من السجن. وحينما رأى الأساقفة رسوخ إيمانه، انتخبوه وأقاموه جاثليقاً».

ولكن الجشع سرعان ما استولى على بابوي فأهمل القوانين الكنسيّة. وكان في مقدّمة الساخطين عليه برصوما الذي اكتسب تأييد كثير من الأساقفة، فالتفوا حوله، وعقدوا في نيسان سنة 484 مجمعاً في بيث لافاط عاصمة هوزستان. وتضامن معه كل من يوحنا من بيثِ سلوخ ومعنا من روارداشير، ورؤساء أبرشيات ليدان وفارس وبيث كرماي وميشان وعيلام، والعديد من العلماء المتخرّجين من مدرسة الرُّها.

وقد ترأس المجمع برصوما وناني مطران فرات ميشان، وقرّر المجتمعون إسقاط الجاثليق وشجب أعماله. وتضمّن هذا الشجب «تشكّيات ومذمّات وافتراءات وشهادات على مار بابوي»، كما جاء في رسالة برصوما إلى الجاثليق آقاق. ومن جملة ما قرّره هذا المجمع أنه حرّم «هرطقة المنوفيزيين وكلّ من لا يقبل كتب تيودوروس المفسّر الممتلئة حكمة وصواباً». كما سمح للكهنة والرهبان والأساقفة أن يتزوجوا إن لم يقدروا على ضبط أنفسهم، ومنع السيمونية والتزوّج بامرأة الأب والأخ وبامرأتين، كما كانت العادة عند المجوس.

لكن الجاثليق بابوي لم يقف مكتوف اليدين أمام هذه الإجراءات،

بل عقد هو أيضاً مجمعاً في المداين ضمّ الأساقفة الموالين للكرسي الجاثليقي، وكلّهم من الأبرشية البطريركية، وهم: ميهر نرسا أسقف الزوابي، وشمعون أسقف الحيرة، وموسى أسقف فيروزشابور (الأنبار)، ويزدجرد أسقف بيث داراي، ودانيال أسقف كرمى (القريبة من تكريت). وقام هؤلاء بتحريم برصوما والموالين له في مجمع بيث لافاط.

ويوجز «التاريخ السعردي» هذه الأحداث قائلاً: «لما رأى الآباء ما يجري (من تصرّفات بابوي)، اجتمعوا في السنة الخامسة والعشرين (بالأحرى السابعة والعشرين) بفيروز لمعاتبته على ما يستعمله، وعملوا قوانين حظّروا التزويج بامرأة الأب والأخ وبامرأتين وأشياء كثيرة. فقاومهم بابوي ومن في جملته من الأساقفة حرّمهم، وفعلوا هم مثل ذلك وحرّموا كلّ من يخالف ذلك وما وضعوه ورسموه. وكتب برصوما مطران نصيبين كتاباً طلب فيه أن يتزوج الديرانيون والكهنة الذين لا يمكنهم ضبط أنفسهم، واحتجّ بقول فولوس التزويج خير للإنسان من الاحتراق بالشهوة. ورضي بذلك الأساقفة المجتمعون معه».

وقد زعم البعض أنّ هذا المجمع البيلافاطي هو الذي قرّر مصير الكنيسة الشرقية، وبتّ أمر تبنّي المذهب النسطوري فيها. ولكنّ الشرقيين، حتى مجمع غريغور الأول (سنة 605)، لم يعترفوا بأن مجمع بيث لافاط هو الذي قرّر الاعتراف بشروح تيودوروس المصيصي كتفسير رسميّ للكتاب المقدّس في الكنيسة الشرقية. وفي هذا السياق، أراد برصوما النصيبيني التخلّص من الجاثليق بابوي بأية وسيلة، فوجد الفرصة مؤاتية حينما قبض على رسالة أرسلها الجاثليق إلى الإمبراطور الروماني زينون يستنجده فيها ليتدخّل في تلطيف الجوّ على المسيحيين في المملكة الفارسية.

ويروي «التاريخ السعردي» سيرة الاضطهاد الذي شنّه الملك فيروز على النصارى في البلاد الفارسية: «. . .واغتمّ بابوي بذلك غمّاً شديداً، وكتب إلى زينون ملك الروم كتاباً يشكو إليه فيه ما جرى على رعيّته ويسأله مكاتبة فيروز في تخفيف الأذى. وأنفذه مع رسول وجعله في جوف عصاه، فلمّا وصل نصيبين، وقف أصحاب برصوما على ما فيه، فأخذوا الكتاب وأنفذوه إلى فيروز، ويقال إنّ برصوما فعل ذلك. فأحضر بابوي وعرض عليه الكتاب مختوماً بخاتمه، فاعترف بصحّة الختم، وكان قد ضمّنه ما قاله بنو حننيا في أمر بختنصر. وأسلمه الله إلى «المملكة الأثيمة» (ملكوثا رشيعتا) التي هي شرّ من سائر ممالك الأرض. فلمّا قُرىء الكتاب بحضرة فيروز، وفُسّر إلى الفارسية، اغتاظ وقال: أنت مستحق القتل؛ لأنك سمّيت مملكتي الجبارة أثيمة، وقد كانت سبيلي لأن أقتلك منذ أن خالفت أمري ورسَّمت الأساقفة، ولكنّي تغافلت عنك، فتجاوزتَ ذلك إلى غيره. فقال من حضر من النصارى إنما أراد بالمملكة الأثيمة أي المخالفة للنصارى، ولو عدل عن ذلك لظن الروم أنّك نصراني وفيه وضع من ملكك. واعتذر بابوي وقال: أنا أدعو للملك دائماً وأصلّي له وأحب مملكته، فقال له فيروز: خطأك أعظم من أن يُغفر، فإنْ كان ما ذكرته من محبتك صحيحاً فاسجد للشمس لأعلم حقيقة ذلك، فامتنع، فأمر أن يُعلّق على خشبة بإصبعه التي فيها الخاتم المختوم به الكتاب، فعُلّق بخنصره خارج المداين إلى أن مات، وأخذ جسده قوم من الحيرة ودفنوه بها وكتب اسمه مع الشهداء».

وبعدما تخلّص برصوما من خصمه الأكبر الجاثليق بابوي، خلا له الجوّ ليمارس نفوذه ويُظهر بطشه لكلّ من لا يسايره في المذهب

والآراء، لا سيّما أنّ الملك فيروز سانده ووضع قوة تحت تصرّفه. إلا أنّ برصوما بالغ في قساوته، حتى قيل إنه قتل أكثر من سبعة آلاف منوفيزي. ويقول ماري في هذا السياق: «طلب فيروز الملك اليعاقبة وقتل منهم بتكريت خلقاً كثيراً وَتَمَجْوَسَ الباقون... وقتل من اليعاقبة في شرقي الموصل خلقاً كثيراً» ويقول صليبا: «... وجرت لأجل ذلك أشياء يطول شرحها بين برصوما وأهل مذهب جبرائيل أُريق فيها الدماء». وهنا يسمّي صليبا المنوفيزيين من أهل جبرائيل وهي تسمية سابقة لأوانها، إذ إنّ جبرائيل السنجاري كان طبيب الملك كسرى الثاني في مطلع القرن السابع، ومن الغريب أن سمعان الأرشمي (قبل 540)، الذي عاش قريباً من هذه الأحداث، لا يذكر شيئاً عن اضطهاد برصوما لبني مذهبه. أما ميخائيل السرياني الكبير، فإنه يستند في حديثه إلى ما كتبه ماروثا التكريتي في نحو سنة 631؛ أي بعد قرن ونصف قرن من وقوع هذه الأحداث الدامية. ويمكننا تحديد زمان اضطهاد برصوما بين موت بابوي سنة 484 ومجمع بيث عذراي سنة 485. أما مسرح هذه الأحداث فيتسنّى لنا تعيينه في منطقة تمتدّ ما بين المداين حتى شمالي نينوى (الموصل). ولم يُضَف ما قيل عن مقاومة تكريت لبرصوما إلا في عهد متأخّر، وذلك لإعطاء أهمية لتكريت التي أصبحت قلعة المنوفيزية بعد منتصف القرن السادس خصوصاً، حتى قيل إن برصوما قُتل في كرمى بالقرب من تكريت، وإنّ اغتياله جرى على يد راهبة أورثوذكسية قضت عليه بضربات المفاتيح . أما ابن البرّي فيضع هذا الحادث عينه في منطقة طور عبدين.

ولكن هذه الاضطرابات والخصومات الجارية في الكنيسة الشرقية لم تحل دون انتشار الديانة المسيحية في هضبات إيران وبين الأكراد، أمثال

القدّيس سابا الذي كان من منطقة بلشفر، وتتلمذ على راهب اسمه كليليشوع وقتل سنة 487 في منطقة بيث أرامايي. كما أن هذه الاضطرابات كانت حقلاً خصباً للمنوفيزيين[1] الذين أحسنوا استغلالها وزادوا من نفوذهم في المنطقة الشرقية.

كذلك اكتسب المنوفيزيّون نفوذاً قوياً في المنطقة الرومانية، وبدأوا يتسرّبون إلى المنطقة الفارسية. وقد أزعجوا برصوما حتى في نصيبين مركز أبرشيّته، ما دفعه إلى أن يتقرّب من الجاثليق ويطلب منه أن يحرمهم. كما استطاعوا أن ينظّموا صفوفهم بين القبائل العربية المتاخمة للإمبراطورية الفارسية، ولاقوا كلّ مؤازرة من الأمراء اللخميين.

مجمع باباي (497)

استمرّت العلاقات الحسنة التي كانت سائدة بين المملكة الفارسية والكنيسة الشرقية في عهد الجاثليق آقاق وفي عهد خلفه أيضاً، فأراد قُباذ الأول الذي خلف بالش سنة 448 على عرش الإمبراطورية الفارسية، أن يطبّق بعض النظريات المزدكية. وقد استهدف من وراء ذلك تحطيم الطبقة الأرستقراطية في البلاد، والسيطرة على أموال الإقطاعيين الكبار. ولكن المجوس لم يرضوا بذلك، فعملوا على عزله من الحكم وتعيين أخيه «زاماسف» بن فيروز الذي كان عطوفاً على المسيحيين. وعندما توفي الجاثليق آقاق سنة 496، انتخب باباي ابن هرمزد خلفاً له، وكان طاعناً في السنّ، متزوجاً وله أولاد. ولكن التناقض ظاهر بين ما يقوله ماري من أنه كان «أمياً لا يكتب ولا يقرأ» وما يقوله صليبا عن أنه «كان

---

(1) أصحاب الطبيعة الواحدة.

شيخاً كبيراً خيّراً تقياً حسن الأمانة والديانة من أهل المداين»، وبين ما يرويه «التاريخ السعردي» عنه أنه كان «حسن الطريقة والفهم بالكتب».

ولما كانت الديانة المجوسية مهدّدة بالانهيار أو التفسّخ تحت تأثير المحدثين الذين اندسّوا فيها ودعوا إلى عادات جديدة، طلب الملك مساعدة المسيحيين في مقاومة «دعاة الشر» في الديانة المجوسية؛ لذلك أصدر الجاثليق مرسوماً يقضي باستدعاء الأساقفة الخاضعين له إلى مجمع لإجراء إصلاح بشأن الزواج الشرعي وإنجاب الاولاد، ليتمّ بعد ذلك فرض هذه المقرّرات على الإكليروس في البلاد كلّها. فاجتمع الأساقفة في ساليق في تشرين الثاني سنة 497، وعقدوا مجمعهم الشهير الذي أعاد النظر في مجمع بيث لافاط ومجمع ساليق السابقين.

الباب الخامس

المسيحيّة المشرقيّة في القرن السادس

القسم الأول

ركود الكنيسة في القرن السادس

شكّل النصف الأول من القرن السادس فترة ركود الكنيسة الشرقية، فانتشرت فيها الخلافات والمنافسات على السلطة، ولم يُعقَد أيُّ مجمع للسير بها إلى الأمام، وقلّ الاهتمام بالشؤون الدينية، وأُهملت القوانين والشرائع، وأخذ كلٌّ يفتش عن مصالحه الشخصية. ولذلك ظلّت الكنيسة تعاني وترزح تحت وطأة الفوضى نحو أربعين سنة . ففي سنة 498، أزاح قباذ أخاه زاماسف عن الحكم وتولّى زمام الأمور بنفسه. ولكي يلهي الشعب، زجّه في حرب ضد الرومان سنة 501، فاكتسح المقاطعات الرومانية المتاخمة للمملكة، ابتداءً من رشعينا وآمد، حتى اضطر انسطاس الروماني إلى عقد معاهدة صلح مع قباذ الذي رحّب بها نظراً إلى التهديد الذي كانت البلاد الفارسية معرّضة له من الأقوام الهونية (الهياطلة)، وتمّت هذه الهدنة سنة 506. وفي غمرة هذه الأحداث، تُوفّي الجاثليق باباي سنة 503 فخلفه شيلا الذي كان أركذياقوناً عنده.

ويصف المؤرّخون شيلا بالعلم الغزير، ولكنهم يذمّونه لجشعه المفرط. وكان «بوزق» مطران هرمز أردشير يؤيده ويسانده على جميع مناوئيه. كما كان قد شفى قباذ وابنته فنال من جراء ذلك حظوة كبيرة لدى الملك الفارسي؛ ولهذا فقد عاش المسيحيون في زمان شيلا بسلام وطمأنينة، وأقيمت الكنائس في شتّى أرجاء المملكة الفارسية.

ولكن الصعوبة الكبيرة بدأت عند موته سنة 523. فقد أوصى بالخلافة لصهره الطبيب أليشاع، إلا أنّ الأساقفة لم يرضوا به رئيساً عليهم، بل اجتمع عدد منهم لانتخاب نرساي الذي يُقال إنه كان أسقف الحيرة، ويُقال أيضاً إنهِ لم يكن سوى كاتب من الأهواز. وقد أيّد بوزق هذا الحزب، وأراد أن يطلب من الملك السماح بانتخاب نرساي، وكان الملك آنذاك في منطقة حلوان، إلا أنّ داود مطران مرو سبقه وعيّن أليشاع قبل أن يُعيِّن نرساي في الكنيسة الكاتدرائية في ساليق. وتمكّن أليشاع بواسطة صديق له اسمه «بيروي»، طبيب الملك، وبواسطة الهدايا الكثيرة أن ينال من العاهل الفارسي مرسوماً يعطيه السلطة الشرعية على الكنيسة الشرقية جمعاء.

وهكذا عمّت الفوضى، حتى أنّ مطرافوليط بيث لافاط وأسقف كشكر فضّلا الوقوف على الحياد في هذه النكبة التي ضاعت فيها المقاييس وفُقدت القِيَم الأصيلة. وناضل كلّ من الجاثليقين، خلال اثنتي عشرة سنة، ضد منافسه وتعيين الأساقفة من الموالين له. ويقول ماري وكتاب «المجامع» إن فترة الخلافات هذه دامت 15 سنة، وهذا ما يوصلنا إلى سنة 538. حيث مات نرساي، فظن أليشاع أنّ الجو قد خلا له لينفرد بالسلطة على الكنيسة كلّها، ولكن تصرفاته نفّرت القلوب منه. فاجتمع

الأساقفة وقرّروا عزله وحذف اسمه واسم نرساي من لائحة الرؤساء، ثم عيّنوا بولس جاثليقاً عليهم بالإجماع في مطلع سنة 539، وكان بولس مطران هرمز أردشير خلفاً لبوزق، حسبما يقول المؤرّخون الشرقيون، أمّا ابن العبري فيقول إنه كان أركذياقوناً لكنيسة ساليق. وقد ظلّ محايداً طوال مدة النزاع، كما حصل على حظوة لدى كسرى الأول أنوشروان الذي تولّى الحكم سنة 531 بعد موت أبيه قباذ. إلا أنّ رئاسة بولس لم تكن طويلة الأمد، إذ لم تدم إلّا بضعة أشهر، ويقال شهرين فقط . وقد تُوفّي في أحد الشعانين سنة 539. ويقول عنه «التاريخ السعردي» إن بولس «لمّا صار جاثليقاً مال قليلاً إلى حب أليشاع، ونسي عهده وما عقد على نفسه».

سمعان الأرشمي (قبل 540)

على الرغم من الجهود التي بذلها برصوما النصيبيني لإرغام الناس على اعتناق المذهب النسطوري، واستخدامه القوة في سبيل تحقيق هدفه، فقد ظلّ عدد منهم متعلّقاً بالأفكار المنوفيزية. إلا أنّ الموجات الهامّة من هذه الأفكار تدفّقت على البلاد الفارسية إبّان الاضطهاد الذي شُنّ عليهم في بلاد الروم نحو سنة 520 أو سنة 521.

وقد لعب سمعان الأرشمي دوراً هاماً في نشر المنوفيزية في المناطق الفارسية منذ مطلع القرن السادس، وهو يُعدّ أبرز من ساهم في توطيد دعائمها في الشرق. وبالإضافة إلى المصادر السريانية، هناك مصادر أخرى أرمنية تُلقي بعض الأضواء على هذه الفترة من انتشار المنوفيزية في الشرق وعلى نشاط الأرشمي. وبحسب هذه المصادر، فقد كانت مدينة الحيرة المسرح الرئيسيّ لهذا النشاط، لما كانت تنعم به من الحكم

الذاتي، ولقربها من الحدود الرومانية، مما يسهّل الفرار منها إلى بلاد الروم وقت الاضطهاد. فسمعان الذي عُيّن مطراناً في نحو سنة 510، لم يكن له مركز أبرشية ثابت، إنما نُسب إلى بيث أرشم، البلدة القريبة من المداين، لكونها مسقط رأسه ليس إلا. وقد اكتسب عطف بعض الأشراف في الحيرة فبنوا له فيها كنيسة، على الرغم من وجود أسقف نسطوري فيها. إلا أنّ الاضطهادات كانت تلاحقه دوماً، فتارة يتجنّبها بتنكّره وبتغيير زيّه، وطوراً بفضل رسالة من الإمبراطور الروماني أنسطاس إلى العاهل الفارسي، ولكنه وقع أخيراً في قبضة أعدائه فحجر عليه في سجن نصيبين طوال سبع سنين، حتى تدخل ملك الحبشة وتشفّع له فأنقذه.

واشتهر سمعان بجدالاته مع النساطرة، حتى أنه لُقّب بـ«المجادل الفارسي» (داروشا فارسايا). وقد قيل الكثير عن جدالاته العديدة ونشاطه التبشيري الذي امتدّ حتى إلى البلدان الأرمنية وبلاد الروم، بالإضافة إلى البلاد الفارسية. وأنتهى به المطاف إلى العاصمة البيزنطية؛ حيث مكث سبع سنين (524 ـ 531)، ويقال إنه تُوفّي بعد سنة 533.

وقد مهّد بعمله هذا لما قام به يعقوب البرادعي وأحودامه وغيرهما من الذين نشروا المذهب المنوفيزي في البلاد الفارسية في القرن السادس.

تنظيم الكنيسة المنوفيزية في الشرق

ساهم يعقوب البرادعي في نشر المنوفيزية في الشرق بواسطة الأساقفة والكهنة العديدين الذين عيّنهم وأرسلهم إلى مناطق مختلفة

من الإمبراطورية الفارسية. وفي العام 559 عُيّن أحودامه مطرافوليطاً على المشرق، وكان رجلاً يمتاز بعلمه وفضائله وغيرته الحميدة على الديانة المسيحية. وقد دفعته هذه الغيرة إلى هداية كثيرين من الوثنيين، وحتى من الذين ينتمون إلى العائلة المالكة. وكان اهتداء أحدهم، الذي عمّده ودعاه «جورجي»، سبباً أثار سخط كسرى الأول أنو شروان على أحودامه، فسجنه مدة وعذّبه، ثم أمر بضرب عنقه في 2 آب سنة 575.

إلا أنّ تقدّم المنوفيزيين لم يتوقّف. فقد تغلغلوا في طور عبدين كلّه، وجعلوه منطلقاً لدخولهم في البلاد الفارسية. وكانت القبائل الغسّانية في الغرب تمدّهم بالحماية والعون المعنوي والمادّي.

وكان السبايا الرومان قد انتشروا في البلاد الفارسية، ولا سيما في المنطقة الجنوبية، حيث حلّت أعداد غفيرة منهم جرّاء الغزوات الموفّقة التي قام بها كسرى الأول في المناطق الرومانية. فكان المذهب المنوفيزي يلاقي كلّ القبول والترحاب بين هؤلاء السبايا الذين كانوا يشاطرون ملوك القسطنطينية ميلهم وعطفهم على المنوفيزيين. ولكنهم مع الوقت أخذوا يشكّلون خطراً على الكنيسة الشرقية، ولذلك فقد رأينا أن مجامع هذه الكنيسة تندّد بعملهم وتعاليمهم بين صفوف المصلّين والحنانيين بشتّى أنواع الحرمات، وتحذّر الناس من عملهم ودعاياتهم.

وكانت الأزمة التي مرّت بها الكنيسة الشرقية في عهد حنانا الحديابي، والانشقاق الذي حدث في مدرسة نصيبين، فرصة مؤاتية للمنوفيزيين، على الرغم من أنّهم مرّوا هم أيضاً في ظروف حالكة،

وتعرّضوا لاضطهادات أليمة. وقد جلب استشهاد أحودامه والظروف التي واكبته سخط كسرى الذي منعهم من تعيين خلف له. وبعد موت كسرى سنة 579 أتيحت لهم الفرصة لكي يقيموا مطرافوليطاً للشرق، فانتخبوا قاميشوع الذي كان معلّماً للكنيسة الجديدة التي أقيمت لهم بالقرب من البلاط الملكي، بحسب قول ابن العبري الذي يضيف أن قاميشوع رسم أساقفة حيثما وجد حاجة إلى ذلك؛ لأن الأورثوذكس كانوا حينذاك قليلين. أمّا مراكز الرُّها وآمد (ديار بكر) وتلموزلت، فلم تُعطَ لهم إلّا في فترة لاحقة، وتحديداً خلال الحرب التي دارت بين الملك الفارسي كسرى الثاني والروم، ابتداء من سنة 603. وهكذا صار دير مار متى وما يجاوره من الأماكن أهم مراكز الإشعاع للحركة المنوفيزية، ومنها انطلق المرسلون إلى شتّى أرجاء المملكة الفارسية والرومانية، وانتشر نفوذهم في الشمال أيضاً، في منطقة بيث عربايي وفي حدياب، واستطاعوا أن يكتسبوا كذلك بلاد أرمينيا وجبل إيزلا الذي سرعان ما أصبح معقلاً حصيناً لهم. وإزاء ذلك كان لا بد للنساطرة من أن يحاولوا إيقاف المدّ المنوفيزي، فأخذوا يؤسّسون المدارس في كلّ مركز هام، ويزودون هذه المدارس بما تحتاجه من الأساتذة من خريجي مدرسة نصيبين، ويموّلونها بالأموال الكافية، ويهتمون بإعطاء الطلاب ثقافة شرقية أصيلة. ولكن المنوفيزيين حذوا حذوهم في هذا المضمار، إذ أخذوا هم أيضاً في تأسيس المدارس الكثيرة، ابتداء من منطقة بيث نوهذرا، وفي إقامة الأديرة في أنحاء كثيرة من البلاد.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ الكنيسة الشرقية كانت من المتانة والتنظيم بحيث لم تتأثّر كثيراً بالدعاية المنوفيزية، لو لم تساندها عناصر قوية في

البلاط الفارسي. فقد كان للأطباء دوماً تأثير كبير على الملوك في كلّ الأجيال والعهود. وهؤلاء الملوك العظام الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أشباه آلهة، كانوا يشعرون بحاجة إلى من يطيل بقاءهم على هذه الأرض، ويوفّر لهم العناية بالصحة؛ لذا راحوا ينظرون إلى الأطباء نظرة إجلال ويمتثلون إلى أوامرهم صاغرين. وكان في بلاط كسرى الثاني طبيب اسمه جبرائيل السنجاري نال إعجاب الملك وحظوته، واكتسب ثقة الملكة شيرين الآرامية التي عالجها فانجبت ابناً سُمِّي «مردنشاه»، بعد فترة من العقم كادت تؤدي بها إلى اليأس. وقد وضع جبرائيل نفوذه القوي في خدمة القضية المنوفيزية، ويظهر أنه كان في أول عهده منوفيزياً. ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن سنجار كانت آنذاك تحت التأثير المنوفيزي. إلّا أنّه أصبح بعدئذٍ نسطورياً، وقد يكون ذلك ليتزوّج من امرأة نسطورية تنتمي إلى عائلة شريفة، أو مراعاة للتيار النسطوري الذي كان ذا حظوة في البلاط بواسطة شيرين الملكة التي كانت هي أيضاً نسطورية. وهنا يُطرح السؤال: لماذا تخلّى جبرائيل عن مذهبه النسطوري وعاد إلى مذهبه الأول؟ في الواقع إنّ المصادر المنوفيزية لا تذكر أسباباً لذلك. أما النساطرة فإنهم يعزون الأمر إلى أسباب كثيرة، منها أن جبرائيل طلّق امرأته الشرعية واتخذ امرأتين أخريين وثنيتين «وأخذ يعيش معهما عيشة وثنية»، ولمّا نصحه الجاثليق سبريشوع ليعود إلى حفظ القوانين الكنسية ولم يعتبر، حرّمه. فانقلب ناقماً على النساطرة، وجرَّ وراءه الملكة شيرين أيضاً. ولكن قد يكون شيء من المبالغة في التنديد بتصرفات جبرائيل؛ لذا فإن الأقرب إلى الواقع هو أنه بحكم احتكاكه المستمر بأهل البلاط ، أخذ يعيش مثلهم مسايرة لرغبات الملك الفارسي الذي طالما اقتضى من الذين يعيشون في بلاطه أن يتخلّقوا

بأخلاق الفرس وعاداتهم، لا سيما في أمور الزواج. ولكن صرامة الجاثليق سبريشوع جعلت جبرائيل ينفر من نظام الكنيسة الشرقية ويعود إلى مذهبه الأول الأصلي، وأخذ من ثم ينتهز كلّ الفرص للإيقاع بالنساطرة ومعاكسة خططهم، ودفع الملك إلى إصدار أوامره إلى الجاثليق سبريشوع برفع الحُرم عنه. ولكن الموت وافاه فانفتح المجال أمام جبرائيل لكي يختار مع الملكة شيرين الشخص الذي يريدانه للجثلقة، فأبعدا غريغور النصيبيني وأقاما عوضه غريغور الآخر الذي سايرهم في آرائهم، على الرغم من ميل كسرى إلى غريغور النصيبيني، كما مرّ بنا القول.

إلى ذلك، ساهم تصرّف بعض الرؤساء الشرقيين في تعكير الجو وفي ترجيح كفة الميزان لمصلحة المنوفيزيين. فقد وقعت حوادث في منطقة شهرزور على أثرها هدم «الراد» الفارسي كنيسة، فثارت ثائرة الأسقف نثنائيل، ودفع المسيحيين إلى الثورة على هذا الرئيس وإلى طرده من المنطقة. بيد أنّه كان لهذا التصرّف عاقبة وخيمة، فقد رفع «الراد» شكواه إلى الملك كسرى الذي لم يسعه إلّا أن يأمر بإلقاء القبض على الأسقف نثنائيل وايداعه السجن حيث مكث ست سنين، ثم صلب سنة 610. وفي تلك الفترة استحصل يوناداب حدياب على رسالة من الملك تخّوله السلطة على كلّ المنطقة الجبلية التي كانت قد أصبحت مقراً للمنوفيزيين، وحتى على دير مار متى الشهير. غير أن عين جبرائيل السنجاري كانت ساهرة على مصالح المنوفيزيين، واستطاع أن يحيط المشروع قبل البدء بتنفيذه، بل توصّل إلى الاستيلاء على دير مار فثيون ودير شيرين الواقعين في منطقة حلوان، ووضعهما تحت سلطة المنوفيزيين.

وقد ارتاح المسيحيون لمجيء العرب؛ لأنهم ملّوا من الظلم الذي تعرّضوا له في فترات عديدة من العهود الفارسية، وأملوا بأن يكون الفاتحون الجدد أكثر إنسانية ورحمة تجاههم. ومن أسباب هذا الارتياح أيضاً التقارب الكبير بين لغتهم السريانية ولغة الفاتحين العربية، لكون اللغتين تنتميان إلى دوحة واحدة هي الآرامية، بالإضافة إلى أن العرب كانوا على الإيمان بالإله الواحد، عكس الفرس المزديين.

المسيحية في عهد الجاثليق يوسف

لم يحدث اضطهاد كبير للمسيحيين منذ موت مار آبا الذي هدى عدداً كبيراً من الناس إلى النصرانية في أرزن وفي مناطق أخرى من الإمبراطورية الفارسية. ولكن هذا لا يعني أنّهم كانوا ينعمون بالسلام والحريّة الكاملة في جميع مناطق هذه الإمبراطورية، فأعمال «الشهداء» تشير إلى الحظر الساري على الراغبين في اعتناق ديانتهم؛ إذ لا يحق لهم بأن يقوموا بأية دعاية أو أيّ تبشير بين صفوف الوثنيين، لا سيما في الأسر الإيرانية العريقة، وكلّ مخالفة يلقى مرتكبها عذاباً صارماً. وكانت القوانين الفارسية تمنع المسيحيين من إقامة كنائس جديدة وتقبل بوجود القديمة منها فقط، إلا أنّ أحوالهم تحسّنت كثيراً في البلاد الفارسية حينما تطوّرت الهدنة التي اقترحها كسرى الأول سنة 555 على الملك الروماني يوستنيانوس، إلى معاهدة صلح سنة 562 أُبرمت لمدة خمسين سنة، وفيها تنازل الفرس للرومان عن مقاطعة «لازيق» لقاء ضريبة باهظة تدفع لهم سنوياً، وتعهدوا بمنح الحريّة الدينية للمسيحيين شريطة ألا يعكفوا على التغلغل بين المزديين، وأن يتجنّبوا الدعاية الدينية.

القسم الثاني

عهد الاستقرار

ابتدأ عهد الاستقرار للكنيسة في النصف الثاني من القرن السادس واستمر حتى القرن السابع ميلادي، وهنا ذكر لأبرز الجثالقة والملُك الذين شهدوا هذه المرحلة الأساسية في تاريخها.

الجاثليق حزقيال (570 ـ 581)

كان حزقيال تلميذاً لماربا الكبير، ثم رقّاه الأخير إلى أسقفية الزوابي (النعمانية)، لِمَا لمس فيه من الحزم والذكاء. فقد تعلّم الطب وأتقن اللّغة الفارسية بالإضافة إلى السريانية. واستفاد كسرى أنوشروان من ذكائه، فأرسله إلى البحرين واليمامة لاستخراج الجواهر. ولأن حزقيال نجح في مهمته، أوصى الملك الفارسي بانتخابه جاثليقاً سنة 567، إلا أنه لم يمارس مهمّته البطريركية حتى موت سلفه يوسف سنة 570، عندما اجتمع الأساقفة للانتخاب. وتشير بعض المصادر إلى أنهم انتخبوا شخصاً آخر يُدعى إيشاي الملفان، ويسمّيه آخرون «ماري». لكن مطران نصيبين وغيره من الآباء تدخّلوا وأصرّوا على تعيين حزقيال جاثليقاً سنة 567، وقد رفع الطبيب «نوروزي» المروزي رغبتهم هذه إلى كسرى.

وفي سنة 573 قام كسرى أنو شروان بحملة تهدف إلى حصار مدينة «دارا» الواقعة بين نصيبين وماردين، فجنّد لها قوات كثيرة، وقاد بنفسه الجيش يرافقه الأشراف والجاثليق حزقيال أيضاً. ولما وصل الجاثليق إلى نصيبين، خرج المسيحيون إلى لقائه، وعلى رأسهم بولس مطرافوليط المدينة، الذي بالغ في إظهار الحفاوة له، وخطب في الشعب

بعبارات فيها مبالغة مفرطة في التملّق ما أحدث ردة فعل سيئة عند الشعب الذي طلب من الجاثليق إقالته. فوعدهم بأن يحقق مطلبهم لدى عودة الملك من دارا منتصراً خصوصاً أنه هو أيضاً غضب من التملّق الذي سمعه. إلا أن المطرافوليط بولس تُوفّي قبل رجوع البطريرك. أما كسرى فاستولى على المدينة وكانت هذه الحرب بداية خصومات جديدة بين الفرس والرومان استمرت سنين طويلة.

وفي سنة 579 تُوفّي الملك كسرى الأول أنو شروان، بعدما حكم 48 سنة (531 ـ 579)، وانتصر في حروبه مع الروم، وأباد دولة الهياطلة التي زعزعتها حملة كاسحة شنّتها عليها قبيلة تركية، كما مدَّ نفوذه إلى اليمن جنوباً وطرد منها الأحباش سنة 570. ويروي لنا «التاريخ السعردي» الحروب الدائرة بين الفرس، والروم وما كان لها من نتائج وخيمة على الفرس قائلاً: «لمّا اتصلت الحروب بين الفرس والروم، قصد أنو شروان بلد الروم بعد ثلاثة أيام من دخوله داراً وأخرابها، فوجد الروم قد اقتربوا من نواحي الموصل وباعربايا أكثر من خمسين فرسخاً، فعظم ذلك عليه وجمع جيشه وقصد الرقة فاخربها وما يجاورها وأخرب قيساريه وأخذ كلّ ما فيها. فلحقه الروم وأخذوا عليه الطرقات وأحاطوا به من كلّ جانب وكاد يقع في أيديهم. كما عبر أكثر جيشه الفرات بلا جسر فغرقوا مع دوابهم، وأفلت بعضهم عراة ولحق الروم بعضهم فقتلوهم، وظفروا ببيت النار الذي كان معه، وقد جمع فيه ذخائره كلّها فأخذوها وأطفأوا النار بالماء فانصرف من ناحيتهم خائباً، ولحقته علّة في صدره من الغمّ فمكث أربعين شهراً بها ومات». ويضيف «التاريخ السعردي» أن الروم الذين كان قد سباهم كسرى أكرموا جسده «على عادة النصارى».

مهما يكن من أمر، فإنّ عهد كسرى الأول يُعتبر من أمجد العهود الساسانية، إذ بلغت المملكة الفارسية في أيامه مجداً لم تبلغه قط في كلّ عهودها، كما أن الثقافة الأدبية والفلسفية أضفت على عهده جمالاً خاصاً. وقد منح النصارى حرية العقيدة منذ أن تم الصلح بين الفرس والروم العام 562.

الملك هرمزد الرابع (579 ـ 590)

خلف هرمزد أباه كسرى الأول على العرش الفارسي سنة 579. وقيل إن عدالته فاقت عدالة أبيه. واتفق جميع المؤرخين الشرقيين على أنه كان كثير العطف على الفقراء والمظلومين، شديداً على الأشرار والظالمين. وقد اتّبع سياسة والده أنوشروان في خطوطها العريضة، ولكن تسامحه الظاهر نحو المسيحيين عرّضه لحقد أتباع الدين الزرادشتي، بالإضافة إلى حقد الأشراف والرؤساء. وينسب بعض المصادر إلى الملك هرمزد هذا القول الموجّه إلى الهرابذة والمجوس: «كما أنه لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدّمتين دون قائمتيه المؤخّرتين، فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا، فأقصروا عن البغي على النصارى وواظبوا على أعمال البر، ليرى ذلك النصارى، وغيرهم من أهل الملل، فيحمدوكم عليه ويتوقوا إلى ملّتكم».

ولدى توَلّي الملك هرمزد العرش الفارسي، كانت مفاوضات السلم دائرة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية. إلا أنها لم تسفر عن نتائج ثابتة، فتجدّدت الحرب ودارت معارك ضارية بينهما، فكان النصر حليف الروم على الرغم من كفاية القائد الفارسي بهرام جوبين الذي كان قد

أحرز انتصارات ساحقة على الترك وعلى الأقوام التي كانت تهدّد الحدود الشمالية والشرقية من البلاد الفارسية. وحينما أقاله هرمزد من منصبه، رفع عليه راية التمرّد والعصيان، وكان له مناصرون عديدون. وقامت مؤامرة أخرى دبّرها بسطام الملك بالاتفاق مع أخيه «بندويه»، فخلعا الملك وسجناه، وسملا عينيه، وقرّرا تعيين ابنه كسرى الثاني أبرويز ملكاً على البلاد الفارسية. فلما سمع كسرى الثاني تلك الأخبار ـ وكان في منطقة أذربيجان مع جيشه ـ حتى أسرع في العودة إلى المداين لتسلم زمام الأمور، وذلك سنة 590. أما هرمزد فقد قتل بعد ذلك بمدّة وجيزة.

ولم يدم الأمر للملك الجديد لأنّ بهرام زحف بجيشه عليه ودفعه إلى الفرار نحو الحدود البيزنطية والاحتماء بموريقي ملك الروم، وتولّى هو إدارة الشؤون الفارسية ونصّب نفسه ملكاً وتقلّد التاج. ولكن بهرام أيضاً لم ينعم طويلاً بهذا النصر، فقد ساعد موريقي الروماني كسرى الثاني وأمدّه بالعون العسكري، على أن يتنازل له عن مدينتي دارا وميافرقين اللتين أخذهما الروم حديثاً في الحرب. وانضمّ كثير من الفرس إلى القوات المؤازرة لكسرى الثاني فاصطدمت بجيش بهرام قرب «كنزك» في أذربيجان ومزّقتها شرّ تمزيق، واضطُرّ بهرام إلى الهرب واللّجوء إلى البلاد التركية حيث لقي حتفه بعد فترةٍ بسيطة. وعاد كسرى الثاني منتصراً إلى عاصمته وقضى على جميع مناوئيه.

الجاثليق أيشوعياب الأول الأرزني (582 ـ 595)

وُلد أيشوعياب في منطقة بيث عربايي، وتلقى العلم في مدرسة نصيبين الشهيرة، ودرس شتى العلوم متعمّقاً بشكلٍ خاص في الأمور القانونية والليتورجية.

وقد تولّى إدارة مدرسة نصيبين في الفترة ما بين العامين 579 و581، ثم عُيِّن أسقفاً لأرزن الواقعة على الحدود الرومانية ـ الفارسية. واستفاد منه الملك هرمزد الرابع للوقوف على تحرّكات الجيوش الرومانية. ولذلك أظهر رغبته في تعيينه رئيساً على كنيسة المشرق، لدى وفاة الجاثليق حزقيال. وهكذا تفوّق أيشوعياب على منافسه. أيوب أحد المنتسبين إلى عائلة نرساي الملفان، الذي كان مفسّراً في مدرسة ساليق، وعُيِّن جاثليقاً سنة 582.

وفي تلك السنة عقد أيشوعياب مجمعاً في ساليق، وحفظت مقرّرات هذا المجمع والقوانين التي سنّها في سلسلة المجامع الشرقية. ودافع المجمع عن كتب وتعاليم تيودوروس المصيصي ضدّ الذين يناقضونها، وبذلك شجب تعاليم حنانا الحديابي مدير مدرسة نصيبين. كما تطرّق إلى قضايا عديدة تهدف إلى صيانة حقوق مختلف الفئات في الكنيسة. والجدير بالذكر أن المجمع، في القانون الثلاثين، وجّه إنذاراً شديد اللهجة إلى شمعون مطرافوليط نصيبين وأساقفته، وإلى غريغور مطران روارداشير وأساقفته، لأنهم تخلّفوا عن الحضور. أما في القانون الحادي والثلاثين ـ وهو الأخير ـ فتعهد المجتمعون بحفظ هذه المقرّرات والعمل بها بأمانة وإخلاص.

وتجدر الإشارة هنا إلى الرسالة التي كتبها أيشوعياب إلى يعقوب أسقف جزيرة داراي، وكان الأخير قد وجّه إليه أسئلة عديدة تدور حول مختلف الشؤون الليتورجية والإدارية، فأجابه طويلاً، وشرح له بعض الأمور الليتورجية، وطلب إليه أن يتصرّف نحو الجميع بالرحمة والعطف لحلّ مشاكلهم على ضوء ما جاء في الكتب المقدّسة وما ورد في كتابات

الآباء. وأضاف في رسالته أنّه كان قد استقى هذه الأجوبة من الملاحظات القانونية الدائرة في مدرسة نصيبين، حينما كان طالباً ثم أستاذاً فيها. ومن الجدير بالذكر أن الجواب الثامن عشر يتضمّن تعليمات خاصة عن المواهب التي تُعطى في الرسامات الكهنوتية لخُدّام المذبح. وقد قال أيشوعياب إن الشماس (أي الشماس الإنجيلي) ينال وزنة واحدة، والكاهن ثلاثاً، والأسقف خمساً، وهذا منتهى الكمال وملء الكهنوت. وفي الختام صرّح بأن الأسئلة التي وجهها إليه يعقوب كانت 33 سؤالاً إلا أنه دمج بعضها ببعض، ولم ير من الضروري الإجابة إلّا عن عشرين منها.

أخيراً، يأتي قانون الإيمان الذي أقرّه أيشوعياب، ويستند إلى ما جاء في قانوني نيقية والقسطنطينية، وهو موجّه أيضاً ضد المعتقدات المناوئة للمذهب الشرقي.

ولكن سنواته الأخيرة لم تمر بهدوء، فلمّا قضى كسرى الثاني على مناوئيه وأمسك بزمام الأمور، خاف أيشوعياب من بطشه مع أنه لم يقم بعمل ضده، إنما كان مهتماً قبل كلّ شيء بمصالح كنيسته ولم يرد أن يتدخل في الشؤون السياسية، لاسيما في تلك الفترة المضطربة التي حاول أشخاص عديدون خلالها الاستيلاء على العرش الفارسي بعد الملك هرمزد. فهو لم ينضم إلى حركة التمرّد والعصيان التي قام بها بهرام ضد وريث العرش الشرعي، ولكنه لم يظهر أيضاً ولاءً خاصاً لكسرى في صراعه ضد خصومه. إذ لم يرغب مثلاً في أن يرافق كسرى إلى منفاه في بلاد الروم حينما هرب من وجه بهرام ومن جيشه الجرّار، ولم يخرج أيضاً إلى استقباله حين عودته ظافراً إلى العاصمة. أما الرومان

الذين رافقوا الجيوش الفارسية، وساعدوا كسرى على استعادة عرشه، فلم ينسوا الدور الذي كان أيشوعياب يقوم به حين وجوده في إرزن، وكيف كان ينقل أخبارهم إلى الفرس، ولذا فلم يتدخّلوا في مصالحته مع العاهل الفارسي الجديد.

وإزاء هذا الضغط المتزايد، اضطَّر الجاثليق إلى مغادرة المداين والتوجّه إلى الحيرة والاجتماع بالملك النعمان بن المنذر، وهو أبو قابوس، وكان قد تنصّر حديثاً (سنة 593) وصار من حماة المذهب النسطوري، وأصبحت الحيرة بذلك من معاقل هذا المذهب. وهناك توفي الجاثليق سنة 595، فتولّت شؤون دفنه هند الصغرى أخت النعمان، ودفن جثمانه في دير جديد كانت قد بنته حديثاً. وينسب كتبة المجدل خطأً إلى أيشوعياب الأول السفر إلى بلاد الروم، في حين أن الذي قام بهذا السفر هو أيشوعياب الثاني الجدالي.

الباب السادس

المسيحيّة المشرقيّة في القرن السابع

عاش المسيحيّون مرحلة استقرار في القرن السابع، ويورد هذا الباب أهم الأحداث التي حصلت في تلك المرحلة والتي أثّرت لا بل غيّرت مسارهم التاريخي في الشرق، وخاصة في إيران في ظلّ الإمبراطورية الفارسية.

الجاثليق سبريشوع (596 ـ 604)

لم يُحدث موقف أيشوعياب الأول، الذي تمّ ذكره في الباب السادس، تأثيراً عميقاً في نفس كسرى الثاني، ولم يدفعه إلى معاداة المسيحيين؛ لأن أفضال الروم عليه ما زالت حديثة العهد. لذلك فقد تبنّى سياسة المسامحة تجاه النصارى، ومنحهم الحرية في ممارسة دينهم، شريطة أن يتجنّبوا الدعاية في صفوف المنتمين إلى الديانة المجوسية الرسمية. وتشير بعض المصادر إلى أن زوجتيه المسيحيّتين، شيرين الآرامية ومريم الرومانية، لعبتا دوراً إيجابياً لمصلحة أبناء مذهبيهما. لذا فقد أحسن إلى الكنائس، وشيّد معابد عديدة في البلاد للشهيد سرجيوس الذي يقال إنه ظهر على رأس الجيوش الرومانية المساندة لكسرى.

وبعد موت أيشوعياب الأول، اجتمع الأساقفة للانتخابات، فكان المرشحون للجثلقة خمسة أشخاص. ولكن إرادة الملك وضعت حداً لكلّ تردد أو جدال، فانتخبوا سبريشوع ونصّبوه بطريركاً في ساليق في 19 نيسان سنة 596. وقد نشر الأب بولس بيجان، عن السيرة التي كتبها بطرس الراهب من بيث عابى، تفاصيل كثيرة عن سبريشوع الذي، ولكبر سنّه، عُيّن له منذ بدء عهده معاون هو «ميلاس» اسقف «شنا» الذي مثّل بعدئذٍ العاهل الفارسي بالقرب من العرش الروماني في القسطنطينية. وقد استفاد من حظوته لدى الملك الفارسي لتجديد الكنائس المهدمة في عهد الملك هرمزد، ولإنقاذ أسرى كثيرين، وشيّدت له الملكة شيرين ديراً في مقاطعة فيروزاباد (قصر شيرين).

وعندما بدأ كسرى الثاني حملاته ضد الروم سنة 603 و604، اضطُرّ سبريشوع، بحسب العادة الجارية، إلى مرافقة الجيوش الفارسية. إلا أن الشيخوخة والأمراض أقعدته في نصيبين حيث تُوفّي في شهر آب سنة 604، بينما كانت الجيوش الفارسية تحاصر مدينة دارا الشهيرة، ودُفن في بيث كرماي وقيل في الحيرة.

تجدر الإشارة إلى أنّ سبريشوع عقد في أول عهده سنة 596، مجمعاً بحث فيه بعض شؤون الساعة آنذاك، وشنّ فيه حملة قاسية على المصلّين وأتباع حنانا الحديابي. وقد نجح في إرجاع بعض الرهبان الذين كانوا قد انحرفوا نحو «بدعة المصلّين»، وجمعهم في دير برقيطي بالقرب من سنجار، ونظّم حياتهم تحت رئاسة شرعية، ومنعهم من التشرّد في المدن والقرى.

وقد تخلّل الحملة على حنانا الحديابي كثير من الملابسات. إذ إن

هذا الأخير الذي تولّى إدارة مدرسة نصيبين من سنة 572 حتى موته سنة 610، أخذ يجاهر بتعاليم لا تلائم المعتقد الشرقي، ولم يتّبع في شروحه كتابات المفسّر تيودوروس المصيصي، بل اتّبع آراء يوحنا الذهبي الفم. وقد أحدث تجدّده هذا هزة عنيفة في نصيبين ومدرستها التي ارتفع عدد طلّابها إلى 800 طالب، بحسب قول بعض المؤرّخين. وحدث انشقاق في صفوف الطلبة، بين الموالين له ومناوئيه الذين اضطُرّوا إلى مغادرة المدرسة احتجاجاً على آراء مديرها المستحدثة. لذا فإن حملة سبريشوع على حنانا وتعاليمه لم تكن موفّقة بالكامل، بل كان ثمة أسباب دفعت الجاثليق إلى التخفيف من حدّة هذه الحملة. فقد عزل الأساقفة مطران نصيبين جبرائيل بن روفينا، بحجة انشغاله بالعلوم الفلكية وبالتنجيم، وعيّنوا مكانه غريغور الكشكري، الذي احتل هذا الكرسي بالقوة، وأخذ يعادي حنانا علناً. بيد أنّ هذه المعاداة، أزعجت أشراف المدينة الموالين لحنانا فأطلعوا الجاثليق على الأزمة، ورفعوا شكواهم إلى الملك الفارسي الذي أمر بسجن غريغور ثم بإبعاده إلى كشكر موطنه الأصلي. وكان الجاثليق ينظر إلى ذلك بعين الرضى، وقد سبق له أن قام بإجراءات تهدف إلى الحدّ من نفوذ مطرافوليط نصيبين، إذ وضع رهبان برقيطي التابع لنصيبين تحت سلطة البطريركية المباشرة، على الرغم من أن الأساقفة كانوا يعتبرونه بطلاً مجاهداً في سبيل الحقيقة، ويقولون إنّ سبريشوع بعد اتخاذه موقف العداء من غريغور فقد موهبة اجتراح المعجزات.

الجاثليق غريغور (605 ـ 609)

لم يظلّ كرسي ساليق شاغراً مدة طويلة بعد موت الجاثليق

سبريشوع. فبعدما استولى كسرى على مدينة دارا عاد إلى العاصمة وأصدر أوامره بعقد مجمع خاص للأساقفة بغية انتخاب جاثليق جديد. وكان لبادرة ملك الملوك هذه أعمق الأثر في نفوس المسيحيين، بحسب كتاب «المجامع». وما إن أقبل شهر نيسان من سنة 605، حتى تمّ انتخاب جاثليق لكنيسة المشرق، وهو «غريغور الملفان ومفسر الكتب المقدسة»، كما يقدّمه لنا هذا الكتاب. إلّا أن انتخابه سبَّب متاعب جمة للكنيسة. وكان غريغور من بلدة تل بسمي في منطقة فرات ميشان. تلقّى علومه على يد شخص اسمه أيشوع، وأصبح مفسّراً في مدرسة ساليق. وكان الشعب والأساقفة والملك نفسه يريدون غريغور الكشكري مطران نصيبين الذي كان يعيش بعيداً عن كرسيه، إلّا أن اتباع حنانا والمنوفيزيين كانوا يرون في هذا الأخير خصمهم اللدود، فبذلوا كلّ جهودهم لابعاده عن هذا المنصب الخطير، ودفعوا الملكة شيرين إلى تبنّي وجهة نظرهم، وإلى تعيين غريغور الملفان الذي كان من موطنها ميشان. وقد نجحت هذه الجهود، وعُيّن غريغور الملفان جاثليقاً؛ فاغتاظ الملك من هذا التصرّف، ومع أنّه خضع للأمر الواقع على مضض، لكنّه أقسم ألاً يعيّن جاثليقاً آخر على كنيسة المشرق ما دام هو حياً. وانتهز الجاثليق غريغور فرصة حضور الأساقفة لانتخابه، فعقد مجمعاً في الأيام اللّاحقة لهذا الانتخاب، في ربيع سنة 605، جّدد ما أقرّه سلفه بالنسبة إلى مناوئي تعاليم الكنيسة الشرقية، وأعلن تمسّكه الشديد بتعاليم تيدوروس المصيصي وبتفاسيره، وفرض استعمال الأنشودات الثلاث التي تُنسب إلى الملفان نرساي وهي: «الشكر للصالح»، و«نور إشراق المسيح»، و«كلنا بالخوف والوقار». كما هدّد بالحرم الرهبان الذين يرفضون استعمالها والأساقفة الذين لا

يرشقون بالحرم هؤلاء الرهبان العصاة. وشجب المجمع أيضاً كلّ الرهبان أو الراهبات المتشرّدين الذين يتعاطفون مع تعاليم المصلّين والمنوفيزيين. ووقّع على أعمال المجمع كلّ من مطرافوليط الأبرشيات الكبرى الثلاث، فرات ميشان وأربيل وبيث كرماي، مع 26 أسقفاً بالإضافة إلى الجاثليق. إلاّ أن الجاثليق لم يترك انطباعاً حسناً في الكنيسة الشرقية، فقد أصبح جشعه مضرب الأمثال، حتى أن الكاتب توما المرجي يقول إنّ المناوئين للجاثليق أخذوا يبثُّون الدعاية ضده. ومع أن هذا الكاتب يشجب الطريقة التي تمّ فيها انتخابه بطريركاً، فهو يقول: «كان عليهم ان يذعنوا للواقع ريثما يكمل الرب مقاصده أو يقضي غريغور (المفسر) نحبه ويبارح هذا العالم». ولما تُوفّي الجاثليق غريغور ـ بين تشرين الأول سنة 608 ونيسان سنة 609 ـ استولى الملك كسرى الثاني على أمواله كلّها وضمّها إلى الخزينة الملكية. وظلّت الكنيسة الشرقية بدون جاثليق مدة عشرين سنة، إلى أن اغتيل كسرى الثاني سنة 628.

الحرب بين الفرس والروم بين 609 ـ 629

استمرّت الحرب سنوات بين المملكتين الفارسيّة والرومانية. وغزا الفرس مراراً سورية الشمالية في فترات متقطّعة من القرن السادس. وقرّر كسرى ابرويز (590 ـ 628) الاستيلاء على المناطق الشرقية للمملكة البيزنطية المتخبّطة آنذاك في الفوضى والانقلابات، فعبر الفرات واستولى على حلب (609) وانطاكية (611)، ثم زحف إلى الجنوب ففتح دمشق وبلغ القدس واستولى عليها في 5 أيار 614. وقتل الفرس فيها جميع من لم يتمكنوا من الهرب، وأسروا البطريرك زخريا وحملوا عود الصليب

إلى بلادهم. ثم واصلوا زحفهم، فدخلوا مصر واستولوا عليها (617 ـ 618).

وتسلّم القائد هرقل زمام الحكم في القسطنطينية سنة 610، وكان البرابرة قد عبروا نهر الدانوب واحتلّوا البلقان واتّجهوا نحو العاصمة، فاضطُرّ إلى مهادنتهم ليأمن غاراتهم، واتجه بكلّ قواه نحو الجنوب لمقاتلة الفرس. وقدّم سرجيوس بطريرك القسطنطينية للملك مساعدة مالية جمعها من أموال الكنيسة ليقوم بنفقات الحرب. وتسلّم هرقل نفسه القيادة بعدما وكّل أمر الدفاع عن المدينة إلى البطريرك. ودامت الحرب بين الروم والفرس سبع سنوات من 622 إلى 629. وفي غيابه هجم البرابرة على المدينة سنة 626 وحاصروها، ولم ينفك عنها الحصار إلّا بأعجوبة نسبها الناس إلى مريم العذراء. وحارب هرقل الفرس وانتصر عليهم وأرغمهم على طلب الصلح، فانسحبوا من مصر وسورية، وامتدّ نفوذ الروم إلى أرمينية. واستعاد هرقل الصليب ودخل به القدس في احتفال عظيم سنة 630.

وكان البطريرك الملكي انسطاس قد قُتل بأنطاكية في فتنة أثارها اليهود في أثناء الزحف الفارسي. فلم يسمح الفرس للملكيين بإقامة خلف له، ومنحوا اليعاقبة الحريّة التامة. ولمّا عاد الحكم البيزنطي تضايق منه اليعاقبة أشدّ المضايقة. وشعر هرقل وهو يمرّ بسورية وأرمينية بمدى الانقسام الديني بين سكّان هذه الأقطار، فحاول أن يزيل الشقاق ويعيد الوحدة الدينية فلم يفلح.

لم يحقّق التبشير المسيحي في آسيا نجاحاً طويل الأمد؛ وذلك لأن الغالبية الساحقة من سكان القارة، ينتمون إلى أديان أخرى. ولأن

المسيحية أصبحت الدين الغالب في أوروبا وفي نصف الكرة الغربي، صار الاعتقاد الغالب أنها دين غربي. ولكن، مع ذلك، فقد كان هناك الكثير من المسيحيين في آسيا قبل زمن طويل من استيطانه في أوروبا، وتُعتبر مساهماتهم في تاريخ الثقافات الآسيوية على درجة كبيرة من الأهميّة.

كما أنّ المسيحية الشرقية تختلف في العديد من الجوانب المتعلّقة بالعقيدة والممارسة عن المسيحية الغربية. فالطائفتان المسيحيّتان الرئيستان في إيران، النسطورية واليعقوبية، اعتبرتا مهرطقتين من قبل زعماء الكنيسة الرومانية الرسمية منذ القرن الخامس الميلادي، وذلك في سياق اجتماعات المجامع الكنسية العالمية. ومنذ ذلك الحين، يعتبر المسيحيون الغربيون أنّ نظراءهم الآسيويين ضالّون وأقلّ شأناً منهم.

الباب السابع

المدارس الفارسيّة

عرفت الإمبراطورية الفارسية العديد من المدارس التي ساهمت إلى حدٍ كبير في تطوّر وانتشار الحركة الثقافية في بلاد الشرق بشكلٍ عام. وقد لعبت المسيحية ومدارسها الشهيرة المنتشرة في طول بلاد ما بين النهرين وضواحيها، والتي كانت تخضع للنفوذ الفارسي، دوراً فاعلاً في تثقيف المجتمع وتخريج العديد من العلماء مثل مدرسة نصيبين التي أسّسها يعقوب نصيبين في العام 325، ودُرّست فيها جميع العلوم المعرفية آنذاك، ومدرسة الرُّها المسمّاة بـ«مدرسة الفرس» التي استمرّت حياتها العلمية حتى العام 489، ومدرسة المدائن التي أسّسها مار آبار الكبير في منتصف القرن السادس في العاصمة الإيرانية واستمرت حتى العام 780، ومدرسة جنديسابور العلمانية (المدنية) الشهيرة. وقد ساهمت هذه الأخيرة في توسيع العلوم الطبية والفلسفة اليونانية، والمعروفة أيضاً بالدور الذي لعبته في مركز بيت الحكمة العباسي في نقل العلوم والثقافة العالمية. وثمّة إشارات تاريخية إلى بروز العديد من المدارس الأخرى منها مدرسة قطيسفون، وإنْ لم يصل إلينا عن أنشطتها الشيء الكثير.

مدرسة الفرس في الرُّها (363 ـ 489)

أسّس القديس أفرام الملفان هذه المدرسة سنة 363 خصّيصاً للنازحين إلى الرُّها من المنطقة الفارسية، لاسيّما بعد استيلاء الفرس على نصيبين. وعلى الرغم من أنّ منطقة الرُّها موجودة في العراق إلا أنّ بعض المؤرّخين اعتبروا مدرسة الرُّها مدرسة فارسية؛ لأن العديد من طلابها كانوا من الفرس. وأصبحت هذه المدرسة مدة قرن وربع قرن أهم مركز ثقافي في المنطقة الشرقية، وقد تخرّج فيها جملة من العلماء الذين نشروا الثقافة السريانية في الشرق، وتبوّأ معظمهم كراسي أسقفية، وساهموا في إدارة الكنيسة وتنظيمها.

ففي النصف الأول من القرن الخامس باتت مدرسة الرُّها تعرف بالـ«فارسية» نظراً لكثرة الوافدين إليها من أرض الساسانيين، وصار طابعها المنهجي الارتباط الوثيق بالتراث الأنطاكي لجهة المسائل الخريستولوجية، أو المتعلّقة بطبيعتي المسيح، وباتت المدرسة تُعرف بارتباطها الوثيق بالتراث الأنطاكي في الخريستولوجيا والتفسير. وكان هذا يحدث تحديداً في الوقت الذي كان الاستقطاب في المواقف من الخريستولوجيا يتزايد بين كيرلّس الإسكندري والإنطاكيين. وبسبب هذا الارتباط ووُجهت من الإسكندريين (يؤمنون بالطبيعة الواحدة) بتهمة «مرتع النساطرة» (والنساطرة يتبعون كنيسة مشرقية جاثليقية)، والتهمة لازمتها حتى ما بعد مجمع خليقدونيا المسكوني إلى أن أغلقها قرة مطران الرُّها إغلاقاً نهائياً.

غير أنّ هذه المدرسة الشهيرة تأثّرت بتيارات الأفكار السائدة آنذاك في أنطاكية وما حولها، وسرعان ما تبنّت النظرية الأنطاكية، فأصبح

ديودوروس الطرسوسي وتيودوروس المصيصي الرائدين الرئيسيين في هذه المدرسة. ومع هذا اتخذ ربولا مطران الرُّها موقفاً مناوئاً لتعاليم نسطوريوس الذي اعتلى العرش القسطنطيني سنة 428، فعارض أفكار «المفسِّر» (أي تيودوروس)، وانضمّ إلى رأي قورلّس الإسكندري. ويقال إنّ سبب ذلك كان أنّ «المفسِّر» أفحم ربولا مرّة في جدال جرى في العاصمة البيزنطية، فحقد الأخير عليه. إلّا أنّ «هيبا» مدير المدرسة كان من المتمسّكين بتعاليم «المفسِّر» والمجاهدين في سبيل نشرها في مدرسة الفرس، ما أدّى إلى خلاف عميق بينه وبين ربولا الذي لم يتردّد، في ثورة غضبه، في إحراق ما كان هيبا قد نقله من اليونانية إلى السريانية من كتابات المفسِّر. ولما أصبح هيبا أسقفاً للرُّها سنة 435، بعد موت ربولا، انفتح المجال أمامه لكي يعمّم على المدرسة تعاليم تيودوروس ونسطوريوس. وقد خلفه قيورا في إدارة المدرسة، وبعد وفاة الأخير عُهد بإدارتها إلى الشاعر السرياني نرساي الملفان الشهير الذي بقيت مدائحه الشعرية، ذات المواضيع الكتابية في أكثر الأحيان، حتى يومنا هذا. فأخذ المدير الجديد يبث فيها تعاليم تيودوروس المصيصي بكل حماسة.

وبعدما انتشر العداء للخريستولوجيا الأنطاكية في العقود التي أعقبت مجمع خليقدونية، وجد نرساي أن من الأفضل له أن يغادر الرُّها نهائياً، سنة 471 بحسب ما سُجّل، وأن يجتاز الحدود إلى نصيبين، التي كانت أجواؤها اللّاهوتية أكثر تآلفاً مع طريقته في التفكير. وفي العام 496، أصبح مديراً لمدرسة نصيبين.

ولم يلتزم جميع تلامذة مدرسة الرُّها الفارسية بالخريستولوجيا

الأنطاكية القائلة بالطبيعتين؛ والواقع أن كثيرين منهم أصبحوا من الدعاة المتحمّسين للخريستولوجيا الإسكندرانية (الطبيعة الواحدة) المناوئة، وكان من أبرز هؤلاء المؤلّف السرياني الذائع الصيت فيلوكسينس المنبجي، الذي كان، إلى جانب سويريوس الأنطاكي (الذي كتب باليونانية)، أهم لاهوتيّ في الكنيسة السريانية الأُرثوذكسية في أواخر العصر القديم. وكان ممن تمرّدوا على تعاليم المدرسة في حقل الخريستولوجيا الشاعر السرياني الأرثوذكسي يعقوب السروجي لمواضيع في الكتاب المقدّس وغيره. إلّا أن يعقوب اتخذ موقفاً أكثر مسالمة، مفضّلاً تحاشي الألفاظ والصِيَغ السجالية، والتعبير عن إيمانه بالتجسّد بعبارات سريانية تقليدية.

بيد أن النفوذ المنوفيزي أخذ يتسرب هو أيضاً، لاسيّما حينما طُرد، من الرُّها، هيبا أسقفها وعُيّن محله «نونا» المنوفيزي بأمر من المجمع الذي عُقد سنة 449، لكن نونا أُقصي عن كرسي الرُّها بحسب قرار مجمع خلقيدونية سنة 451، ثم عاد فاحتل هذا الكرسي من جديد سنة 457. وفي سنة 449 غادر المدرسة عدد كبير من الأساتذة والطلاب، وتوجّهوا إلى القسم الشرقي من البلاد. وكان برصوما واحداً من هؤلاء المغادرين، فأصبح مطراناً على نصيبين قبل سنة 457، إذ إنه في هذه السنة طلب من نرساي، الذي فرّ بدوره من المدرسة الرُّهاوية، أن يؤسّس مدرسة في نصيبين، لكي تواصل عمل المدرسة التي كان مار يعقوب النصيبيني قد سلّم إدارتها إلى القدّيس أفرام الملفان نحو العام 325. وقد بدأت مدرسة الرُّها تتدهور بسبب تفاقم الخلافات بين الأساتذة والطلاب المتمسّكين بمذهب نسطوريوس، ومن المتحزبين للمذهب المنوفيزي المناوئ، وأصبحت مركزاً للمشاحنات

والخصومات، ولم تعد تؤدّي الرسالة العلمية التي امتازت بها في عهدها الزاهر. وفي سنة 489، نال أسقف الرُّها إذناً من الإمبراطور زينون بإغلاقها.

ولم يكن ثيودورس المؤلّف الوحيد الذي كانت كتاباته تُقرأ في المدرسة الفارسية، فأعمال إفرام كانت مهمة أيضاً، ومن الممكن تحسّس تأثيره في الشاعرين الكبيرين المتخرجين في المدرسة، نرساي ويعقوب.

ومع افتقارنا إلى التفاصيل الدقيقة، من الممكن القول إنّ أهم ما قدّمته مدرسة الرُّها هو دمج اللاّهوت اليوناني بالتراث السرياني المحلّي، واضعةً الأُسُس لمعظم ما سيحتويه هذا التراث لاحقاً.

مدرسة نصيبين

تخلّت فارس عن نصيبين لروما سنة 298م، وهي مدينة من مدن الحدود تشرف على الطريق الرئيسي بين شمال بلاد ما بين النهرين وبين دمشق. وفي سنة 300 أو سنة 301 عُدّت مقرّ كرسي اسقفي، وكان أول أسقف لها هو بابو وخلفه الأسقف يعقوب.

وقد حضر الأسقف يعقوب مجمع نيقية سنة 325، وبعد ذلك بقليل أنشأ يوسطانيوس أسقف أنطاكية مدرسة فيها على غرار مدرسة الاسكندرية، فحذا الأسقف يعقوب حذوه، وأنشأ مدرسة في نصيبين. وكان هدفها الأول نشر اللاّهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية. وأُقيم على رأس هذه المدرسة شيخ اسمه أفرام، امتاز بأعماله اللاّهوتية والأدبية، وصار الحجة المعتمدة في السريانية الفصحى.

وقد أطلق السريان على مدينة نصيبين إسم «أمّ العلماء» و«مدينة المعارف» و«أمّ الملافنة». ومن أهم أعلامها، على سبيل المثال لا الحصر، الأسقف يعقوب النصيبيني (309 ـ 383م) الذي أنشأ مدرسة نصيبين التي ذاعت شهرتها في مختلف بقاع العالم، ومار أفرام السرياني (306 ـ 373م) المعلّم الكبير والناسك الفضيل والملفان العظيم الذي ودّع مدينته باكياً ليقيم في جبال أسرهوني المقدّسة (الرُّها) في عهد الامبراطور الروماني يوليانس الجاحد، في حين كان قد لقّب مدينة ولادته نصيبين بمدينة آكاد العظيمة. وكانت مدرسة نصيبين أو بالأحرى أكاديمية نصيبين، منظّمة بقوانين وضوابط، ويديرها رئيس يدعى «ربّان»؛ أي معلّم تدريس الكتاب المقدّس والمواضيع الدينية المختلفة والطب والفلسفة.

وفي مدرسة نصيبين العليا، كما هو الحال في بقية جامعات القرون الوسطى، كانت الاهتمامات التعليمية تتركّز على مادتين رئيستين، هما: الخطابة والفلسفة. فمع أفول مدرسة الرُّها بدأ نجم مدرسة نصيبين منذ مطلع القرن السادس، ومن المرجّح أن العديد من موظفي الرُّها التحقوا بنصيبين وأبرزهم مديرها نرساي. وليست هناك معلومات وافية عن مناهج التدريس في مدرسة نصيبين ، لكن الغالب أنّ الموضوعات كانت دينية بشكل حصريّ، مع تشديد على التحليل اللغوي والأصول الليتورجية. ويظهر من كتابات بعض من تخرجوا في مدرسة نصيبين أنّها طوّرت نوعاً من أدب التفسير الذي يعتمد تقديم التعليلات للموضوع الجاري بحثه، هذا بالإضافة إلى منهجية نقدية غايتها التحقّق من متانة النصوص وصلاحيتها للتدريس[1].

(1) المركز الكاثوليكي للإعلام ـ دائرة التوثيق/ 25/ 1/ 2004.

تأثير مدرسة نصيبين

غدا العديد من تلامذة مدرسة نصيبين أساقفة، وكان البعض من أهم كتّاب ذلك العصر وعلمائه على صلة بالمدرسة، بصفة تلامذة أو مدرّسين. وكان من أشهر أساتذتها الجاثليق (الكاثوليك) آبا (تُوفّي سنة 552) الذي ترك الزرادشتية واعتنق المسيحية يوم كان يافعاً؛ ثم إنه جال بعدها كثيراً في الإمبرطورية الرومانية، فتعلّم اليونانية في الرُّها، وزار فلسطين ومصر والقسطنطينية. ولمّا عاد إلى الإمبرطورية الفارسية علّم مدة من الزمن بمدرسة نصيبين، ثم انتخب جاثليقا عام 541.

وقد ذاعت شهرة آبا، لا سيّما معرفته بالكتاب المقدّس، في الإمبرطورية الرومانيّة، وقد أتى على ذكره بالاسم المؤلف اليوناني كوزماس أنديكوبليستس (الذي كان قد التقاه في الإسكندرية) باعتباره «الرجل الأكثر تقىً والمعلّم الكبير، باتريكيوس» (علماً أنّ باتريكيوس هي الترجمة اليونانية لاسم آبا).

وقد حصل لقاء مهم آخر في القسطنطينية، حوالي منتصف القرن السادس، بين بولس «الفارسي»، من تلامذة المدرسة السابقين، ويونيليوس الذي استعملها منطلقاً لمقدِّمته الخاصة التي بقيت (باللاّتينية)، وعنوانها «في أقسام القانون الإلهي». وهكذا أثّر الكاتب بولس، بصورة غير مباشرة، تأثيراً بالغاً في الطريقة التي بات الكتاب المقدس يدرّس فيها بأوروبا الغربية خلال العصر الوسيط.

وقد وصلت الشهرة الأكاديمية العالية لمدرسة نصيبين إلى كاتب لاتيني آخر من كتّاب القرن السادس أيضاً، وهو كاسيودورس الذي أنتج

بالتعاون مع آخرين الفيفاريوم (كما كانت تُسمّى)، وعدداً من الأعمال التي اعتُبرت كتباً دراسية أساسية على مدى قرون عدة.

وقد تلقّى العديد من المؤلّفين السريان المهمّين في القرنين السادس والسابع تعليمهم في مدرسة نصيبين. ويمكن الإشارة من بين هؤلاء إلى إبراهيم الكشكري، مؤسّس دير رهباني عظيم الأثر في جبل إزلا (على المنحدرات الجنوبية لطور عبدين؛ حيث لا تزال الكنيسة قائمة إلى اليوم)، وباباي الكبير (توفّي سنة 628)، وهو كاتب ولاهوتي غزير الإنتاج، ويعدّ «كتاب الوحدة» ـ (أي وحدة طبيعتي المسيح) ـ الذي وضعه من أهم الأعمال الخريستولوجية في كنيسة المشرق.

غير أنّ ما بقي يصلنا بهذه المدرسة اليوم بصِلة ملموسة هي مخطوطة من الأناجيل (موجودة حالياً في المكتبة البريطانية) كتبت في المدرسة سنة 615.

لقد كانت مدرسة نصيبين جمعية حقيقية منظّمة ومقيّدة بقوانين وضوابط، يسوسها رئيس يدعى «ربّان»، أما منهاج التدريس، فيقول عنه عبديشوع الصوباوي في كتابه «نوما قانون»: «إن الدروس كانت تدوم ثلاث سنين، يقرأ التلاميذ فيها أسفار العهد القديم والجديد، ويتعلّمون الهجاء والقراءة والكتابة على اللّوح، والألحان الكنسيّة وتراتيل القدّاس وفقاً للسنة الطقسية، وتراتيل البيم[1] والقواعد والخطابة والجدل والموسيقى والهندسة والرياضيات، والفلك لاحتساب التقويم وأيام الأعياد والصوم، كذلك التاريخ وكتب التصوّف الروحي وسِيَر القديسين وأعمال الشهداء وكتابات الآباء».

---

(1) البيم هو مكان مرتفع في وسط الكنيسة كانت تُرتّل عليه جوقة الكنيسة.

أما الأمور المالية والاقتصادية، فكانت بيد رئيس البيت الذي كان مسؤولاً عن ممتلكات المدرسة كافة. وقد تمّ بناء حمّام في مدينة نصيبين، آلت أرباحه إلى سدّ نفقاتها، وبناء مستشفى لمعالجة المرضى، كما تمّ شراء قافلة جمال، آلت أرباحها إلى صندوق المدرسة. ومن هذه الواردات كان يتمّ تشييد أبنية جديدة للمدرسة، ومساعدة التلاميذ الفقراء والمرضى. كما شيّدت دار للضيافة لاستقبال الضيوف العابرين من المدينة، والاهتمام بهم.

ومن خلال هذا النظام الصارم والمنهجية الواضحة، كان يزداد عدد الطلاب بشكل مثير، حتى ناهز أحياناً 1000 طالب. وقد تبوّأ المتخرّجون أعلى المناصب في كنيسة المشرق، فمنهم جثالقة ومطارنة وأساقفة وعلماء ومؤسّسو مدارس جديدة.

ومنذ أن أنشئت مدرسة نصيبين سنة 325 وحتى بداية القرن الثامن، زمن انحطاط هذه المدرسة، تعاقب على إدارتها رؤساء متميّزون، أداروها بحكمة وهمّة، ساهرين على مصالحها الأدبية والمادية، فنمت وازدهرت في عهدهم، وأضحت جامعة بحدّ ذاتها، وهؤلاء الرؤساء هم: أفرام النصيبيني، قيورا، مار نرساي، أليشاع برقوزباي، إبراهيم بيث ربان، إيشوعياب الأرزني، إبراهيم النصيبيني، حنانا الحديابي، ربان سورين.

مدرسة جنديسابور

تُعتبر مدرسة جنديسابور التي أسّسها الملك كسرى في مدينة جنديسابور، أحد أبرز وجوه الحركة الثقافية في ذلك الوقت، وهي ساهمت إلى حدٍّ كبير في ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي.

ففيها تخرّج بعض الأطباء الذين نالوا شهرة في مجال الترجمة، ورعى بعضهم حركة الترجمة في ما بعد، وكثيراً ما ترجمت الكتب الطبية بصفة خاصة باسم أكثر من طبيب من هؤلاء.

وتُعتبر هذه المدرسة الفارسية أحد المسالك التي انتقلت من خلالها الثقافة الإغريقية إلى العرب، فكانت بذلك رافداً مهمّاً من الروافد التي اعتمدت عليها الحضارة الإسلامية في أيام صيرورتها.

ولقد كانت معهداً للدراسات الفلسفية والطبية، ومعظم أساتذتها من النصارى النساطرة. وبسبب شغف كسرى بالثقافة العقلية شمل تسامحه كلاً من النساطرة واليعاقبة، وصار النصارى السريان أطباء، فنالوا الحظوة التي نالوها في قصور الخلفاء في ما بعد.

وقد جعل كسرى أنو شروان هذه المدينة من أكثر المراكز العقلية أهمية في ذلك الوقت، بحيث ضمّت العلماء اليونانيين الذين تركوا أثينا لمقابلة الحكماء السريان والفرس والهنود. وبذلك قام علم التوفيق بين الآراء والمذاهب المتناقضة، والذي أصبح لاحقاً أكثر أهمية لتقدّم الفكر الإسلامي.

وفي هذا السياق يذكر غوستاف لوبون: «لمّا أغلق القيصر جستنيان مدارس أثينا قصد علماؤها بلاد فارس، فنقلوا أهم كتب علماء اليونان مثل أرسطو وجالينوس إلى السريانية وغيرها من لغات الشرق، وقد وجد العرب في بلاد فارس وسوريا، حينما استولوا عليهما، خزائن من العلوم اليونانية، فأمروا بنقل ما في اللّغة السريانية منهما إلى اللغة العربية، ثم أمروا بأن ينقل إليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قد نقل إلى اللغة السريانية، فأخذت بذلك دراسات العلوم والآداب تسير قُدُماً نحو الرقيّ».

ومن مآثر كسرى أنو شروان، أنه عمل على إرسال أطبائه إلى الهند، بحثاً عن المصنّفات الطبية الهندية، والتي ترجمت من السنسكريتية إلى الفارسية، وقد ترجم الكثير من الأعمال العلمية الأخرى من الإغريقية إلى الفارسية أو السريانية.

وإذا كانت مدرسة حرّان قد أثرّت بصورة رئيسية في ازدهار حركة الترجمة في القرنين الثالث والرابع للهجرة، فإنّ لمدرسة جنديسابور الأثر المباشر في ازدهار حركة الترجمة منذ القرن الثاني الهجري، حيث بدأ أول اتصال مباشر معها زمن الخليفة العباسي المنصور، وذلك عندما أحضر الأخير، رئيس أطباء جنديسابور، جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري، إلى بغداد، لمعالجته من مرض ألَمَّ به في معدته، ومن هذا التاريخ تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حركة الترجمة في العصر العباسي الأول بفضل مدرسة جنديسابور وأطبائها من رعاة هذه الحركة ونَقَلتها، ولم يكن لهذه المدرسة أيّ أثر لاتصال سابق قبل هذا العصر.

من جهته يقول الدكتور مايرهوف في هذا المجال: «وفي العصر الأموي لم يكن لمدرسة جنديسابور أيُّ أثر في قيام مدرسة طبية، ولو أنّ بعض الأطباء أتوا من هناك إلى جزيرة العرب وسوريا، وإنما بدأت العناية تتّجه إلى هذه المدرسة في أوائل حكم العباسيين الذين نقلوا عاصمة الملك إلى بغداد».

وهكذا تطوّرت العلاقة بين مدرسة جنديسابور وخلفاء بني العباس، وخصوصاً في زمن الخليفتين: المنصور والرشيد. وكانت العلاقة الطبية بين الطرفين تحتلّ المرتبة الأولى في أهمية هذه المدرسة في هذا العصر.

وقد كانت مدرسة جنديسابور، المدرسة الفعّالة والمهمّة للعرب إبّان

حركة الترجمة التي قادوها، والحضارة التي شيّدوها، وذلك بما قدّمته هذه المدرسة من نَقَلة مهرة، استطاعوا أن ينقلوا إلى اللغة العربية الكثير من التراث اليوناني.

ومن جهة أخرى، شكّلت هذه المدرسة البوتقة التي انصهرت فيها الأفكار اليونانية والهندية والفارسية الأمر الذي ساهم في ازدهار الحركة العلمية في بلاد فارس في عصر الحاكم كسرى أنو شروان. وفي هذا المضمار، تجدر الإشارة إلى أنّها تتشابه مع تاريخ مدرسة الإسكندرية لناحية كونها ملتقىً لعلماء الشرق والغرب، ولناحية اتّسام مؤسَّسها بالتسامح الديني والفكري وحبّه للعلم والأدب، ما يذكّرنا بما اتّصف به الخليفة المأمون.

وبالنظر إلى أهمية مدرسة جنديسابور الطبية، نشير هنا إلى أشهر الأطباء الذين انتقلوا منها إلى بغداد وهم جورجيس بن بختيشوع، وجبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع. أما أشهر هؤلاء الأطباء الجنديسابوريين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية فوائد جُلّى وفي مجالات مختلفة، فهو الطبيب والمترجم والراعي لهذه الحركة، يوحنا بن ماسويه.

وبالإضافة إلى ما ذكر ،مهّدت مدرسة جنديسابور، مع مجموعة من المدارس الأخرى، لبروز مركز جديد للترجمة، كان أعظم مركز قد أنشىء في العصر العباسي ألا وهو بيت الحكمة البغدادي. وعلى الرغم من سقوط الدولة الفارسية، استمرت الأكاديمية في نشاطها، وكانت جنديسابور بحقٍّ، مركزاً هاماً من مراكز الترجمة، وعلامة مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

المدارس التي نشأت في ظلّ الإمبراطورية الفارسية

لم تكن مدرسة نصيبين المدرسة اللاّهوتية الوحيدة في الإمبرطورية الفارسية؛ فمن المعروف أنه كان ثمَّة مدارس عدّة أخرى، ولكن لم يصلنا إلا النزر اليسير من المعلومات عن أنشطتها، هذا إنْ وصل. ولا شك في أنّ من أهمّ هذه المدارس مدرسة قطيسفون، عاصمة الشاهات الساسانيين الشتوية، ومقر جاثليق كنيسة المشرق في ذلك الوقت. وممَّا يستحق الذكر هنا مدرسة أخرى، كانت تقع في بيت قطراية (الجانب الغربي من الخليج)؛ لأنها خرَّجت عددًا من كبار الكتاب السريان في القسم الأخير من القرن السابع؛ ومن هؤلاء المتصرّف الكبير إسحق النينوي (إسحق السرياني)، الذي تُرجمت كتاباته إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة منها الروسية واليابانية، والذي لا يزال تأثيره ملموساً حتى اليوم.

كانت هذه المدارس اللاّهوتية سمة مميّزة لحياة كنيسة الشرق في العصر القديم المتأخّر، وكان الدور الذي قامت به في التاريخ الثقافي لهذه الكنيسة مهمًّا جدّاً. أمّا في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فيبدو أنّ هذا الدور الثقافي قد تركّز، في الدرجة الأولى، على الأديرة، لا على مدارس الكنائس. ومن أبرز المدارس التي نشأت في ظلّ الإمبراطورية الفارسية، على الرغم من أنها لم تكن موجودة ضمن حدود الإمبراطورية الفارسية، ولكنها تأثّرت بشكلٍ كبير بفارس:

مدرسة قطيسفون أو المدائن

تعدُّ هذه المدرسة في مقدّمات المدارس السريانية الشهيرة بالعراق. فيها نشأ ططيانس السرياني (الآشوري) مؤلّف كتاب «الدياطسرون» في القرن الثاني للميلاد.

مدرسة قنشرين

قامت مدرسة قنشرين في القرن السادس بسعي مؤسّسها يوحنا برافتوينا (538 م). وهي تقع على الضفة اليسرى من الفرات، واشتهرت بمركزها الديني لليعقوبية. وقد نبغ فيها علماء ومترجمون أمثال الأسقف ساويرا وتلميذه أثناسيوس الأول البطريرك (631م) ويعقوب الرَّهاوي الذي عُدّ أكبر رجال الحركة اليونانية المسيحية في اللّغة السريانية، وجورجيوس أسقف حوران المعروف بأسقف العرب، وتوما الحرقلي الذي نقل في العام 616م العهد الجديد من اليونانية إلى السريانية، والفيلسوف الكبير ساويرا سابوخت في القرن السابع والذي امتاز بعلومه ومصنّفاته الفلسفية والفلكية، وعلى يده وصلت الأرقام الهندية إلى العرب.

مدرسة رأس العين

اشتهرت هذه المدرسة في العصر الذهبي للسريان، وكانت على ضفة نهر الخابور بين رأس العين والحسكة بالقرب من قرية المجدل. وتفرّد رهبان ديرها المعروف بدير قرقفا بضبط حركات ألفاظ الكتاب المقدّس وتجويد قراءته، وعرف من رأس العين سرجيس الراسعيني (536) إمام عصره في الطب والمنطق والفلسفة، وهو أول النقلة من اليونانية إلى السريانية، ومن أخباره أنّ البطريرك أفرام الأنطاكي (526 ـ 545) وجّهه في مسائل خطيرة إلى روما وإلى القسطنطينية فنجحت مساعيه.

مدرسة قرتمين

تأسّست هذه المدرسة في طور عبدين سنة 397م. واشتهر رهبانها

خصوصاً بصنع الرقوق وتهيئتها لنسخ الكتب، وتفنّنوا بتجويد الخطوط، وتجديد الكتابة السطرنجيلية على يد رئيسهم المطران يوحنا في العام 988م. ويُروى أن عمانوئيل ابن أخ المطران المشار إليه، نسخ على رقِّ الغزال سبعين مجلّداً من الكتاب المقدّس، طبقاً للترجمة البسيطة والسبعينية الحرقلية[1]. وظلّ هذا الدير زاهراً حتى القرن الثاني عشر.

(1) نسبةً إلى ناسخها الحرقلي.

الفصل الثاني

المسيحيّة من ظهور الإسلام حتى ثورة الإمام الخميني

الباب الأول

المسيحيّون الإيرانيّون في ظلّ الحكم الاسلاميّ

شهد القرن السابع الميلادي أحداثاً سياسية ودينية هامّة غيّرت وجه هذه المنطقة. فبعدما كانت المسيحية عرضة للاضطهاد في المنطقة البيزنطية، ثم في المنطقة الفارسية، وفي مجابهة مستمرّة مع الوثنية بمختلف مظاهرها ومذاهبها، وجدت ذاتها على حين غرة، أمام ديانة أخرى ـ هي الإسلام ـ تبنّتها أقوام في الجزيرة العربية، وسرعان ما انتشرت بين سائر القبائل العربية، وامتدت إلى أقوام أخرى وإلى مختلف البلدان في الشرق والغرب.

وقد اتسّمت العلاقات المسيحية ـ الإسلامية أحياناً بشيء من التأزّم الناجم عن قلّة انفتاح لدى بعض الحاكمين، أو عن قلّة المرونة والفطنة لدى المسيحيين. إلا أنّ تلك كانت أزمات طارئة أعقبتها انفراجات أتاحت للمسيحيين أن ينعموا بحرّيتهم الدينية وأن يمارسوا شعائرهم في ظلّ الخلفاء الراشدين ثم الأمويين والعباسيين.

القسم الأول

المسيحيّة في الجزيرة العربيّة

1 ـ اليمن ونجران

تعرّضت المسيحية منذ دخولها إلى نجران لصعوبات جمّة من أسياد اليمن الذين رأوا في هذه الديانة الجديدة خطراً يهدّد وحدتهم ويقلّص سلطتهم. وكان ذو نؤاس في صنعاء قد انضمّ إلى الديانة اليهودية وأضحى من المتعصّبين لها. وقد اتخذ مقتل يهوديين على أيدي النجرانيين ذريعة للإيقاع بأهل نجران المسيحيين، بالإضافة إلى حقده الشديد عليهم لكونهم موالين للأحباش أعدائه، فقتل منهم سنة 523 نحو عشرين ألفاً حسب المؤرخين. ويشير القرآن الكريم إلى هذه المجزرة الرهيبة التي يسمّي ضحاياها بأصحاب الأخدود. وقد أدت إلى تدخّل الأحباش في اليمن سنة 525 عبر البحر الأحمر، والاستيلاء عليها، وذلك بتحريض من الروم وبمساعدتهم. أما ذو نؤاس، ففي غمرة يأسه، امتطى حصانه نحو البحر وغرق. وهكذا انتهت المملكة الحميرية.

وفي سنة 531، ثار قائد مسيحي يدعى أبرهة ضد النجاشي الحبشي وتخلّص من سلطته، مع بقائه حليفاً لبيزنطية. ويقال إن هذا القائد حاول الاستيلاء على مكة سنة 542، ولكنه أخفق في مسعاه. وظلّت أسرته تحكم بلاد اليمن حتى سنة 570، بمساعدة الروم. إلا أنّ الفرس غزوا البلاد وعيّنوا عليها أميراً عربياً هو مهدي كرب بن سيف بن ذي يزن، يساعده في الإدارة مستشارون فرس. ثم غزاها الفرس مرة ثانية سنة 597 وجعلوها مقاطعة فارسية. وكانت تلك فرصة مؤاتية لتغلغل العنصر

النسطوري. وكانت الكنيسة النسطورية قد نظّمت شؤونها في بلاد ما بين النهرين، ونما فيها الوعي برسالتها التبشيرية في المناطق الشرقيّة والغربيّة.

وهكذا فقد استمرت الديانة المسيحية بمختلف صيغها في نجران من دون أن تتعرّض لمضايقات كبيرة. ويذكر المؤرّخون العرب بين أساقفة نجران «قس بن ساعدة» الذي لفتت فصاحته الرسول حينما سمعه يوماً يخطب في سوق عكاظ في الحجاز.

المسيحيّة في الحيرة

دخلت الديانة المسيحية الحيرة في وقت مبكر، وسرعان ما أصبحت الديانة السائدة فيها. وقلنا سابقاً إنّها كانت قد انتشرت في بلاد ما بين النهرين منذ نهاية القرن الأول وفي مطلع القرن الثاني. ويقول الطبري إنّ أمرأ القيس الأول (288 ـ 328) هو أول من تنصّر من اللخميين، بينما يقول ابن خلدون إنّ النعمان ابن الشقيقة (الأعور أو السائح) (403 ـ 431) هو أول من تنصّر. إلا أنّ تنصّر الملوك اللخميين لا يبدو عميقاً ومستمراً، فبسهولة كان يعود البعض منهم إلى الوثنية من جديد.

ومنذ القرن الخامس، أصبحت الحيرة مركزاً دينياً هامّاً، بالإضافة إلى كونها مركزاً مرموقاً للتجارة والثقافة المسيحية، وقطباً جذّاباً للبدو الساكنين في البلاد العربية ما قبل الإسلام، وطريقاً للقوافل المنطلقة نحو آسيا الداخلية، ومركزاً تتفاعل فيه الأفكار والمذاهب قبل انتشارها في قلب الجزيرة. ومن هذه المدينة انطلقت إرساليات مسيحية على الطرق التجارية نحو البحرين وعُمَان وغيرهما من البلدان الواقعة على الخليج

العربي. وفيها عُقدت بعض مجامع لكنيسة المشرق (مثلاً مجمع داديشوع سنة 424). وقد دفن فيها عدد من جثالقة المشرق. وعلى أثر الجدالات التي دارت في القرن الخامس، تبنّت الحيرة المذهب الشرقي (النسطوري) أسوة بكنيسة فارس كلّها. إلا أن المنوفيزيين أيضاً حاولوا الانتشار فيها.

العلم في الحيرة

كان الملوك العرب، من المنطقة الشرقية أو الغربية، وتحت ضغط تأثيرات خارجية، يميلون دوماً، نتيجة خصائصهم العرقيّة والقوميّة، إلى القيام بدورهم الخاص بهم. فكانوا إمّا يتحزّبون لسلطة كبيرة ضدّ أخرى، أو يبحثون عن التخلّص من وصاية حُماتهم الفرس أو البيزنطيين. وهذا ما حدا بالفرس للقضاء على مملكة اللخميين سنة 602 أو بعدها بمدّة وجيزة، بعد انتفاضة ملكها الأخير النعمان الثالث بن المنذر ضد كسرى الثاني الفارسي. و أصبحت الحيرة منذ ذلك الحين تحت سيطرة الفرس المباشرة، إلى أن احتلتها الجيوش الإسلامية سنة 633 بقيادة خالد بن الوليد. وقد ظلت عامرة فترة أخرى بعد ذلك، يتردّد إليها الخلفاء والوزراء، إلّا أنّ تأسيس الكوفة بالقرب منها طغى عليها، فتضاءل نفوذها شيئاً فشيئاً وفقدت أهميّتها.

الفتوحات العربيّة (636 ـ 711)

لم تكد الدولتان الفارسية والرومانية توقّعان معاهدة الصلح بينهما حتى فوجئتا بالفتح العربي الإسلامي. فبحلول أوائل القرن السابع، أصبحت المنطقة الغربية من إيران، خصوصاً المقاطعات الواقعة في بلاد

الرافدين، مسيحية في غالبيتها. لكن الفتوحات العربية، وضعت حداً للتوسع المسيحي هناك.

هجم العرب من الصحراء على الدولة الفارسية واستولوا عليها بعد المعركتين الفاصلتين، القادسية 636 ونهاوند 643. وقد مكّنتهم القادسية من فتح العراق أما نهاوند فقد ساعدتهم في فتح إيران، ولذلك دُعيت «فتح الفتوح».

وافتتح الخلفاء الراشدون سورية وفارس (636 ـ 643) ومصر وجزءاً من آسيا الصغرى (639 ـ 644).

أوضاع المسيحيين العامّة

عندما استولى العرب على سورية والعراق ومصر وأفريقيا الشمالية، كان معظم السكان يؤمنون بالنصرانية، وقد فتحت لهم المدن أبوابها بموجب عهود أُبرمت بينها وبينهم، وكانت هذه العهود متقاربة سارت على نمط واحد، واقْتُبست أهم شروطها من العهد الذي أبرمه الرسول محمد مع أهل نجران النصارى، وهو لم يرغمهم على الدخول في الإسلام بل اكتفى بفرض الجزية عليهم، وتعهّد بالمحافظة على دينهم وحياتهم وأرزاقهم. وأشهر العهود من بعده هو العهد الذي عقده عمر بن الخطاب مع صفرونيوس بطريرك القدس المَلَكِي سنة 638، عندما تسلّم منه مفاتيح المدينة المقدّسة. وقد ساعدت هذه الشروط السمحة، مع عدم ولاء اليعاقبة للبيزنطيين، على إضعاف مقاومة المدن أمام الفاتحين، وعلى تثبيت الفتح العربي. ولمّا استتب الأمر للعرب بعد السنوات الأولى من الفتوحات، اضطُرّ الحلفاء والحكام إلى إصدار أحكام واضحة

تحدّد موقف المسلمين من النصارى، وتنظّم أوضاعهم الدينية والسياسية والاجتماعية. وقد عرفت هذه الأحكام بـ«سياسة العهود». وسواء نُسبت إلى الخليفة عمر بن الخطاب أم إلى غيره من الخلفاء، فالمهم أنّها توضح حقوق المسيحيين وتحدّد واجباتهم. واتّصفت هذه العهود بالسماحة ورحابة الصدر، فسمحت لمن شاء من السكان والرهبان والموظفين بالهجرة إلى الأراضي البيزنطية، فغادر الدولة الإسلامية عدد وافر من نصارى سورية، وأقاموا في بلاد الروم وفي جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، وحافظ الباقون على كنائسهم وأموالهم وحريتهم الدينية وشرائعهم الخاصة بقيادة أساقفتهم.

ونشير هنا إلى أنّ هذه الشروط سُمّيت بالذمة أو العهد والأمان، وأُطلق اسم أهل الذمة على المسيحيين واليهود؛ لأنهم في ذمة المسلمين؛ أي في عهدهم وحماهم. وللذمّيين حق الأمان على نفوسهم وأموالهم، وحق الحماية والسكن، ومزاولة الأعمال المختلفة فلا قيد عليهم إلاّ في تغيير الدين. وبالمقابل عليهم واجبات وهي دفع الجزية، وعدم الاجتماع على قتل المسلمين، وعدم دفع المسلم للتخلّي عن دينه، وقطع الطريق عليها وقتله، أو معونة المشركين عليه في القتال أو التجسس، أو الإيواء، أو التعرّض لدينه ونبيّه وكتابه.

وكان للمسيحيين شأن عظيم في الدولة العربية الإسلامية إبّان القرن الأول الهجري. فقد ساهمت القبائل المسيحية في الفتوحات العربية وتثبيت أركان الحكم العربي، وبقيت جماعات كثيرة على دينها مثل أقباط مصر وموارنة لبنان وقبيلة تغلب في الجزيرة وغيرهم. وكان نصارى الشام من القبائل اليمنية، وكانوا سند معاوية والأمويين في

الجيش وفي الأسطول. وبقيت إدارة الدواوين في أيديهم، وسمح الخلفاء والولاة لهم ببناء كنائس جديدة، وإبداء شعائرهم الدينية بالرايات والصلبان.

دور النصارى في الدولة الإسلاميّة

ساهم النصارى مساهمة فعّالة في بناء الدولة الإسلامية، وتوطيد أركانها، وإعلاء شأنها من النواحي السياسية والعلمية والدينية:

1 ـ **من الوجهة السياسيّة**: اشترك النصارى في الفتوحات العربية، وكانت لهم اليد الطولى في توطيد أركان الخلافة الأموية، وفي إنشاء الأسطول الذي منح العرب تفوّقاً في البحر ثلاثة قرون. كما ساهموا في تدعيم أُسُس الدولة الإسلامية، فشغلوا مناصب عالية في التنظيم والتنفيذ. وكان بينهم الكثيرون من التجار والمزارعين ورجال الصناعة، فدعموا اقتصاديات البلاد ورفعوا مستواها، وبالتالي تفوّقت على الدولة البيزنطية المتاخمة.

2 ـ **من الوجهة العلمية**: كان للنصارى الفضل العظيم في نقل الحضارة اليونانية إلى العرب، ولا سيما علوم الطب والفلك والمنطق والفلسفة، فترجموا الكتب وصاغوها في قوالب استطاع العرب أن يزيدوها عمقاً وتحليلاً. وأشهر التراجمة حنين بن إسحق وقسطا بن لوقا البعلبكي. وكان أشهر الأطباء من النصارى، يذكر بينهم آل بختيشوع. ولم يكتف المسيحيون بالنقل والترجمة بل كانوا يؤلّفون ويدرّسون. وقد تتلمذ الفارابي على يد عالِمين مسيحيّين.

3 ـ **من الوجهة الدينية**: لم يتوقّف تأثير النصارى عند النواحي السياسية والعلمية، بل تعداه إلى الناحية الدينية أيضاً. وكانت العلاقات الدينية كثيرة بين رجال الدين المسلمين والنصارى، وقامت جدالات صريحة بين الفقهاء واللاّهوتيين بحضرة المأمون فأثّرت في نشأة علم الكلام عند المسلمين. وكانت الأديرة الكثيرة آنذاك محجّ لعددٍ وافرٍ من المسلمين، فكان لحياة الرهبان والنساك تأثير في ولادة التصوّف الإسلامي ونشأته. ويتضح من هذا كلّه أنّ العلاقات كانت وثيقة بين المسلمين والنصارى. فلم يكن المسيحيون منعزلين عن مواطنيهم في أحياء خاصة بل اشتركوا مع المسلمين في الحياة العامة، فقامت الحضارة العربية الإسلامية على أكتافهم كما قامت على أكتاف المسلمين.

المسيحيّون في عهد الخلفاء الراشدين

دخلت جحافل العرب الفاتحين أرض الرافدين، واستطاعت سريعاً أن تنتصر على الجيوش الفارسية، وأن تدكّ معاقل قواتهم المتقهقرة، وتقضي على مملكتهم. فاستقبلهم سكان البلاد بحرارة، ولا سيما المسيحيون الذين كانوا يعانون في كلّ العهود الفارسية تقريباً من الظلم والتعسف، فرأوا في القادمين الجدد محرِّرين يزيحون عن كواهلهم هذا الظلم والطغيان. وكذلك نظر إليهم المسيحيون القاطنون في المنطقة الرومية. ولمّا كان العرب المسلمون يقاتلون الساسانيين، كانت في صفوفهم قبائل عربية نصرانية من الحيرة ومن مناطق أخرى، تقاتل إلى جانبهم، ولها حصتها من غنائم الحرب. وكانت لهذه المبادرات صداها الطيّب في نفوس المسلمين.

ومن المهم القول إنّه كان للنزعة الإنسانية التي اتّسم بها الإسلام تأثير عظيم في من يدخل تحت سلطة المسلمين من رعايا الروم والفرس.

وعندما فتح العرب المسلمون بلاد فارس، كان البطريرك إيشوعياب الثاني الجدالي (628 ـ 646) متولّياً زمام الأمور الكنسيّة في المشرق. ويقول عنها «التاريخ الصغير»: عندما رأى إيشوعياب الجاثليق أن العرب دمّروا ماحوزا (المدائن)، ونقلوا أبوابها إلى العاقولاء (الكوفة)، وأخذ يفتك بالسكان الباقين فيها، ذهب فحلّ في بيت كرماي في قرية كرخا[1].

المسيحيّون في ظلّ العهد العباسيّ

ساد في الدولة العباسية جوّ من البحث العلمي أتاح معايشة سلمية بين المسلمين وغير المسلمين، وخلّف مناخاً من الحريّة داخل ديار الإسلام أدّى إلى ظهور حركات دينية مختلفة ومتكاملة. وكان للمسيحيين الشرقيين تاريخ طويل في هذه البلاد قبل مجيء العباسيين، بل قبل مجيء الإسلام. إلّا أنّ العباسيين فتحوا عهداً جديداً أمام كنيسة المشرق فقد وجدوا في الفرس وفي السريان العنصر المثقف الذي سيملأ دوائر الدولة، ويُشغل مناصب مرموقة فيها، لذا استعان الأمراء المسلمون كثيراً بالمسيحيين للإدارة والتنظيم الاقتصادي في الدولة. وأتاح المسيحيون للعرب المسلمين التعرّف على الفلسفة والعلوم الغربية، ولا سيما اليونانية منها، علماً أنّ هذا التعاون كان عسيراً في بدايته.

(1) هي مدينة في إيران

دور المسيحيّن في البلاط

كانت معظم الأضابير والسجلّات، في بدء عهد الأمويين في دمشق، باللّغة اليونانية، وفي أيدي مسيحيين غالبيتهم من الأروام أو من السريان الأرثوذكس المتخرّجين في مدرسة قنسرين على ضفة الفرات الأعلى، أو في غيرها من المدارس السريانية الشهيرة في منطقة الروم. وأولى مجيء العباسيين إلى الحكم ونقل العاصمة إلى بغداد، أهميّة كبرى للكوادر المسيحية المثقّفة. وقد أهلّتهم ثقافتهم العلمية وخبراتهم الإدارية الدخول إلى بلاط الخلفاء حيث أصبحوا أساتذة الفلسفة والعلوم. وبالإضافة إلى وجود قبائل عربية مسيحية ذات نفوذ كبير في الدولة على الصعيدين السياسي والثقافي، كالغساسنة والمناذرة اللخميين والعباديين وبني طي وغيرهم ، فإن المسيحيين الساكنين في قلب البلاد، استطاعوا التوصّل إلى مناصب رفيعة في الدولة، وشغلوا مراكز حساسة فيها.

ومن الذين شغلوا وظائف مهمة في عهد العباسيين الأوائل نذكر:

أ ـ الكتّاب

كان هؤلاء يشرفون على تدوين الوثائق الحكومية وتنظيم الإدارة. وهم على نوعين: منهم مسؤولون عن «كتابة الإنشاء»؛ أي كتابة الوثائق الرسمية بأسلوب رفيع ولغة عربية سليمة. ومنهم مسؤولون عن «كتابة الأموال»، وهم محاسبون أكفياء ومشرفون على تنظيم الضرائب. وكان نفوذ المسيحيين كبيراً في كلا الصعيدين، وذلك بالنظر إلى ثقافتهم الواسعة ومعرفتهم بلغات عديدة، منها اليونانية والسريانية والعربية.

ب ـ الأطباء

وفي السياق نفسه، كان الطب متقدّماً جداً في مدرسة جنديسابور،

التي قصدها عدد كبير من علماء المسيحيين السريان من مدرسة الرها التي أغلقت سنة 489. ولما أغلقت مدرسة أثينا في مطلع القرن السادس، انض بعض من فلاسفتها الأفلاطونيين الجُدُد إلى مدرسة جنديسابور، وشكّلوا مع أطبائها أكاديمية جديدة زوّدت العالم الشرقي بأطباء يمتازون بكفاية عالية طوال ثلاثة قرون، وضاهت في الشهرة مدرسة الإسكندرية العظيمة.

ويمكن القول هنا أنّ كنيسة المشرق ضمنت لنفسها، بفضل أطبائها، حالة جيدة داخل الدولة العباسية. فقد أولى المسلمون الطب اعتباراً كبيراً؛ لأنه يضاهي عندهم وينافس علم الكلام أهمية، كما يقول المثل: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان». لذا كان لهؤلاء الأطباء المسيحيين تأثير كبير في الطب العربي وفي تاريخ الكنيسة وفي الدولة العباسية.

وقد اشتهر في الطب آل بختيشوع الذين خدموا الخلفاء أكثر من قرن. ولعب جبريل دوراً بارزاً حيث مارس الطب في عهد هارون الرشيد الذي استدعاه ليشفي إحدى حظاياه من شلل أصاب ذراعها، فلجأ إلى علاج نفساني وتمكّن من شفائها. وبذلك حظي بثقة هارون، حتى قال يوماً: «من له سؤال فليعرضه على جبريل، وسأفعل كل ما يطلبه مني». وقد استفاد طيمثاوس من نفوذ هذا الطبيب لدى البلاط، حتى قال عنه إنه بمثابة اليد له والشفتين واللسان والضمير والعقل، ولكنه درع المسيحيين في البلاط. ولكن هذا لم يثنه عن رشقه بالحرم حينما خالف الشريعة المسيحية في شأن الزواج .

وكان ثمة أطباء مسيحيون آخرون في خدمة الخلفاء وحاشياتهم، منهم عيسى بن قريش طبيب الخيزران زوجة المهدي، ويوحنا بن ماسويه

الذي عالج المأمون، واهتم بنقل كتب الطب اليوناني إلى العربية، والذي عيّنه المأمون رئيساً للمترجمين في بيت الحكمة، وكان حنين بن إسحق من بين العاملين تحت رعايته، وغيرهم.

ج ـ المترجمون (النَقَلة)

غنيّ عن القول إنّ تيار الفلسفة والعلوم الذي توقف فترة في الغرب، استأنفه الخلفاء العباسيون بمساعدة علماء مسيحيين شرقيّين. وكانت هذه العلوم قد تسرّبت إلى مدارس الشرق: مدارس نصيبين ودير قني وجنديسابور وساليق. وقد قام العلماء المسيحيّون الشرقيّون بدور رئيس في نقل الثقافة والعلوم اليونانية إلى العالم العربي، ومن خلاله عادت إلى الغرب من جديد، وحقّقوا ترجمات سريانية، ووضعوا كتباً علميّة وفلسفيّة وشروحاً وافية لمختلف الأبحاث والعلوم، وهم أظهروا بذلك كفاءة عالية وشمولاً في المعارف، فكانوا يجمعون أحياناً بين الطب والفلسفة والعلوم والرياضيات والدين معاً، وقاموا بنقل التراث اليوناني إلى السريانية ومنها إلى العربية، وأحياناً نقلوها رأساً من اليونانية إلى العربية.

وكان الخليفة المنصور أوّل من اهتمّ بالعلوم اليونانية، فأنجز له جرجس بن بختيشوع الترجمات الأولى إلى العربية. وترجم طيمثاوس نفسه بعض الكتب اليونانية إلى العربية. أما الذي اهتمّ حقاً بعملية النقل فهو الخليفة المأمون[1] الذي جمع مخطوطات كثيرة، وأسّس في بغداد «بيت الحكمة» ، حيث وفّر للعلماء مكتبة عامرة بالمخطوطات، فكثر

---

(1) أسّس بيت الحكمة أولاً هارون الرشيد، إلا أنّ ابنه المأمون وسّع هذا البيت، وأردفه بالكتب والمترجمين والنقلة والنسّاخ، فازدهر في عصره ازدهاراً كبيراً.

النسّاخ والمجلّدون وأدوات البحث العلمي وحتى المراصد. وأرسل الخليفة وفداً، برئاسة حنين بن إسحق، إلى الروم لجلب مخطوطات نادرة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والرياضيات والطب. وكان حنين أشهر المترجمين في ذلك العصر.

وهكذا كانت الإدارة، وهي دعامة الحكم العباسي، تستند خصوصاً إلى الكتّاب المسيحيين، كما كانت صحّة الخلفاء والأمراء تحت رعاية أطباء مسيحيين، وكانت الثقافة والعلوم اليونانية رهن جدارة مترجمين وعلماء مسيحيين. وقد قام هؤلاء المثقّفون بدور هامّ أيضاً في كنيسة المشرق، فكانت لهم اليد الطولى في إدارة شؤونها وفي سير انتخابات رؤسائها، وكانوا بذلك حلقة وصل بينها وبين السلطة الحاكمة، وعنصراً هامّاً لخلق جوّ من التفاهم والسلام بين الديانتين المسيحية والإسلامية، على الرغم من النعرات والحركات المتطرّفة التي حاولت أحياناً تعكير الأجواء في الدولة العباسية.

بعد ذلك، نَعِم المسيحيون بالحريّة التامة خاصّةً في ظلّ الدولة الطولونية[1]، فتمتعوا بنفوذٍ عظيم، وشغلوا المناصب العالية في عهد الفاطميين بمصر. وشذّ عنهم الحاكم بأمر الله الفاطمي، فاضطهد النصارى، وهدم كنيسة القيامة في القدس سنة 1009، ثم رجع عن غيه في آخر حياته.

واختلط المسيحيون بالمسلمين في المجتمع العربي الإسلامي،

(1) بنو طولون، هم سلالة من الأتراك المستعربة حكمت في مصر والشام وفلسطين سنوات من 868 حتى 905.

واصطبغت علاقاتهم المتبادلة إجمالاً بصبغة المودّة. وما توتّرت إلّا نادراً كما حدث بعد انتصار الروم في القرن العاشر على الجيوش الإسلامية، فهدم المسلمون بعض كنائس النصارى. ولم تدم القيود والمضايقات إلّا فترة وجيزة، عاد بعدها الصفاء بين المسلمين والنصارى ورجعوا إلى الألفة وحسن الجوار. وقد نعم النصارى في العصور العربية الإسلامية الزاهية، على الرغم من القيود وعدم المساواة في الحقوق، باحترام المسلمين وتقديرهم، فكان لهم شأن في الدولة تمكّنوا به من المحافظة على معظم كنائسهم وأديرتهم، كما حافظوا على حيويتهم الدينية. وما ساءت أحوال النصارى إلا في العصور اللاّحقة، أيام طغت على العرب غزوات الأتراك والمغول فعمّت الفوضى، وانتشر التعصّب، وفرّق الجهل بين المسلمين والمسيحيين.

القسم الثاني

وضع المسيحيّين في إيران

تمتّع المسيحيون كالزرادشتيّين واليهود في ظلّ الشريعة الاسلامية، بكيان معترف به؛ حيث مُنح أهل الكتاب حماية الدولة الإسلامية مقابل دفع ضريبة خاصة تُسمّى الجزية. لكنّ المسيحيين ـ مثل أيّة أقليّة ـ كانوا في الوقت نفسه خاضعين لبعض القيود ولأشكال من التمييز، فلم يكن مسموحاً لهم ببناء أيّ كنائس جديدة، كما لم يكن مسموحاً لهم بتشييد أيّ بناء أعلى من الأبنية التي يبنيها المسلمون، وكان محظّراً عليهم قرع أجراس الكنيسة أو شرب الخمر بشكل علنيّ.

وعلى هذا الأساس، عاش المسيحيون واليهود وسط بيئة تذكّرهم بأنهم ما زالوا مواطنين من الدرجة الثانية، على الرغم من أن الحكم العربي الإسلامي في كثير من الحالات كان يمثّل تقدّماً ملحوظاً بالنسبة إلى الحكم الساساني. وقد اعتبر الكثير من المسيحيين أن الفتح الإسلامي نوع من الحساب الإلهي للزرادشتيين الفاسدين، في حين نظر إليه آخرون على أنه عقاب لهم على ضعف تمسكهم بعقيدتهم، مثل اعتناق مبدأ الطبيعة الواحدة للسيد المسيح، أو التحوّل إلى الإسلام.

تطوّر أوضاع المسيحيين في المشرق

تطوّرت أوضاع المسيحيين في آخر القرن الأول الهجري (آخر السابع الميلادي)، فقد عرّب الخليفة لغة الدواوين، واستغنى عن كثير من الموظفين النصارى، وضغط على بني تغلب لحملهم على الدخول في الإسلام. وتعهد الفقهاء حقوق الذمّيين وواجباتهم بالذكر والشرح

والتفصيل، وزادوا في القيود. في المقابل بقي الخلفاء والولاة أكثر منهم تسامحاً، فكثيراً ما قرّبوا إليهم المسيحيين، واستعانوا بهم وقدّروا علمهم وخدمتهم في الطب والفلسفة والكتابة. ورغم تضاؤل عددهم وأهميتهم في ظلّ الخلافة العباسية فقد ظلّ لهم شأن يُذكر حتى قيام السلاجقة وحملات الفرنجة.

وقد نكّل بالنصارى وجماعة المعتزلة من المسلمين المتوكل واضطهدهم وحظّر عليهم تدريس اللغة العربية ودخول المدارس العامة. وقد أضعفت هذه القيود نفوذ النصارى وقلّلت عددهم.

وبعد الفتح الإسلامي لإيران وانتشار الإسلام فيها، ساعد المسيحيون العرب في إدارة شؤون البلاد، ولم يمنع الإسلام قيام علاقات اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وأهل الكتاب سواء كانوا مسيحيين أم يهوداً. ويُعتبر تغيّر الأوضاع السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في روسيا وتركيا، من أبرز العوامل التي أدّت إلى زيادة عدد المسيحيين في إيران بسبب سوء المعاملة التي كانوا يتلقّونها هناك خصوصاً تجاه الأرمن.

ثم شهد المسيحيون في إيران تحسناً قصير الأمد في وضعهم بعد الغزوات المغولية التي بدأت في القرن الثالث عشر. ولكن، كان للمغول مقاربة نفعية للدين؛ أي أنّهم كانوا يتقرّبون من أي فئة كانت توحي بأنها نافعة لهم، فيحاولون الاستفادة منها لهذا الغرض. ولهذا السبب، كانوا لا يحبّذون تفضيل دين على آخر، وذلك خشية فقدانهم الروابط التي يمكن أن تكون نافعة مع الأديان الأخرى.

مع ذلك، وفي ظل الحكم المغولي، كانت هنالك عوامل محدّدة

صبّت في مصلحة المسيحيين الإيرانيين. أولاً، معظم الحكام الذين قاوموا الجيوش المغولية كانوا من المسلمين. وهذا ـ إضافة إلى حقيقة أن المسلمين كانوا يسيطرون على التجارة البعيدة المدى في معظم القارة الآسيوية ـ خلّف نوعاً من انعدام الثقة عند المغول. كما كانت هنالك نساء ذوات شأن من ضمن العائلة المغولية الحاكمة آمنّ بالمسيحية من المبشّرين النسطوريّين. وأخيراً كان المغول يطمحون إلى إقامة أحلاف مع أوروبا المسيحية ضد الدول الإسلامية في الشرق الأدنى. وهكذا، بعد اجتياح الجيش المغولي لبغداد، وتدميرها، وقتل الخليفة (في العام 1258)، وجد أولئك المحظوظون من المسيحيين الذين تمكّنوا من النجاة من أعمال الذبح الأولية، أنّهم كانوا يلقون آذاناً متعاطفة في البلاط المغولي.

أما بالنسبة إلى المسلمين، فقد كانوا ينظرون إلى المغول على أنهم متوحشون، وكانوا يكرهون أن يخدموهم. ونتيجة لذلك، استطاع المسيحيون مرّة أخرى إيجاد وظائف هامة في الإدارة الحكومية الجديدة، وخاصة بعد تأسيس المغول عاصمتهم في مدينة تبريز في آذربيجان ذات الغالبية المسيحية. حتى أن الحاكم المغولي الثاني، آباقا خان (تُوفّي في العام 1228)، أصدر بالفعل مرسوماً يقضي بوجوب أن يكون الموظفون الحكوميون إما مسيحيّين أو يهوداً. ولكن، للأسف، لم يكن المسيحيون حكماء ليستفيدوا من هذا التحسّن في وضعهم الاجتماعي، حيث استخدموه للانتقام من منافسيهم المسلمين وإهانتهم من خلال شرب الخمر بشكل علني، وإقامة الحفلات الصاخبة. في تلك الفترة، وصل رهبان من روما إلى إيران، وأنشأوا مقرّات في الجزء الشمالي الغربي من البلاد.

غير أنّ قوّة المسيحيين الحديثة العهد، لم تُعمَّر طويلاً. فقد وجد الخانات[1] في نهاية الأمر أنّه من الأنسب لهم أن يتحالفوا مع الغالبية المسلمة في إيران، حتى أن قازان خان، اعتنق الإسلام بعد تولّيه الحكم في العام 1304. وفي العقود الأولى من القرن الرابع عشر، تعرّض المسيحيّون الإيرانيّون، بعد فقدانهم حماية المغول، لمذابح جماعية على يد المسلمين. ثم وجّه تيمورلنك التركي القادم من آسيا الوسطى ـ الذي كان يعتبر نفسه جنكيز خان الثاني، وفي الوقت نفسه الرجل الذي سيعيد إحياء الإسلام السنّي(«السلفي») السائد في وجه الشيعة والمذاهب «الكافرة» الأخرى ـ الضربة القاضية عندما غزا إيران في العام 1394، مدمراً الكنائس والأديرة، ومرتكباً المذابح بحق المسيحيين اينما حل.

وبعدما اجتاح تيمورلنك جميع مدن ما وراء النهر وخوارزم، استولى أيضاً على شيراز ثم على بلاد فارس. ولم ينته القرن الرابع عشر الميلادي إلا وكانت قواته قد اجتاحت القسم الغربي من أواسط آسيا وإيران والعراق والأناضول والهند، وأطبقت طلائعها على تبريز سنة 788هـ/ 1386م، بعدما احتلت مدينة السلطانية. فانسحب السلطان، أحمد إلى بغداد. وفي سنة 795هـ/ 1393م، زحف تيمور إلى بغداد ودخلها، وأعمل فيها السيف والدمار، حتى قيل إنه قتل 90 ألفاً من أهلها، وانه بنى هرماً من رؤوس هؤلاء القتلى. أما السلطان أحمد فهرب إلى الشام. ثم إلى مصر مستجيراً بسلطانها الملك برقوق.

وفي القرن الخامس عشر، أرسل آلاق قوينلو جيشاً إلى بغداد

---

(1) سلالة مغولية حكمت في بلاد فارس (إيران) والعراق وأجزاء من الشام وشرق الأناضول والقوقاز سنوات من 1252 حتى 1335.

وحاصرها سنة 873 هـ/ 1468م، فدافع عنها حاكمها ألوند دفاع الأبطال، وكاد يحرز النصر على أعدائه. ولكن حسن الطويل أدرك جيشه، ودارت المعركة الحاسمة التي أسفرت عن اندحار جيش ألوند وسقوطه قتيلاً في المعركة وسقوط بغداد بيد الطويل الذي ولّى عليها ابنه مقصود، وسار هو لفتح عراق العجم.

بعد موت السلطان يعقوب، تجدّدت الاضطرابات وكثرت الحروب الأهلية بين أمراء السلالة الحاكمة. وأعلن ثلاثة من هؤلاء الأمراء في وقت واحد أنفسهم سلاطين، وهم: ألوند، ومحمدي ميرزا، ومراد، وكان العراق وبلاد فارس من حصة مراد الذي قوي أمره في شيراز، فحمل بجيش جرار على محمدي ميرزا وقاتله في أصفهان حتى تمكّن من القبض عليه سنة 1499. ثم توجه لمحاربة الوند في تبريز، وبعد عدة معارك، تم الصلح بينهما، واتفقا على أن تكون ديار بكر واذربيجان وآران للأمير الوند، وأن يكون العراقان (العجمي والعربي) لمراد بك.

وحينما تمّ الأمر لمراد بك، استناب عنه في بغداد شخصاً قيل إنّ اسمه بارك (باريك)، فوّض إليه شؤون البلاد العراقية. وما كادت الأمور تستقرّ بعض الشيء، حتى ظهر الشاه إسماعيل الصفوي الذي ينتسب إلى أسرة تركمانية صوفيّة تتحدّر من الشيخ صفي الدين المُتوفّى سنة 1334. واستغل إسماعيل حالة الفوضى السائدة في حكومة آلاق قوينلو، وشرع يوسّع رقعة نفوذه، فدخل تبريز في مطلع القرن السادس عشر، وأعلن نفسه شاهاً. أمّا السلطان مراد فقد توجّه إلى شيراز ومنها إلى بغداد، وحاول مصالحة الشاه إسماعيل ولكن من دون جدوى فكان الشاه قد بسط حكمه على الهضبة الإيرانية كلّها، ثم استولى على ديار بكر بين العامين 1505 و1507، ووجّه أنظاره إلى بغداد. وحاول السلطان مراد

الاستنجاد بإمارة الأناضول وبحاكم المماليك في مصر والشام، إلا أن صاحب العراق، السلطان مراد، تركه يواجه مصيره بمفرده. وانتهت العمليات العسكرية التي قام بها الشاه اسماعيل باستيلائه على بغداد، سالكاً طريق تستر[1] والحويزة حيث قضى أيضاً على الإمارة المشعشعية[2] هناك، ومدّ سيطرته على الأحواز كلها. وقيل إن الشاه إسماعيل لدى دخوله إلى بغداد أعمل السيف برجال السنّة والنصارى وفتك بهم، واضطهد من بقي منهم، ولم يمسّ اليهود بسوء لأنهم خدموه وقدّموا إليه التحف والهدايا، وتجسّسوا له قبل دخوله بغداد وبعده. وقيل أيضاً إنّ السلطان مراد، بعد سقوط بغداد، بقي لدى علاء الدين ذي القدر في الأناضول حتى زمان تحرّك السلطان سليم الياوز سنة 920هـ نحو إيران، وأنّه تزوج من إبنة علاء الدين، وأنجب منها ولدين هما يعقوب وحسن. وخلال تحرّك السلطان سليم في إيران، كلّف مراد بقيادة فرقة عسكرية عثمانية للاستيلاء على ديار بكر، ولكنه قُتل هناك في أواخر رمضان سنة 1514م.

---

(1) مدينة في إيران اليوم.

(2) نشأت امارة المشعشعين العربية في منطقة عربستان المسماة قديماً خوزستان في ايام دولة آق قوينلو سنة 844 ـ 1440م، وكانت قاعدتها واهم مدنها «الحويزة»، وقد أسّسها محمد بن فلاح الملقب بالمشعشع، وتعاقب على حكمها أفراد عائلته إلى أن زال حكمهم سنة 1300 ـ 1882م باستيلاء قبيلة كعب العربية بقيادة الشيخ جابر علي المحمرة، فدخلت هذه الإمارة في حكم الشيخ جابر المذكور، بعدما دام شأنها نحو خمسة قرون (طالع عنها: السيد جاسم حسن بشير، تاريخ المشعشين وتراجم اعلامهم، النجف 1665؛ د. محمد حسين الزبيدي، إمارة المشعشعين أقدم إمارة عربية في عربستان، بغداد 1982؛ التاريخ الغياثي، ص273. وما يتبع والحاشية 4؛ انظر أيضاً عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين 3، بغداد 1939، ص 107 ـ 118).

فترة الهدوء

أظهر الولاة العثمانيون في العراق كثيراً من النشاط والبأس في تأمين النظام داخل المدن، وفي قتال القبائل البدوية والكرديّة خارجها، وكذلك في صدّ تدخّلات وهجمات الصفويين عبر الحدود. وكثرت العمارات في بغداد ونشطت الحياة التجارية في البلاد خلال هذه الفترة، كما أصبحت هذه المدينة مركزاً تجارياً كبيراً للجزيرة العربية، وبلاد فارس والمبراطورية العثمانية، وزارها عدد من الرحالة والتجّار الأجانب.

الضعف والتقهقر

في مطلع القرن السابع عشر أخذ الوضع العام في العراق يتدهور، وكثرت الحركات الانفصالية، وذلك نتيجة ضعف شخصيات السلاطين وفساد الجهاز الإداري والعسكري وتمرّد الأنكشارية، والأزمة الاقتصادية.

وحاصرت القوات الإيرانية بغداد سنة 1622. واستعد بكر صوباشي للمقاومة، لكن الحصار استمر ثلاثة اشهر تمكن بعدها الصفويّون من الاستيلاء على بغداد، فالقي القبض على بكر صوباشي وتم تعذيبه بوحشية، ثم أمر بقتله.

وبعدما أمضى الشاه نحو أربعة أشهر في بغداد والمناطق الأخرى التي استولى عليها، غادرها إلى بلاده، معيّناً حاكم همدان صفي قلي خان على بغداد. وفي الجبهة الشرقية توقفت الجيوش العثمانية عند حدود العراق مع فارس. وحاول الصفويّون، في عهد الشاه عباس الأول (1587 ـ 1629)، إقامة تحالف مع آل هابسبورغ ضد العثمانيين، فتمكّنوا

من احتلال بغداد وأجزاء أخرى من العراق سنة 1623، ولم يتمكّن العثمانيون من طردهم منها حتى سنة 1638.

عودة إلى خلفاء البطريرك برماما

كانت الجماعة الكلدانية في ديار بكر، منذ استشهاد سولاقا سنة 1555 حتى وفاة البطريرك يهبالاها الرابع (1578 ـ 1580)، معقلاً للفئة المناصرة للاتحاد بروما. وحينما نقل البطريرك شمعون الثامن دنحا، وهو مطران جيلو وسلماس السابق، مقرّ كرسيه البطريركي إلى بلاد فارس (سلماس)، مارس كلدان ديار بكر ضغطاً شديداً على الجاثليق النسطوري الساكن في دير الربان هرمزد، وهو إيليا السادس برماما.

البطريرك إغناطيوس بطرس الخامس هدايا (1598 ـ 1639)

هو إبن الخواجه حنا من آل نور الدين، وابن اخت البطريرك المستقيل نعمة الله، واختير بطريركاً سنة 1598. وفي سنة 1612 جاء من بلاد فارس إلى روما رجل اسمه جورج كريجر، حمّله البطريرك الخامس هدايا إلى البابا بولس الخامس (1605 ـ 1621) رسالة مليئة بالمحبة للكرسي الرسولي وللبابا. وفي جوابه في 3 تشرين الثاني 1612، أبدى البابا رغبته الملحّة في الاتحاد. وهذا ما حدا البابا بولس الخامس إلى الكتابة مرات عديدة إلى الشاه عباس موصياً إياه بالمسيحيين الساكنين في البلاد الفارسية، ولا سيّما في رسالته المؤرّخة في 3 تشرين الثاني 1612.

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ المجتمعات المسيحية تمكّنت من البقاء في إيران بعد المصائب التي ألمّت بها في القرن الرابع عشر، إلا أنّ أعدادها تناقصت إلى درجة كبيرة جداً واقتصرت إقامة المسيحيين، إلى حدّ كبير،

على منطقة بحيرة أرومية في الجزء الشمالي الغربي من البلاد. ونتيجة للجهود التبشيرية الكاثوليكية في منتصف القرن السابع عشر، قبل بعض النسطوريين القاطنين غرب إيران وشمال بلاد الرافدين سلطة البابا في روما. ففي عهد فتح الله شاه القاجاري في القرن السابع عشر الميلادي، توطّدت العلاقات بينهم وبين إيران خاصةً بعدما اختار الشاه فتاة أشورية زوجة له، الأمر الذي ساهم في قدوم عدة إرساليات مسيحية غربية إلى إيران. ومنذ العام 1844، أطلقت الحكومة العثمانية على هؤلاء المسيحيين الشرقيين رسمياً لقب الكلدانيين، وهو لقب وُصف به في بعض الأحيان النسطوريّون أيضاً (لكنهم في الغالب كانوا يسمّون أنفسهم سريانيين).

الباب الثاني

كنيسة المشرق في إيران

ازدهرت كنيسة المشرق في إيران منذ السنوات الأولى، فانتشرت الأبرشيّات والأديرة، وتعاقب الأساقفة والمطارنة على تولّي الكراسي الدينية في البلاد. وفي هذا الباب تمّ ذكر أبرز الأبرشيات والقرى المسيحية، إضافةً إلى تسلسل للمطارنة والبطاركة في هذه القرى.

وتشكّل أبرشيّة جنديسابور إحدى أهمّ الأبرشيات المسيحية في إيران، وهي تتكوّن من خمس أسقفيات هي: كرخ ليدان، هرمزد أرداشير (الأحواز)، شوستر، سوسه، رام هرمزد.

وانتشرت المسيحية في بلاد الميديين[1] (وعاصمتها همدان)، حيث الطريق من سلوقية إلى طيسفون (المدائن) إلى الري (قرب طهران) وحتى بحر الخزر، فالشرق الأقصى.

كما ازدهرت المسيحية في خراسان أيضاً، اذ أصبحت مرو[2] قاعدة

(1) الميديين هم سكان مقاطعة ميديا التي تقع في شمال شرق إيران ومحاذية للعراق.

(2) مدينة في تركمنستان الحالية.

مسيحية مهمّة، كما نقرأ في «التاريخ السعردي». ويُعزى هذا الإنتشار إلى أخت زوجة سابور المسيحية التي تزوجها حاكم خراسان، فنشرت الإيمان المسيحي في مرو. وبوسعنا اعتبار هراة مدينة مسيحية لحيويتها. وقد عرفت كنيسة المشرق في جميع هذه الديار وجوداً متميزاً، إلا أنّ الاضطهادات آذتها، فسقط ألوف الشهداء، مع ذلك لم يتوقّف الازدهار، بل ازداد الإندفاع الرسولي، بحيث نستدل من إشارات عديدة على وجود علاقات مستمرّة بين «الكنيسة في فارس» والمسيحية في الهند عن طريق الحرير البحري، عبر الخليج والمحيط الهندي، بل أن تسمية «الكنيسة في فارس» طغت على تسمية كنيسة المشرق في بعض المصادر والعهود.

ويرصد تقرير لإرسالية الكنيسة الإنكليكانية (الكنيسة القديمة) في العام 1893. القرى المسيحية المشرقية في إيران، وهي: أباجلوي، عبد الله كندي، آدا، وفيها كنيسة قديمة على اسم مار دانيال؛ الواخ؛ امبي في تركوار؛ انهار؛ أرديشاي حيث يقيم الأسقف؛ أرموتكاش، وقد كانت كرسياً للأسقف؛ بادالاوه؛ جاجاكلوي؛ جرباش؛ وفيها كنيسة على اسم مار قرياقوس؛ ديكالا؛ ديزا؛ ديزاتاكا ؛دوستالان؛ كول: كول باشان؛ هالكي؛ هازر؛ إيرياوا؛ خانيشان؛ مار سركيس؛ ماناوا؛ مورادالوي؛ موشاوا وكنيستها على اسم نوخا، وتحتفظ بتقليد قديم مفاده أن مار توما قد مرّ بها لدى عبوره البحيرة؛ نازي وكوزي؛ قلعة؛ قراكوز؛ قراجالوي وكنيستها غلى اسم مار كوركيس؛ قرالاني؛ قرانا؛ قاراسانلوي؛ قيزيلاشيج؛ قرتبه على اسم مار كوركيس؛ سنكار؛ شماشاجان وكنيستها على اسم بشموني؛ شيباني؛ شيرابات وكنيستها على اسم مار شليطا؛ سير؛ سوبركهان؛ تنازعة الأسقفية؛ تسمالوي؛ تيكا؛ ترماني؛ تولاكي؛ تولو؛ وزيراوه؛ ينكيجا؛ زنجيلان؛ زومالان. وقد كان في جميع هذه

القرى مدارس أنشأها المرسلون الأنكليكان لتعليم الصغار، وكثيراً ما كانوا يكلّفون بذلك شمامسة يتقنون اللغة، إضافة إلى دروس دينية وعلمية وفق برامج وكتب مطبوعة في إنكلترا، ثم في أورمية.

وتُورِد هذه الإحصائية عدد الأبرشيات الكلدانية في إيران: أوّلها أبرشية سلماس، تحدّها شمالاً الحدود التركية ـ الروسية، وغرباً الحدود التركية ـ العراقية، وقد سمّيت أيضاً بأبرشية سنا، ثم أبرشية طهران (منذ العام 1972). إضافةً إلى أبرشية الري القديمة التي كان على رأسها أسقف منذ العام 410، والأسقف داود في مجمع 424، ويوسف في مجمع 486، ودانيال في توقيع مجمع مار يوسف سنة 554، وشارك مطرانها حبيوا نحو العام 804 ـ 805، وتوما في العام 853 في انتخاب البطريرك تيودوسيوس، وعيّن يوحنا الثاني مرقس مطراناً في العام 893، وحضر عبد المسيح رسامة البطريرك عبد يشوع بن العارض سنة 1220، ولا ذكر لأبرشية الريّ في قائمة عبد يشوع الصوباوي (في العام 1316). أمّا أبرشية سنا فقد كان لها كرسي أسقفي حتى العام 1942، ثم انتقل الكرسي إلى طهران مع الاحتفاظ باللقب، وأخيراً أصبح اللقب «مطرانية طهران». وقد كانت تابعة لأبرشية كركوك منذ أواخر القرن حتى العام 1830. وأُلحق بها في العام 1837 وكالة الأحواز. وأبرشية أورمية، تحدها شمالاً أبرشية سلماس، وغرباً الحدود العراقية.

ويذكر التاريخ كنائس بعض قرى هذه الأبرشيات: كنيسة مار توما في بالولان، و3 كنائس في آدا (كلدانية في العام 1891، أشورية شيدها مرسلون روس، وبروتستانت). كنيسة مار آدي في الكاي. كنيسة مرتا مريم للأشوريين، وكنيسة مار بطرس ومار بولس في انهار، كنيسة مار

كوركيس في كولباشان، و3 كنائس للكلدان والأشوريين والبروتستانت، كنيسة مارزيا في كوكتابيه للأشوريين، وكنيسة مرت مريم للكلدان، دير مار بطرس ومار بولس في كيليسا كاندي، من القرن 14، كنيسة مار سركيس ومار باكوس في قرية مار سركيس، على بعد 15 كم من أورمية، ويقصدها المسيحيون والمسلمون لاسيما أيام الآحاد لإقامة الذكرى أو القربان. كنيسة مرتا مريم في مافانا من العام 1850. وثلاث كنائس في سوبر كهان، الكلدانية على اسم العذراء مريم (1886)، كنيسة مار شليطا للآشوريين وكنيسة مار كوريل في تكيي أرديشاي. إضافةً إلى كنيسة مار يوحنان في جمالافاد في أبرشية سلماس، وكنيسة مرت مريم في كافيلان، وكنيسة قديمة على اسم مار يوحنان. وكنيسة مار كوركيس، ومصلّى مار زيا في خوسراوا (ومن هذه القرية برز الأب بولس بيجان أعظم محقّق وناشر لتراث كنيسة المشرق في أواخر القرن 19)، وكنيسة مار قرياقوس في كوهناشهر، وكنيسة مرت مريم في سورا، وكنيسة المجوس الملوك في لنديميزي في الأهواز، وكنيسة القلب الأقدس في عبادان، ومصلّى في بندر عباس.

ومن مطارنة وأساقفة أبرشية سنا نذكر: شمعون تكتك سنجاري (1853 ـ 1885) المعروف بمدائحه بالسورث. أصله من تكليف، وراهب دير الربان هرمزد، ومتى بولس شمينا (1885 ـ 1892)، قرياقوس كوركيس كوكا (1893 ـ 1911)، يوحنا نيسان (1914 ـ 1934). هابيل زيا (1935 ـ 1938)، ثم إبراهيم إلياس، يوسف شيخو، ويوحنا عيسائي، ورمزي كرمو.

ومن أساقفة ومطارنة أبرشية همدان (بيت مادايي): ابراهيم الذي

حضر مجمع آقاق العام 486، وبابي حضر مجمع بابَيْ[1] في العام 497، وآقاق مجمع يوسف العام 544، ويزدفست مجمع غريغور في العام 605، وابراهيم الرجل القديس في السنوات 963 ـ 986، ويوحنا الموصلي في القرن 12.

ومن أساقفة ومطارنة أورمية: يوحنا الذي يقول التقليد إنه حضر مجمع نيقية، عبد يشوع سنة 1111، يوحنان (1560 ـ 1569) يوقع صورة إيمان البطريرك ايليا الخامس إلى البابا سيكتس الخامس العام 1568، يوسف المذكور في قائمة الأساقفة العام 1610 (قائمة البطريرك ايليا السادس إلى البابا بولس الخامس)، أيشو عياب المذكور في قائمة العام 1614 باسم رئيس اساقفة فارس (ايليا السادس إلى البابا بولس الخامس)، ابراهيم المذكور في قائمة العام 1616، مار يوسف نحو العام 1650. ثم توالى أساقفة أشوريون حتى العام 1840. وتجدّدت الأبرشية الكلدانية في العام 1890، وأول مطران لها توما اودو (1892 ـ 1918)، صاحب القاموس والمؤلّفات الشهيرة اسحق خوداباشاي (1934 ـ 1940). إضافة إلى هابيل زيا (1940 ـ 1951) وأفرام زيا دشتو (1951 ـ 1972)، شموئيل شوريزر، وتوما ميرم.

ومن أساقفة ومطارنة سلماس: يوسف (1560 ـ 1592) وهو مذكور في صورة ايمان البطريرك شمعون التاسع إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة 1580، اوسابيوس أو يوسف (1592 ـ 1608) وهو مذكور في تقرير ايليا السادس إلى بولس الخامس العام 1606، ايشوعياب (1608 ـ 1643؟) وهو مذكور في تقرير ايليا السادس إلى بولس الخامس العام

(1) هو أول مجمع في سلوقيا.

1640، أيشوعياب الأول (1709 ـ 1752)، أيشوعياب الثاني (1777)، أيشوعياب الثالث (1777 ـ 1789)، أيشوعياب الرابع كوربيل يوحنان ايشايا (1795 ـ 1832) رئيس أساقفة أذربيجان، أيشوعياب الخامس (ملكيزدق 1832 ـ 1859)، نيقولاس زيا (زيعا، اشعيا) (1836 ـ 1839)، كوركيس اوغسطين برشينو (1846 ـ 1890)، إسحق يهبالاها خودابشي (1899 ـ 1908)، وبطرس عزيز (1910 ـ 1918).

أما أساقفة ومطارنة الأهواز (خرمزد أرداشير) فيمكن إيرادهم كالآتي: يوحنا سنة 341 من رفاق مار شمعون برصباعي الشهداء، يوحنا الذي أيّده مجمع مار إسحق العام 410، عبدا شهيد وحكيم فاضل (420). باطي (410 ـ 424)، باطي يحضر مجمع آقاق 486، بولس العام 534 (وبطريركاً سنة 537)، سيلا يوقع على مجمع مار يوسف العام 544، داوود وحزقيال، بوسي يوقع على مجمع غريغور العام 605، تيودو يمضي في وفادة إلى شمعون أسقف رو أرداشير ما بين 650 و 659، بر سهدا اسقف دخيل في الأعوام (799 ـ 804). وفي سوق الأهواز: ميخائيل الكسكري سنة 848 (ثم بطريركاً)، شمعون العام 900، عمانوئيل العام 1012. ومنذ تجديد الأبرشية العام 1966: توما بيداويد (1966 ـ 1972). شموئيل جميل (972 ـ 1974). حنا زورا.

وهناك بطريركان اتخذا مقرّهما الموقّت في سلماس هما: شمعون التاسع دنحا (ثبّتته روما في 16 حزيران 1581 وتوفي العام 1600)، وشمعون العاشر (1600 ـ 1638). بينما اتخذ البطريركان التاليان مقرّهما في أورمية: شمعون الحادي عشر (1638 ـ 1656) وشمعون الثاني عشر يوحنان (1656 ـ 1662).

وهناك أبرشيتان أساسيتان في إيران وهما أبرشية إيلام ومركزها جنديسابور التي اشتهرت بجامعتها الطبية في عهد العباسيين. وقد ورد ذكر لمطرانها سنة 1318، كما ورد اسم أسقف شوش سنة 1283. وأبرشية حلوان. هذا إضافةً إلى أبرشيّتي المقاطعات الخارجية وهما أبرشية فارس ومركزها مدينة روادشير، وأبرشية مرو ونيشابور في خراسان.

الباب الثالث

الإرساليّات المسيحيّة في بلاد المشرق

كان الرهبان الدومينيكيون والفرنسيسكان السبّاقين في المجيء إلى بلدان المشرق، وذلك منذ القرن الثالث عشر، ولكنهم لم يفلحوا في ترسيخ أقدامهم في البلاد، وإنشاء مراكز إقامة دائمة فيها قبل مطلع القرن السابع عشر، في حين أن الرهبان الدومينيكيين كانوا قد نجحوا في البقاء في بلاد أرمينيا، حيث تلقّوا دعماً فعّالاً من الرهبان المحلّيين. وربما يُعزى هذا الأمر إلى أنّ العلاقات مع المنطقة الفارسية الداخلية كانت نادرة، وأن الحدود العثمانية كانت شبه مغلقة بوجه كلّ تجديد؛ جرّاء تعسّف الحكام المحلّيين، التعسّف الذي كانت وطأته تشتدّ خصوصاً في البلدان البعيدة عن المنافذ البحرية. وفي هذه الظروف الصعبة، نشأت المؤسسات الإرسالية التالية:

الرهبان الأوغسطينيون

انطلق الرهبان الأوغسطينيون نحو البلدان الشرقية في آذار سنة 1573. ونجحوا في تأسيس مركز لهم في مضيق هرمز سنة 1576، وآخر في مسقط سنة 1594. ومن هناك، استطاعوا الدخول إلى البلاد الفارسيّة

حيث كان الشاه عباس الأول (1586 ـ 1628) يبدي بعض التعاطف مع المسيحيين والأوروبيين. وفي سنة 1604، تمكن هؤلاء المرسلون من تأسيس دير لهم في أصفهان.

الرهبان الكرمليّون

في سنة 1604، أرسل البابا إقليميس الثامن ثلاثة من الكرمليين الحفاة إلى البلاد الفارسية عن طريق البر، مروراً بألمانيا وروسيا وبلاد القفقاز. وتمكّن هؤلاء الكرمليّون من تأسيس إرساليتهم الأولى في أصفهان سنة 1609.

الرهبان الكبّوشيّون

قدم المرسلون الكبّوشيّون، وهم فرع من رهبان القديس فرنسيس الأسيزي، إلى الشرق، واستقروا أوّلاً في الأراضي الفارسية عند دخولهم إلى بلاد ما بين النهرين، فافتتحوا في بغداد مركزاً سنة 1628، وفي الوقت نفسه أنشأوا مركزاً آخر لهم في أصفهان كان تحت سيطرة الشاه الصفويّ.

الرهبان اللعازريّون

قبيل منتصف القرن التاسع عشر، قدم المرسلون العازاريون[1]، إلى البلاد الفارسية وبذلوا فيها نشاطاً كبيراً.

---

(1) وهم جمعية من الكهنة أسّسها القديس منصور دي بول سنة 1625م، هدفها الرسالة والتعليم والتبشير.

دير الربان هرمزد ودوره في كنيسة المشرق

لعب دير الربان هرمزد[1] دوراً كبيراً في كنيسة المشرق؛ لذلك من المهم عرض نبذة عن تاريخه منذ نشأته حتى تجديد الحياة الرهبانية فيه على يد الانبا جبرائيل دنبو الكلداني المارديني الأصل.

نشأة الدير

كانت الحياة الرهبانية قد بدأت بشكليها النسكي ثم الجماعي منذ نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع، في مصر أولاً، بوساطة القديس أنطونيوس الكبير والأنبا فاخوميس، ثم انتشرت في سوريا وبلاد ما بين النهرين شيئاً فشيئاً. وازدهرت الحياة الرهبانية الجماعية في نحو منتصف القرن السادس، حينما أسّس إبراهيم الكشكري الكبير دير إيزلا الكبير الواقع بين نصيبين وماردين، وسرعان ما أصبح هذا الدير مركزاً هامّاً للحياة الروحية وللنشاط الرسولي والثقافة الشرقية الأصيلة.

أمّا هرمزد ـ الذي سيصبح مؤسّس الدير المعروف باسمه ـ فكان من بلاد فارس. وقد أبصر النور في سلخ القرن السادس الميلادي. ومنذ نعومة أظافره استهوته حياة النسك والزهد، وانجذب إلى الحياة الرهبانية. ودفعته رغبته هذه إلى مغادرة منطقته، وهو ينوي زيارة الأماكن المقدّسة، ثم المضي إلى الصعيد المصري للاحتكاك بالرهبان والاطّلاع على أُسُس الرهبانية الأصيلة. وحينما بلغ بلدة «حالا» الواقعة بين نهري رادان وديالى في العراق الحالي، التقى ثلاثة رهبان من دير الربّان برعيتا الواقع في منطقة مرج الموصل، وأقنعوه بمرافقتهم إلى ديرهم الذي كان يضمّ آنذاك نحو 200 راهب. وفي هذا الدير قضى هرمزد فترة الابتداء،

(1) قضى هرمزد أول عهده في دير مار متى في جبل مقلوب شرق الموصل.

واقتبل الاسكيم[1] الرهباني، وعكف على ممارسة الفضائل الرهبانية، وكان مثالاً للتقوى والالتزام الرهباني. ومن هناك ذهب إلى دير بيث عابي الذي أسّسه يعقوب اللّاشومي في منطقة المرج بالقرب من عقره، في مطلع القرن السابع. وبعدما مكث هناك ثلاثة اشهر، ذهب بصحبة الراهب إبراهيم إلى دير الرأس في جبل الألوف (جبل مقلوب). وإثر جفاف أصاب المنطقة، توجّه هرمزد وإبراهيم إلى جبال باعذري، بينما مكث رهبان آخرون في الموضع ذاته وانطلق غيرهم إلى جبال قردو. وحين وصل هرمزد ورفيقه إلى الجبل المطلّ على القوش[2]، أقاما بجوار كهف فيه نبع ماء غزير. وكان نتيجة ذلك أن قصده الناس من المواضع المجاورة وانضمّ إليه بعض الشباب. وهكذا تكوّنت، في نحو العام 640، النواة الأولى للدير الذي سوف يشتهر خلال الأجيال، وقد تجاوز عدد رهبانه المائة في فترة وجيزة. وبعدما أمضى المؤسس 22 سنة في ديره الجديد، وافاه الأجل عن عمر يناهز الـ 87 سنة، ودُفن في كنيسة الدير، وما يزال قبره قائماً حتى اليوم في بيت الشهداء.

البعثات التبشيريّة المسيحيّة الأوروبيّة إلى إيران

بعد فترةٍ توقّفٍ دامت ثلاثة قرون، أُرسلت البعثات التبشيرية الكاثوليكية الرومانية إلى إيران في القرن السابع عشر، عندما كانت الدول الأوروبيّة تسعى لتكوين تحالفات ضد العثمانيين، ومنح الشاه عباس الأول امتيازات معيّنة للمسيحيّين الأوروبيّين الذين قصدوا بلاده للعيش والعمل، ولكن لم يكن مسموحاً لهؤلاء التبشير بين المسلمين.

---

(1) أي الثوب.

(2) هي منطقة تضم القرى المسيحية الكبرى في العراق.

وعندما بدأت فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة بإرسال البعثات التبشيرية إلى إيران في بداية القرن التاسع عشر، لم تتوقف هذه السياسة. ونتيجة لذلك، تنافست البعثات الأوروبية في ما بينها على تحويل المسيحيين الإيرانيين إلى طوائفها الدينية الخاصة. وبدأت البعثات التبشيرية الفرنسية بشكل خاص بافتتاح المدارس، وزيادة عدد الشباب الإيرانيين الذين يتعلّمون اللغة الفرنسية كوسيلة لبلوغ عالم الثقافة والعلوم الأوروبية.

وبدورهم، تشجع البروتستانتيون من إنكلترا والولايات المتحدة على زيارة إيران، بعد ترجمة الإنجيل إلى الفارسية الحديثة على يد الإنكليزي هنري مارتن في العام 1812. وأول مبشرين أميركيين ـ كاهن بروتستانتي مشيخي «Presbyterian» يدعى جوستين بيركنز وزوجته ـ استقرّا في منطقة أرومية في أذربيجان ذات الغالبية النسطورية، وذلك في العام 1834. وقد وصف هذان الزوجان بشكل مضلّل إلى حد ما حياة المجتمعات النسطورية؛ لأنها كانت تعيش حياة مريحة بشكل عام، ولرجالها الحرية بالبقاء في منازلهم والاهتمام بقطعانهم، بينما يفرض على جيرانهم المسلمين الخدمة العسكرية الإلزامية. (في الواقع، كانوا في أغلبيتهم مزارعين فقراء يعملون بالأجرة). على أيّ حال، مع أن النساطرة لم يعمدوا إلى التبشير، إلا أن المرضى من المسلمين كانوا غالباً ما يأتون إلى كنائسهم أملاً في الشفاء. وفي كثير من الحالات، كان هؤلاء المسلمون يقبّلون الصليب والإنجيل ويتركون هبات للقديسين المسيحيين.

بدورها، أسسّت البعثات التبشيرية الأميركية على مدار الخمسين سنة التالية، إحدى وثمانين مدرسة في مختلف أنحاء إيران. وجلب البروتستاتنتيون المشيخيّون معهم الطب العصري إلى البلاد، وأنشأوا أول

مستشفى في أورمية في العام 1882. ويعتبر الباحثون عادة أنّ المبشّرين الغربيين هم الذين أوجدوا الرابط التاريخي ـ استناداً إلى الجغرافيا بشكل أساسي ـ الذي بواسطته أصبح المسيحيّون النسطوريّون في إيران يطلقون على أنفسهم اسم الآشوريين، وهو اسم ما زالوا يعرفون به حتى اليوم «Assuri» بالفارسية. غير أن الآشوريين أنفسهم يعترضون على هذا التفسير، ويدّعون أنّ لتصنيفهم الذاتي الحالي جذوراً أكثر قدماً.

وكان تأمين الحماية للمسيحيين الإيرانيين ـ إلى جانب إنشاء المدارس والمستشفيات ـ من قبل الحكومات الغربية، جزءاً من محاولة استمالتهم لتبنّي الطوائف الغربية من المسيحية. فخلال القرن التاسع عشر، تدخّل المسؤولون الأميركيون، والإنكليز، والفرنسيون مراراً مع السلطات الإيرانية لتخفيف بعض الإجراءات التمييزية القانونية الإعتيادية التي كان المسيحيّون يتعرّضون لها في المجتمع الإسلامي. وفي العام 1881، تمكّن سفير بريطاني من الضغط على الحكومة الإيرانية من أجل تعديل عدد من القوانين، من بينها ذلك القانون الذي ينصّ على أن يرث أي مسيحي يتحوّل إلى الإسلام أملاك كلّ أقاربه. (غير أن القانون ظلّ يطبّق حتى الأربعينيات من القرن العشرين).

وفي هذا الإطار، أُنشئت في أواخر القرن التاسع عشر الكنيسة السريانية الشرقية أو النسطورية والتي عُرفت أيضاً بكنيسة الفرس. وعاش أبناء هذه الكنيسة في منطقتي حكاري وأورميا محاطين بالأكراد ولازري في إيران الحالية التي سمحت لهم بالحفاظ على لغتهم السريانية وتراثهم، بعكس الكنيسة الكلدانية التي انتشرت في مناطق تسود فيها اللغة العربية مما دفع المسيحيين إلى تعلّم هذه اللغة بسرعة لأنها لغة شرقية أو سامية قريبة من اللغة الفارسية.

ويشير المؤرّخون إلى أن الروس احتلّوا ولاية ڤان التركية، وأغروا النساطرة وحثّوهم على القيام بالتمَرُّدِ على الأتراك، فرَدَّت عليهم الحكومة التركية بقسوةٍ وفتكَت بعددٍ كبيرٍ مِنهم ، أما الناجون مِنهم فقد نزحوا إلى إيران بُغية لَمِّ شملهم مع النساطرة هناك.

وعلى الرغم من أن البعثات التبشيرية البروتستانتية المشيخية والأنغليكانية كانت الأكثر وضوحاً في إيران، ولكن، بحلول نهاية القرن التاسع عشر، كانت هنالك تسع طوائف مسيحية مختلفة تتنافس في ما بينها من أجل كسب المسيحيين الإيرانيين كلّ إلى طرفها. كما جرت محاولات لكسب اليهود والزرادشتيين في مختلف أنحاء البلاد أيضاً. واستفاد عدد من المسلمين من المرافق التعليمية والطبيّة الخاصة بالبعثات التبشيرية، وتحوّل بعضهم على الأقل إلى المسيحية على الرغم من القوانين الاسلامية، الأمر الذي زاد من توتّر العلاقات بين المسيحيين وجيرانهم المسلمين على المستوى المحلّي.

وفي العام 1932، أمّمت حكومة بهلوي كلّ المدارس الابتدائية، وبعد سنتين طردت البعثات التبشيرية الأميركية من أرومية. وفي ظلّ حكم مصدّق القومي في بداية الخمسينات، انخفضت أنشطة البعثات التبشيرية الأجنبية أكثر فأكثر. ولكن، في ذلك الوقت، كان عدد الإيرانيين المسيحيين كبيراً بما يكفي لحفاظهم على عمل تلك البعثات. غير أن هذا العمل التبشيري توقف بشكل نهائي بعد الثورة الإسلامية في العام 1979.

مصير الإرساليّات اللوثريّة

من الأشياء المريبة حقاً في السياسة التبشيرية الأميركية، أن يتمّ عقد

اتفاق مع حكومات كلّ من إيران والعراق وتركيا في أدنبرة خلال العام 1910 ينصّ صراحة على حقّ الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في القيام بالتبشير للديانة المسيحية بين شعب الأكراد المسلمين في الأقطار الإسلامية الثلاثة. وقد جدّدت الحكومة الإيرانية في عهد الشاه رضا بهلوي الاتفاق سنة 1928، وكان قصد الشاه تحقيق أهداف عدة منها:

أولاً: التخلّص من الكثافة السكانية الكردية التي تقطن آذربيجان بإيران منذ مئات السنين.

ثانياً: كسر شوكتهم بتحويل الكثير منهم إلى المسيحية، بعدما تغير موقف الحكومة التركية عن تأييدهم بعد ثورة كمال أتارتورك في الربع الأول من القرن العشرين.

ثالثاً: تذويب الهوية الكردية في القومية الإيرانية لإحكام السيطرة عليهم، والحيلولة دون التئام شمل القومية الكردية مع نظائرها في العراق وسوريا.

في الإطار نفسه، كانت اتفاقية أدنبرة المذكورة قد أعطت المؤسسات التبشيرية الأميركية الحق في أن تختار المقرّ الرئيسي لمركز التبشير في أيَّةٍ من عواصم البلاد الإسلامية الثلاث (تركيا ـ إيران ـ العراق)، كما منحتها الحق في استبدال عاصمة من تلك العواصم الثلاث بأخرى عند اضطرارها لذلك. لهذا، فقد استمر التبشير حتى صدور قرار رضا بهلوي بإغلاق الإرساليات التبشيرية في مدينة مهاباد، التي كانت تُعرف في السابق باسم (صاج بولاق)، بولاية آذربيجان في مارس سنة 1936، حيث قامت بتأسيس المدارس التبشيرية، وبعض المؤسسات العلاجية، بالإضافة إلى عملها الأصلي في نشر الديانة المسيحية.

لهذا أخطر القائم بالأعمال في إيران (ميريام) في مارس 1936، إدارة بلاده بأن أمر الرحيل قد صدر من حاكم ولاية آذربيجان، وهم الأكراد حول منطقة الحدود، وأن الخارجية الإيرانية تخشى أن ينتقل نشاط الإرساليات السياسي المعادي إلى مناطق أخرى في إيران، ولهذا أمهلتهم خمسة عشر يوماً فقط حتى يرحل رجال التبشير من الإقليم الإيراني.

ومن المهم الإشارة إلى أنّ قرار ترحيل البعثة التبشيرية الأميركية يرجع بالدرجة الأولى، إلى نشرته جريدة «النيويورك ديلي ميرور» عن أحوال الإرساليات التبشيرية اللوثرية في إيران. وبالتالي فالاحتمال الأكبر هو أن موقف الحكومة الإيرانية المعادي للمؤسسة اعتُبر رد فعل لتلك المقالة العنيفة. كما أن تعيين أحد كبار رجال الدين الشيعة آية الله سامعي في منصب وزير للخارجية الإيرانية أكّد اتجاه الحكومة المؤيّد للقرار، خصوصاً أنّه بالإضافة إلى صلته الخاصة بالشاه، كان قد شغل منصب سفير بلاده في بغداد، وسمع الكثير قبيل وصوله إلى عاصمة وطنه عن نشاط البعثة المعادي للإيرانيين هناك.

وقد حاول ميريام أن يؤجّل المهلة الممنوحة للإرساليات اللوثرية ستة أشهر حتى يتسنّى لها جمع أمتعتها ونقل متعلّقاتها، فرفضت الحكومة الإيرانية ذلك، وأرادت أن يتمّ الرحيل فوراً، على أن تصلهم المتعلّقات في ما بعد. ورجّح ذلك فكرة تبنّي الحكومة الإيرانية سياسة جديدة تهدف إلى التخلّص من جميع البعثات التبشيرية، خصوصاً بعدما صرّحت الخارجية الإيرانية بأن الإرساليات الأميركية كانت تحت المراقبة الكاملة من قبل سلطات آذربيجان على مدى خمسة أشهر كاملة قبل صدور قرار الإغلاق.

أما الخارجية الأميركية، فقد ضربت عرض الحائط بالمبرّرات الإيرانية المنطقية التي تتّسق ومصالح الشعب الإيراني المسلم، وألزمت القائم بأعمالها التأكّد من عدم وجود أدلة دامغة تدين النشاط التبشيري حتى يتسنّى لها الضغط على الحكومة الإيرانية لحماية منشآت وأموال الإرساليات الدينية، ما يعني إلمام الجهاز الدبلوماسي بالنشاط المريب لجهاز التبشير الاميركي في آذربيجان. وطلبت الرسالة من القائم بالأعمال اتخاذ عدة خطوات، منها:

أولاً: التأكّد من عدم وجود دليل واضح يدين أفراد الإرساليات اللوثرية، وكذلك عدم تورّط أي منهم في نشاط يخلّ بالشروط المنصوص عليها في إذن التصريح لهم بالقيام بمهمتهم طبقاً لاتفاقية 14 أيار سنة 1918، تلك الاتفاقية التي حددت وسائل وأساليب نشاط الإرساليات في إيران. وفي حالة التأكد من عدم تورّطهم في أي نشاط سياسي ضد الحكومة الإيرانية ينبغي الإلحاح على ضرورة سحب أمر الطرد الصادر هذه من الحكومة، مع الاعتراف بالحقوق المنصوص عليها قبل الإرساليات طبقاً للاتفاقية.

ثانياً: عند وجود أدلّة دامغة من السلطات الإيرانية ضد الإرساليات، فينبغي عدم المطالبة بوقف قرار الطرد، وإنما السعي وبصفة «ودية» لدى الحكومة الإيرانية كي تعامل أفراد الإرسالية بشيء من الاعتبار عند تنفيذ قرار الطرد.

ثالثاً: في حالة كون الطرد واقعاً لا محالة فإنه يُستحسن مطالبة السلطات الإيرانية ببيان مفصل عن المخالفات الموجّهة للإرساليات.

كما التقى ميريام بالمشرف على الإرساليات اللوثريّة هنري مولر،

الذي أفاد بأنه، وطبقاً للمؤتمر الدولي لنشاط الإرساليات المنعقد في أدنبرة في العام 1910، فإن التبشير الإنجيلي بين الأكراد يقع على عاتق الكنيسة اللوثرية، وعليه فإن الإرساليات الشرقية اللوثرية مكلّفة بالتبشير بين الأكراد كشعب في كلّ من العراق وإيران وتركيا حيث يقطن الأكراد. كما أن بقاء الإرساليات التبشيرية الشرقية في واحد من البلدان الثلاثة بدلاً من البلدين الآخرين، يمكن أن يحدث نتيجة لأسباب أملتها الضرورة.

وبالتالي فالحكومة الإيرانية كانت تشكّ في نشاط ذي طبيعة سياسية من جانب الإرساليات التبشيرية اللوثرية يحرّض القومية الكردية. ولم تكن لا ترحّب باستمرار النشاط الإنجيلي المكثّف لهذه الإرساليات في أراضيها. كما كانت تسعى حثيثاً لتأكيد هوية الأكراد الإيرانية حتى يندمجوا في المجتمع الإيراني.

والحقيقة أن مولر كان يدرك البعد الإيراني السياسي للشاه وحكومته، ويفهم الدواعي التي تحرّك السلطات الإيرانية لترحيل الإرساليات من آذربيجان؛ حيث إن هناك خلافاً جوهرياً بين جهد الإرساليات وسياسة الحكومة الإيرانية. وبالطبع فإن الأخيرة هي صاحبة الكلمة النهائية في استئصال شأفة من يناهض غاياتها السياسية.

وقد أدارت الخارجية الأميركية مصالح الإرساليات اللوثرية، وإن كانت قضية خاصة، بدبلوماسية جيدة، أدت في النهاية إلى تحقيق مطالب الإرساليات ومن دون أن تبدو الخارجية الأميركية وكأنها مقحمة مباشرة في القضية.

الباب الرابع

سياسة الشاه رضا بهلوي

لم يكن التاريخ الحديث للمسيحيين في إيران أقلّ من حقباته الغابرة تبدّلاً وتقلّباً. فقد حملت نهاية القرن التاسع عشر إلى تلك البلاد بداية تغييرات جذرية ما كان المسيحيون بمنأى عنها، ومنها بدء الثورة الدستورية. ففي سنة 1905 تأسّست مجموعة سريّة متعدّدة الإثنيَّات قوامها الأساس مسيحيون، جاهدت إلى جانب الدستوريين لإنشاء «المجلس الاستشاري الوطني» بدلاً من «المجلس الإسلامي» الذي كان مطلب المرجعيّات الإسلامية. هذا النضال أثمر سنة 1906 دستوراً جديداً للبلاد يساوي بين المواطنين على قاعدة المواطنية لا الانتماء الديني. ومع حكم شاهات آل بهلوي بات المسيحيون قادرون على الاندماج بحريّة في المجتمع الإيراني.

طمس هويّات القوميّات غير الفارسيّة:

ظلّ هدف رضا بهلوي الأسمى (والذي تسلّم الحكم في العام 1925)، توحيد الدولة قسراً بإخضاع القبائل والعشائر غير الفارسية لسلطة الدولة المركزية، وانصبّت على منطقة عربستان التي تقطنها عناصر عربيّة

الجهود الأساسية في هذا المجال. فبعدما استقرّت سياسة الشاه عكف على إلغاء تداول اللّغة العربية في المعاملات الرسمية، كما حرّم الغناء العربي في المقاهي، واستبدل أسماء المحال العربية بأخرى فارسية، وحتى الأزياء العربية تم استبدالها بفارسية كي لا ينفصل الشكل العام للمواطنين العرب في عربستان عن الفرس في باقي إيران.

وطُبّقت المبادىء نفسها على الأكراد بدءاً بمنع تداول لغتهم، وتحريم ارتداء الملابس الخاصة بهم، واستبدال أسماء مدنهم وقراهم إلى أسماء فارسية. وكذلك تعرّض الأرمن للمصير نفسه، وأغلقت المدارس التابعة لهم؛ لأنها كانت تقوم بتدريس اللّغات الأوروبيّة جنباً إلى جنب اللّغة الأرمنية، وتعرّضوا لحملات تشهير واسعة، واتّهموا بالعمالة فتراكمت شحنات الغضب في نفوسهم ضد النظام البهلوي، وظهرت آثارها بعد تنازل الشاه عن العرش في العام 1941. كما واكبت تلك الممارسات حملة إعلامية ضخمة لتغيير اسم الدولة الفارسية إلى إيران في العام 1934. وبعد أربع سنوات مُنِع استخدام اللّغات الأجنبية بما فيها الإنكليزية في الدوائر الرسمية، وفُرض على الشركة الأنجلو ـ إيرانية كتابة واجهات أخرى باللّغة الفارسية، وأذعنت الشركة لمطلبه على مضض في العام 1938[1].

عزل رضا بهلوي من السلطة:

وعلى الرغم من دخول الاتحاد السوفياتي عصبة الحلفاء في يونيو 1941، فإن الريبة ظلّت قائمة بين القطبين الكبيرين، الولايات المتّحدة

---

(1) د. آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (1906 ـ 1979)، ص 94 ـ 95.

الأميركية من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة أخرى. ويبدو أن الخلافات الأيديولوجية وضعت عراقيل دائمة، وصعّبت من إمكانات التعاون الكامل بين الجهتين. كما أن توجّهات السوفيات في الشمال الإيراني وضعت بقية الحلفاء في موقف محيّر، فقد ضمنت دول الحلفاء ولو بصورة شكلية وحدة أراضي إيران، في الوقت الذي شكّلت فيه التحرّكات السوفياتية في آذربيجان شبهة انفصال الإقليم عن الدولة، وسعت لنشر الشيوعية بين الأرمن والأكراد، وأثارتهم ضد الحكومة المركزية في طهران.

وبعد إرغام الشاه على التخلّي عن العرش لابنه، سعى البريطانيون لتوطيد علاقاتهم مع القبائل الإيرانية، فأعادوا تسليح قبائل اللر والأكراد والأرمن والتركمان وغيرها من القبائل الإيرانية، على الرغم من أن رضا بهلوي أمضى عشرين عاماً يناضل ضدّها حتى نجح في نزع سلاحها. بعدها تردّت الأوضاع في إيران جرّاء دخول الحلفاء إليها، ما أدى إلى فتح السجون والاستيلاء على المنازل والمحاصيل، وانتشار عمليات السلب من قبل الأكراد والأرمن.

ومع يقين الولايات المتحدة من سوء معاملة البريطانيين للإيرانيين، فإنها قامت بدور الوسيط بينهما لحماية مصالح الحلفاء. كما أنّها كانت مدركة للسياسة السوفياتية الرامية إلى «بلشفة» إيران. ولعلّ إحدى أبرز استراتيجيات هذه السياسة كانت إثارة الفتنة العرقية سواء بين الأرمن أم بين الأكراد ضد الحكومة الإيرانية.

الأوضاع الداخليّة في عهد محمد رضا بهلوي

ولّدت الطريقة التي اعتلى بها محمد رضا بهلوي العرش بعد خلع

والده، الكراهية في نفسه لدولتي الاحتلال، الأمر الذي دفعه إلى البحث عن سند دولي جديد يساعده في تحقيق طموحه لوضع بصمات لعهده تتخطّى إنجازات أبيه، بعد اقتناعه بأن الحنكة السياسية والخبرة الإدارية يجب تتويجهما بالقوة العسكرية، حتى يتأمن للحاكم السيطرة الكاملة على شؤون دولته داخلياً وخارجياً. كما أدرك أهمية وجود جيش قويّ يحمي عرش الشاه من الانتفاضات العرقية؛ لأن إيران تتكوّن من عدة أعراق. فهناك إضافةً إلى الفرس، وهم السكان الأصليون، الأكراد الذين يقطنون اذربيجان وهم من السنّة، فضلاً عن البلوش القاطنين شمال شرق إيران، مضافاً إلى قبائل اللر البختياريين والتركمان. . . إضافةً إلى اليهود والبهائيين والزرادشت والسريان والمسيحيين والأرمن. وعانت معظم الأقليّات من تجاهل الحكومة البهلوية لمطالبهم، وإهمال المجتمع الإيراني لثقافاتهم. كما أن الأعراق، ما عدا الفرس، سبّبوا متاعب عديدة للحكومة البهلوية بسبب فرضها اللّغة والثقافة الفارسيّتين عليهم.

الثورة الإسلاميّة

تصاعدت المعارضة بوجه الشاه محمد رضا بهلوي لعدّة أسباب أبرزها السياسة الاقتصادية التي تبنّاها تحت شعار الثورة البيضاء، والتي أرهقت الجماهير ومنعتها من الاستفادة من عوائد الثورة البترولية، نظراً لتوجيهها لأغراض التسليح وبناء الجيش، إضافةً إلى فساد الأسرة الحاكمة. وكانت من نتيجة ذلك أن انفجرت الثورة الإسلامية بقيادة آية الله الخميني الذي نفاه الشاه في وقت سابق إلى العراق ومن ثم إلى فرنسا. وأفرزت الثورة ست مجموعات دينية متميّزة، لكلٍ منها مصالحها الخاصة وإيديولوجيتها. وهذه الجماعات هي: الثوريّون الراديكاليون،

المتديّنون المعتدلون، المتديّنون الليبراليون، الإصلاحيّون، الوطنيون التقليديون، وأخيراً اليسار. وقد ضم اليسار الإيراني عدداً من المسيحيين وأقليّات إيرانية كالأكراد والتركمان واليهود. كما ضمّ اليساريين بمختلف أجنحتهم وعلى رأسها حزب توده الشيوعي وجماعات الفدائيين. وقد رفعت هذه المجموعات راية العلمانية وفصل الدين عن الدولة. كما نادت بإقامة جمهورية شعبية لا يكون لرجال الدين أيَّة سلطات في إدارتها حتى تذوب القوميات الإيرانية في بوتقة واحدة داخل الدولة الجديدة.

الفصل الثالث

المسيحيّون في الجمهوريّة الإسلاميّة

الباب الأول

الأديان في إيران اليوم

انخفض عدد المسيحيين في الشرق الأوسط بشكل عام، وعلى مدى العصور، من حوالي ثمانية عشر مليوناً إلى عشرة ملايين، بحسب بعض الإحصاءات، وهم يمثّلون اليوم في إيران بين 200 و300 ألف نسمة أي نسبة 3 و1 بالألف. وأدّت الثورة إلى هجرة الكثير منهم خصوصاً بعد حرب الثماني سنوات مع العراق والصراع مع الولايات المتحدة الأميركية.

الأديان في إيران

في العام 1979، أطاح الإيرانيون بإرثهم المَلَكيّ التقليديّ الذي يبلغ عمره 2500 عام، وهو الأقدم في العالم في ذلك الحين (على الرغم من بعض الانقطاعات بين الحين والآخر). وربما كانوا هم أنفسهم مندهشين أكثر من أيِّ شخص آخر من هذا التحوّل الاستثنائي في الأحداث، إذ لطالما خضعوا، طوال تاريخهم المديد، لحكم أنظمة استبدادية، باستثناء تجربة وجيزة مع الديمقراطية دامت سنتين بين 1951 ـ 1953، إلا أنها أُطيحت بانقلاب رعته المخابرات المركزية الأميركية. كان نظام محمد

مصدّق المنتخب شعبياً مستقلاً أكثر من الّلزوم بالنسبة إلى الحكومتين البريطانية والأميركية في ذلك الوقت، وخاصة بعد تأميمه صناعة النفط في إيران.

غير أنّ ثورة 1979 الإسلامية ضمنت الحريّة الدينية للمسيحيين واليهود والزرادشتيين، بدستورها الجديد الذي أعطى الأقليّات الدينية حريّة اتّباع شرائعهم الخاصة في ما يتعلّق بأمور الأحوال الشخصية، مع الحفاظ على الشريعة الإسلامية نظاماً قانونياً للبلاد. ولم يُمنع المسيحيون عن الوظائف العامة، لكن اعتماد «امتحان الشريعة» أساساً للتوظيف أبقاهم خارج الملاك العام.

وعلى الرغم من المعارضة الواسعة التي كانت تتبلور خلال السبعينات ردّاً على سياسات الشاه محمد رضا بهلوي، إلا أن قلّة من الإيرانيين تخيّلوا أنّ المَلَكية المدعومة بجيش إيراني أميركي التجهيز، يمكن أن تسقط تحت الضغط الشعبي. لكن الشاه الذي أنهكه مرض السرطان، والذي كان يفقد قدرته شيئاً فشيئاً على مواجهة التظاهرات الشعبية المتنامية، هرب من البلاد في كانون الأول من العام 1978. وفي 1 شباط من العام 1979، احتشدت الجماهير في إيران ترحيباً بعودة روح الله الخميني، الذي أصبح الزعيم الروحي لأول ثورة إسلامية في العالم الحديث.

وبديهيّ القول إنّ الخميني كان الأكثر جرأة بين زملائه من العلماء الشرعيين في إعلان مواقفه، بدءاً من احتجاجاته على سياسات الشاه التحديثية في العام 1963، الأمر الذي أدّى إلى اعتقاله ومن ثم إلى نفيه

في العام التالي. ومن مدينة النجف الشيعية المقدّسة في العراق، استمر في الجهر بمعارضته للنظام الإيراني، وكانت خطبه تنشر في شتّى أنحاء إيران بواسطة شرائط التسجيل. وبما أنه كان قادراً على، وراغباً بالإفصاح عمّا كان يشعر به الكثير من الإيرانيين في قلوبهم، لكنهم كانوا يخافون من التعبير عنه جهاراً، اكتسب الإمام الخميني سلطة خاصة، ولاسيما بين الجماهير المتزايدة من الفقراء، الذين كانوا في أغلبيتهم ريفيين مهاجرين من قراهم إلى المدن من أجل الحصول على عمل لم يجدوه. وكان هؤلاء الناس غالباً ما يجتمعون في المساجد المجاورة لهم للاستماع إلى خطبِه المسجّلة.

وفي الواقع، لم يكن الخميني الشخصية الإيرانية الرئيسية الوحيدة التي لعبت دوراً في تعبئة الخطاب الديني من أجل معارضة حكومة الشاه. فمنذ بداية الستينيات، أعلن مهدي بازركان، وهو مهندس تلقّى تعليمه في فرنسا، معارضته لسياسة الشاه في ما يتعلّق بتهميش القِيَم الدينية الإيرانية التقليدية، مؤكّداً على أن الإسلام والحداثة لا يتعارضان. ولكن بحلول نهاية السبعينيات، أصبحت معظم القوى الثورية في إيران مطعّمة بنكهة دينية.

الفكر الدينيّ في دولة إسلاميّة

وممّا لا شكّ فيه أنّ ارتقاء الدين من قوة معارضة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي إلى إيديولوجيا رسمية في عهد الجمهورية الإسلامية، ألقى مجموعة جديدة من الأعباء على كاهل المفكّرين الدينيين في إيران. ففي حين كان بإمكانهم في السابق الاكتفاء بتوجيه الانتقادات، أصبحوا الآن مسؤولين عن تأمين رفاه الإيرانيين. في البداية، حدّت الاضطرابات

التي تسبّبت بها الثورة والحرب مع العراق من النقاش الديني لمصلحة إيجاد معايير تقليديّة ناظمة مناسبة وعلى وجه السرعة. ولكن، عندما أصبحت الدولة الدينية راسخة القدم خلال الثمانينيات، بدأت مجموعة متّسعة من التصوّرات تسعى للتعبير عن نفسها ضمن الإطار الإسلامي اللاّزم، دافعة الحدود في اتجاهات عديدة.

وتَركّز أحد الجوانب الهامة من النقاش الديني المتطوّر على مسألة دور الجنسين، وخاصة منزلة المرأة. في الحقيقة، لم تتمكّن الظروف الاجتماعية لعقد الثمانينيات ـ على الرغم من عزل النساء في المرحلة المبكرة من الثورة الإسلامية، من الكثير من المواقع، وفرض الحجاب الإسلامي على كل الإناث فوق سن التاسعة لم تمنع النساء من الدخول في كلّ الميادين العامة تقريباً، وهي عملية تتسارع بدون انقطاع منذ ذلك الحين. فمع انخراط جيل كامل من الفتيان والشباب في الجهود الحربية ضدّ العراق، دخلت النساء ميدان العمل بأعداد ما فتئت تتزايد وفي كلّ المهن تقريباً. وقد نوقش هذا التفويض الاقتصادي والمهني للنسوة الإيرانيات، وبرّر إلى حدّ كبير خلال النقاش الدائر حتى اليوم بين علماء الدين، وخاصة في الحوزة الدينية لمدينة قم.

وهناك جانب آخر هام من النقاش تركّز حول السياسة، وخاصة حول الدور الصحيح للحكومة الإسلامية. في الواقع، لقد كانت الجمهورية الإسلامية، على الرغم من استنادها إلى الإرث الديني، مشروعاً راديكالياً إلى حدّ كبير؛ إذ لم تجرّب أيّ نوع من أنواع الديمقراطية الإسلامية (بالمعنى الحديث للديمقراطية) في العالم قبل ذلك، والبعض تساءل عمّا إذا كانت هذه الفكرة يمكن أن تُحقّق فعلاً.

ولكن، مع ذلك، ينبغي الاعتراف بأن إيران، منذ أواخر التسعينيات، قدّمت نوعاً من العملية الديمقراطية، مع حفاظها على أساس من القِيَم الإسلامية التقليدية.

الباب الثاني

الأقليّات الدينيّة في ظلّ الجمهوريّة الإسلاميّة

تتغيّر ظروف الأقليّات الدينية وفقاً للظروف المتغيّرة منذ أواخر السبعينات، وتبعاً للمتغيّرات في داخلها أيضاً. وتبلغ نسبة المسلمين الشيعة في إيران قرابة 90 بالمئة، فيما تبلغ نسبة المسلمين السّنة قرابة 7 بالمئة. وينتمي غالبية السنّة إلى قوميّات غير فارسية (الناطقون باللّغة الفارسية في إيران اليوم لا تزيد نسبتهم عن أكثر من خمسين بالمائة بقليل) مثل الأكراد في المنطقة الغربية، والبالوشيين في المنطقة الجنوبية الشرقية، والتركمان في المنطقة الشمالية الشرقية.

ومن بين الجماعات غير المسلمة، يمكن القول إن المسيحيين الأرمن هم الأوفر حظاً بين الأقليّات الإيرانية نظراً لامتلاكهم تاريخاً عمره أربعمائة سنة من التعايش السلس مع المسلمين.

وقد ضمّ مجلس الخبراء الذي وضع مسودّة دستور الجمهورية الإسلامية في العام 1979، أربعة ممثلين غير مسلمين: زرادشتي، وأرمني، وآشوري، ويهودي. وعلى الرغم من أن شملهم في هذا المجلس لم يكن أكثر من إشارة رمزية، كما تبيّن في نهاية المطاف، إلّا

أنّ المادة 13 من الدستور النهائي منحت كلّ واحدة من هذه الأقليّات اعترافاً وحمايةً صريحين بها.

تقول هذه المادة: «الإيرانيون الزرادشتيون واليهود والمسيحيون هم الأقليّات الدينية الوحيدة المعترف بها التي لها الحريّة في ممارسة شعائرها الدينية، في ما يتعلّق بالوضع الشخصي القانوني والتعليم»، بينما حرمت الأقليّات غير المسلمة الأخرى، مثل البهائيين والصابئة المندائيين، ضمناً من هذه الحريّات والحماية. ويخصّص البرلمان الإيراني خمسة مقاعد للأقليّات الدينية المعترف بها: اثنين للأرمن، وواحداً للآشوريين والكلدانيين، وواحداً لليهود وآخر للزرادشتيين.

الزرادشتيون

تشير التقديرات الحالية لعدد السكان الزرادشتيين في إيران إلى أنه يبلغ 30 ألفاً. ويتدفق الزرادشتيون من مختلف أنحاء العالم لزيارة ضريح تشاك تشاك المقدّس الذي يبعد قرابة ثلاثين ميلاً إلى الشمال من مدينة يزد، كما جذبت عدة مؤتمرات دولية عقدوها خلال التسعينيات الكثير من المهتمين من بلدان عدة.

وهم يتمتّعون اليوم بنوع من الاحترام الرسمي، إذ تغطى احتفالاتهم بشكل محايد في الصحافة الرسمية، ويدعى زعماؤهم بشكل دائم للاشتراك في المؤتمرات المتعلّقة بالمواضيع الدينية التي ترعاها الدولة.

اليهود

يبلغ عدد اليهود في إيران حوالي 30 ألفاً إلّا أن أعدادهم تتناقص باستمرار بفعل الهجرة.

البهائيّون

على الرغم من استحالة التوصّل إلى رقم موثوق به، يبقى البهائيون على الأرجح الأقليّة الدينية الكبرى في إيران. ولقد هاجر عدد كبير منهم إلى بلدان أخرى (وخصوصاً الولايات المتحدة)، والكثير من أولئك الذين بقوا يخفون معتقداتهم الحقيقية، ويظهرون بمظهر المسلمين. ومنذ العام 1983، يحظّر عليهم تشكيل هيئات إدارية أو إقامة اتصالات مع البهائيين في الخارج.

المندائية

تنقسم الطائفة المندائيون اليوم ـ الطائفة الغنوصية القديمة الوحيدة التي استطاعت الحفاظ على بقائها حتى الآن ـ بين مقاطعة خوزستان جنوب غرب إيران، ومستنقعات الجنوب العراقي. وهي فقدت منزلتها كطائفة معترف بها بعد ثورة العام 1979. وتوجد جماعات مندائية اليوم في الولايات المتحدة (على سبيل المثال، نيويورك، ونيوجرسي، وسان دييغو) وفي أستراليا.

وهناك مشاكل تتعلّق بالهجرة نفسها، فهذه الجماعات في الخارج تفتقر إلى العدد الكافي من الكهنة لأداء طقوسها، وكذلك للأماكن المقدّسة التي تمارس فيها تلك الطقوس. كما أن نسخ النصوص المقدّسة المندائية محدود، والمعرفة باللّغة تتضاءل شيئاً فشيئاً.

يذكر أن المندائيين يشتهرون بصياغة الذهب والفضة في كل من إيران والعراق وبلدان أخرى.

المسيحيّون

يبلغ عدد السكان الأرمن الذين يشكّلون الأقليّة الدينية الكبرى المعترف بها في إيران حوالي 150,000. أما الآشوريون والكلدانيون الأقل عدداً من الأرمن، فإن أعدادهما تناقصت بحدّة أكبر؛ إذ يبلغ تعداد مواطنيهما معاً حوالي عشرات الآلاف. وقد خسرت الجماعات المسيحية الثلاث كلّها أعداداً كبيرة منها من خلال الهجرة، وبشكل رئيس إلى الولايات المتحدة الأميركية. كما شهدت تناقصاً في معدّل الولادات.

وتقسّم الطوائف المسيحية في إيران إلى أرمن وكلدان وكاثوليك وآشوريين وإنجيليين وبروتستانت.

وبحسب العديد من رجال الدين المسيحيين، فإن وضعهم تحسّن كثيراً بعد الثورة الإسلامية؛ لأنه على حدّ تعبيرهم، أصبحت حقوقهم تُحفظ وتُحترم حسب دستور مجلس الشورى الإسلامي.

وبسبب نمو العلاقات الأرمنية ـ الإيرانية والتي بدأت منذ قيام دولة أرمنية مستقلّة في العام 1991، تطوّرت العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في إيران.

وبالعودة إلى تاريخ هذه العلاقات نذكر أنّ أرمينيا كانت مجموعة ولايات وإمارات مشتّتة، وقد كان لها دور مهم ودائم في تاريخ إيران وسياستها الإقليمية وفي تنافسها مع سائر مراكز القوى في المنطقة. ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبرطوريات، كان لها دور مهم في علاقات إيران مع دول المنطقة.

فمنذ السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى، والتسلّط المطلق لحزب الاتحاد والترقي على الإمبرطورية العثمانية، حصلت القومية التركية على مساعد عسكري وتنفيذي لتحقيق برامجها التوسعية، أي منذ شرعت الإمبرطورية العثمانية بالاستيلاء على المناطق الناطقة باللّغة التركية والمجاورة لإيران والقوقاز، من هنا برزت أهمية أرمينيا كسدّ أساسي بوجه هذه الحركة التوسّعية.

ولمّا كانت أجزاء واسعة من شمال غرب إيران هدفاً صريحاً وواضحاً للتحرّكات السياسية والعسكرية التركية بسبب مجاورتها لحدود القوقاز وتركيا العثمانية، ولأن سكانها من الناطقين باللغة التركية، شعر القادة الإيرانيون بالقلق تجاه خطر التتريك واعتبروا هذه التحركات تهديداً أساسياً من باب المنطق السياسي، ولكن أرمينيا شكّلت مانعاً حقيقياً في مواجهة هذا التحرك. علماً أنّها قبل هذا التاريخ لم تكن تحظى باهتمام في السياسية الخارجية الإيرانية.

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى، وقامت روسيا وبريطانيا بالتدخّل في الشؤون الداخلية الإيرانية، أجمع الرأي العام الإيراني على ضرورة هزيمة روسيا وبريطانيا، مما أوجد تعاطفاً مع اعدائهما أي المانيا والدولة العثمانية. كما أن تشكيل قوات مسلّحة مسيحية من الآشوريين والأرمن في شمال غرب إيران على يد الحلفاء بعد الثورة الروسية، وانتشار شائعة تشكيل حكومات مسيحية في تلك المناطق، تسبّب في إيجاد شك إيراني تجاه تلك التحوّلات.

مضافاً إلى ذلك، فإن الحروب والمواجهات المستمرة بين المسلمين والأرمن في منطقة نخجوان، منع قيام علاقات مباشرة بين إيران وأرمينيا

إلّا في فترة قصيرة. وساهم هذا الأمر في منع رسم مكانة أرمنية محدّدة في السياسة الخارجية الإيرانية خلال تلك السنوات.

وبعدما استولى البلاشفة على جمهورية آذربيجان، وعادت الحياة للقومية التركية، وعودة قدرة الأتراك مجدداً بقيادة مصطفى كمال، عندها فقط أضحت أرمينيا، بل وبعبارة نهضة مقاومة الأرمن في (زانكيزور) بقيادة (كاريكين)، تشكل سدّاً يواجه الخطر الداهم من اتحاد الأتراك مع البلاشفة.

فخلال تلك الفترة، كانت أهم طرق تأمين الدعم العسكري وما تحتاجه حركة المقاومة في زانكيزور، تمر من إيران، واتّهم حينها القادة العسكريون الأتراك المسؤولين الإيرانيين بدعم الأرمن.

لكن تلك الفترة لم تطل، فمع سقوط وانهيار آخر علامات المقاومة في زانكيزور، وسيطرة البلاشفة بشكل كامل على القوقاز، تم نسيان هذا العنصر الأرمني الذي كان يحاول إيجاد موقع في سياسة إيران المناطقية.

وطالت فترة النسيان هذه من بداية العشرينيات حتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، والتي تقارب السبعين عاماً.

من جهة أخرى، وخلال هذه الفترة الطويلة نسبياً، لم تكن العلاقات الإيرانية ـ التركية مثالية بسبب استمرار تحرّكات التتريك، لكن الخطر الأكبر الذي جعل البلدين يقفان في صف واحد هو خطر التوسّع السوفياتي، وقد استمر هذا الاشتراك في المصالح العامة خلال السنوات التي فصلت بين الحربين العالميتين وبعدهما خلال فترة الحرب الباردة، بيد أن أرمينيا لم تكن تشكّل حينها عاملاً سياسياً مستقلاً.

لكن بعد مرور سبعين عاماً، وانهيار الاتحاد السوفياتي، واستقلال جمهوريات القوقاز، وعودة الحركات اليسارية التي كانت قد توقفت بعد تسلط البلاشفة في أوائل العشرينيات، بدأت مرحلة جديدة من التحوّلات في المنطقة، وكذلك في سياسة إيران الإقليمية، لم تكن تختلف كثيراً عن التجارب القصيرة المضغوطة للمراحل النهائية من الاستقلال الأول للقوقاز.

مع وصول جبهة الشعب بقيادة ايلشي بي والسياسة الإيرانية الصريحة التي اتخذت، التفت المسؤولون الإيرانيون تدريجياً إلى أن ما يجري في جمهورية أذربيجان مخالف لتصوّراتهم الأولية، وأنها ليست عودة إسلامية، بل هي محاولات قومية توسّعية وحرب انضمامية تجاه المناطق الإيرانية الناطقة باللغة التركية تهدد سيادة إيران ووحدة أراضيها. وقد ظهر هذا الأمر جليّاً عندما تعرّضت أذربيجان لهزائم أمام الأرمن في إقليم كاراباغ وكانت إيران تمارس الوساطة بين الطرفين لوقف القتال، فاتّهمتها حكومة أذربيجان بدعم الأرمن.

وكانت أولى نتائج هذا التغيير اعتبار أرمينيا سداً بوجه توسع جمهورية آذربيجان وحلفائها في المنطقة ومنها تركيا على الرغم من أنّ هذا التغيير والتحوّل لم يظهر علناً، بل ظهرت آثاره في تعامل إيران مع المنطقة، وفي سياستها المحايدة تجاه أزمة كاراباخ، ثم تحولها إلى سياسة واعية مع المنطقة. وبعدما سقطت حكومة إيلشي بي في صيف العام 1993 وصعود حكومة حيدر علييف المعتدلة نسبياً، وانحسر التوتّر في علاقات طهران وباكو، لكن ذلك لم يغيّر في هذه السياسة.

التعاون بين مسيحييّ إيران والشرق

شهدت العلاقات المسيحية ـ الإسلامية تعاوناً ملموساً في عهودٍ

متقطّعة، وفق طبيعة السلطة الحاكمة وعلاقات المسيحيين في المجتمع وخارجه. وهذا التعاون ليس بجديد بل له محطات تاريخية، على الرغم من أنه كان هناك اضطهاد بحقِّهم في فترة محددة. وقد شهد العهد العباسي العصر الذهبي لهذا النوع من التعاون فشكّل مرجعيّة مهمة لازدهار هذه العلاقات، وسبق أن استعرضناه في فصل سابق بشكلٍ مفصّل.

أما بالنسبة إلى التعاون بين مسيحيي إيران والشرق، فقد أكد محافظ أصفهان الجنرال مرتضى بختياري أن «التعايش السلمي بين المسلمين والأرمن المسيحيين في إيران يمكن ان يحتذى به كنموذج للتعايش في العالم»[1]

وجاءت تصريحات بختياري خلال لقائه مطران طائفة الأرمن الارثوذكس في أصفهان والمناطق الجنوبية لإيران بابكين تشاريان. وأضاف: «إن الإيمان بإله واحد يشكّل أرضيّة مشتركة لجميع الديانات»، معرباً عن أمله في أن تقوي العلاقة التي تربط بين الأديان وعود الله في القرآن الكريم والانجيل والتوراة».

من جهته قال المطران تشاريان «إن السيد المسيح حمل رسالة السلام والمحبة للبشرية جمعاء». وأضاف «أن الثورة الإسلامية خلقت روح الترابط والوحدة بين الإيرانيين»، وأمل «بأن تتجاوز إيران المؤامرات التي تحاك ضدّها بهدف خلق الشقاق بين المجموعات الدينية التي تعيش فيها، وذلك عبر تشجيع الوحدة والتنسيق في ما بين هذه المجموعات».

---

(1) وكالة الأنباء الجمهورية الإسلامية (ارنا) في إيران، 17 كانون الثاني/ يناير 2007.

وقد أولى المجمع، بعد منتصف القرن العشرين، هذا التعاون أبعاداً جديدة وأعماقاً لم يبلغها في الأزمنة السابقة. ويقدم المجمع الفاتيكاني الثاني، في تصريحه حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، أُسُس هذا التعاون ، وهو أن البشر عائلة واحدة، وهدفها واحد هو الله، وأن هناك أسئلة تقلق أفراد هذه العائلة، لا بد للدين من أن يجيب عنها، كمعنى حياة الإنسان وغايته والموت والشر.

أمّا بالنسبة إلى علاقة المسيحيين مع الطوائف الأخرى، فهي علاقة «أخوية» مع الزرادشتيين واليهود ولكن ليست هناك علاقات زواج أو اختلاط معهم. فالواقع يفرض التعاون وإنشاء علاقات بين المسيحيين والمسلمين، وعلاقات جيدة ومسالمة. وتسعى بعض الطوائف المسيحية إلى شدّ أواصر التعاون بين باقي المسيحيين عن طريق محاولة عقد اجتماعات دوريّة بينهم.

الباب الثالث

الأرمن

هجرة الأرمن إلى إيران

الأرمن من الأقليّات المسيحية التي استوطنت، منذ أمد بعيد، إيران التي كانت في عهد الشاه الصفوي إسماعيل بحاجة إلى دين تواجه به خصمها؛ أي الإمبراطورية العثمانية السنّيّة. وقد قرّرت معركة شالديران (1514) بين الأتراك العثمانيين والفرس مصيرهم، وذلك بتقسيم أرمينيا نهائيًّا بين هاتين الأمبراطوريتين. وأدّى البحث عن مكان آمن من نير الأتراك القمعي إلى نزوح هائل للأرمن باتّجاه إيران. فسهّل الشاه عبّاس (1587 ـ 1629) تجمّعهم على أراضيه، وأَمَرَ أيضاً ـ وذلك بهدف خلق «أرض محروقة» حول الأمبراطورية العثمانية ـ بترحيل جميع السكّان الأرمن الذين كانوا يقيمون في المنطقة الحدودية. وتركّزت اهتمامات الأمبراطور الفارسي بنوع خاص على سكّان جولفا (الواقعة حاليًّا على الحدود الإيرانية الشمالية ـ الغربية) التي كانت تشكّل في القرن السادس عشر محوراً تجاريًّا ذا أهميّة دوليّة. فهي كانت، وبفضل وقوعها على طريق الحرير مع مدن وقرى حولها، تسيطر على تدفّق البضائع المحلّيّة

ومن الشرق الأقصى، وكذلك على البضائع الأوروبية المتّجهة إلى إيطاليا وإيران والصين.

وقد مرّت الطائفة الأرمنية في إيران بانتكاسات كثيرة، حيث تعتبر مسألة تَكوُّن الحيّ الأرمني (أو بالأحرى القرية الأرمنية) في نور جولفا، الواقع في طرف العاصمة آنذاك ـ أصفهان، ومن ثمّ اضمحلاله لاحقاً، من المسائل التي يجب النظر إليها من ضمن سياق العلاقات الدينية والاجتماعية والثقافية الإيرانية ـ الأرمنية.

ففي العام 1603، سقط سكّان نور جولفا ضحيّة خطط الشاه عبّاس الإستراتيجيّة، فتمّ تدمير الأراضي وحرقها ونهبها كلّيًا، ورُحّل 300 ألف نسمة: من المزارعين في قرى بلاد فارس الوسطى ومن أبناء المدن أيضاً، إلى أصفهان وضواحيها حيث أسّسوا نور جوُلفا (أي جولفا الجديدة).

ولكن لم تلبث الجماعة الأرمنية أن مُنحت في العام 1606 حالة «المحظوظين المَلَكيّين». وأصبح السكان والمدن مرتبطين مباشرة بالبلاط الملكي، وتمّ إعفاؤهم من دفع ضرائب عديدة لكونهم متمتّعين باستقلال ذاتيّ إداريّ واسع. وأصبح قاض داخلي (قاضي خودي) في الجماعة يحلّ الخلافات باستقلال عن السلطة القضائية الفارسيّة وطبقاً لقواعد وأحكام مسيحية أرمنية.

كما أنشأ أرمن نور جولفا شبكة تجارية. دولية أوّلاً ثمّ متعدّدة الجنسيّات لاحقاً. هامّة إلى حدّ أنّ الحقبة التاريخية التي بلغت اتّساعها الأقصى سُمّيت «مملكة تجّار نور جُولفا الأرمن».

ولكن مع حلول عهد السلطان حسين (1694 ـ 1722) بدأ انحطاط

السلالة الصفويّة، وتعرّض أرمن نور جولفا أيضاً لأشكال ظلم مختلفة. ومنذ العام 1720، عاد النزوح والهجرة الأرمنيان من جديد إلى المراكز التجارية الأوروبية: البندقية، جنوى، نابولي، مرسيليا، بولندا، روسيا، إلخ. وفي العام 1722، سقطت إيران تحت النير الأفغاني، وراحت الحرب الأهلية اللاّحقة تدمّر البلد بكامله تدميراً كلّيًّا. وفي العام 1880، كان عدد سكّان نور جولفا 5 آلاف ، ولا يزال هذا الوضع قائماً حتّى اليوم.

أما بالنسبة إلى الكنائس والأديرة التي كانت في نور جولفا في الماضي، فلم يبق منها اليوم سوى ثلاثة عشر. كذلك اضمحلّت الأماكن المقدّسة التابعة للآباء الدومينيكان، وكنيسة الكبّوشيين، ودير اليسوعيين، وكنيسة الآباء الأغوسطينيين، وكنيسة الآباء الكرمليين. أمّا كنائس الأرمن البروتستانت فقد نجت. وفي القرن العشرين، شهد قسم كبير من مدينة أصفهان وحيّ نور جولفا تشويهاً مدينيًّا فظيعاً؛ لأنّ اللّجوء إلى مفاهيم حداثةٍ قابلة للجدل أدّى إلى قلب المفاهيم الكلاسيكية لفنّ العمارة والنسيج المدينيّ.

معالم الثقافة الأرمنيّة في إيران (مسارح، أدب، . . .)

في رواية شهيرة للروائي الإيراني عباس معروفي حملت عنوان (سمفونية الموتى)، تدور الأحداث حول جريمة قتل الأخ في أربعينيات القرن العشرين، اذ يتواطأ جميع أشخاص الرواية ضد بطلها (آيدين) باستثناء عائلة ميرزائيان الأرمنية التي تدير معملاً للنجارة، وتقدم هذه العائلة كلّ الدعم للبطل، وهو فنان مسلم متأثر بالفكر الوجودي، كي تنقذه من المؤامرة التي يحيكها المجتمع ضده. هذه الرواية مثال يضاف

إلى أمثلة كثيرة يحفظها الإيرانيون عن الرقيّ الحضاري عند الأرمن، وحسن تعاملهم مع مختلف القوميات، إضافة إلى روح التسامح التي يتحلّون بها. وكان الاستشهاد الوارد في رواية معروفي غير منحصر بالبُعد الأخلاقي بل يتضمّن التذكير بامتهان الحرف عند الأرمن وبراعتهم المشهود لها في هذا المجال.

في العهد الصفوي، وخصوصاً في فترة حكم شاه عباس، بدأت الهجرة القسرية للأرمن نحو إيران، وقد استقروا في بادئ الأمر في حي جولفا بأصفهان ومدن أخرى منها تبريز وهمدان وشيراز. وكان لهم دور كبير وطليعي في تحديث البلاد نظراً لمواهبهم وثقافتهم العالية، فثمة أسماء بارزة من أبناء هذه الطائفة أغنوا الحياة الإيرانية في ميادين السياسة والفن والعلوم والموسيقى والفن التشكيلي والمسرح وفن التصوير والانفتاح على العالم المعاصر وتطوير فن الطباعة والنشر.

ونظراً لنشاطهم الفعال في حقل التجارة، أرسى الأرمن أواصر متينة بين الإيرانيين والغرب، كما أن انتشار أبناء هذه الطائفة في أغلب البلدان الأوروبية منحهم مكانة متقدمة في الانفتاح على الحداثة الغربية بالمقارنة مع الجماعات الأخرى في إيران.

دور الأرمن في إغناء اللغة الإيرانية

طوال أربعمائة عام من وجودهم في إيران، ساهم الأرمن في إغناء اللغة الفارسية من دون أن يهملوا لغتهم الأصلية، وكان لهم رموز وأسماء كبيرة من الكتاب والمؤلّفين نذكر منهم المؤلف الشهير ميرزا ملكم خان.

كما اقترن بهم تأسيس الجامعات ومدارس التعليم الحديث، وكانت

دار الفنون الجامعة العلمية الأولى التي أمّنت دراسة الطب والهندسة واللّغات الأجنبية وغيرها. وتجدر الإشارة إلى رسالة مؤسس دار الفنون وهو الصدر الأعظم أمير كبير في عهد ناصر الدين شاه، إلى الشخصية العلمية الشهيرة في إيران أي موسيو جان داود، ويقول فيها: «إلى زبدة المسيحية ذي الشأن الرفيع في الفطنة والنباهة مترجم الدولة الإيرانية الأكفى».

وقد عمل موسيو جان ولسنوات طويلة مستشاراً لأمير كبير، كما كان سفيراً للحكومة الإيرانية في النمسا، واختار الأساتذة من ذوي الكفاية للتدريس في دار الفنون. إلا أن شخصية أرمنية مرموقة أخرى واصلت جهود المشروع التحديثي في إيران وهو الدكتور بازيل أرمني الذي أسّس للطب الحديث وقلص من مكانة الطب التقليدي.

دور الأرمن في جامعة طهران

لم تخل الجامعات الإيرانية كجامعة طهران وجامعة تبريز وجامعة بهشتي وجامعة أبادان، من أساتذة أرمن كبار كان لهم الفضل في تخريج أكثر من جيل من ذوي الكفايات العلمية. ويمكن اعتبار جامعة أصفهان الأكثر أهمية بالنسبة إلى الأرمن فقد أسّسوا فيها فرعاً للأرمنولوجي (كل ما يتعلق بتاريخ وثقافة وحياة الأرمن). ثم تم تطوير الفكرة وأنشىء في العام 1970 المعهد الأرمني.

وقيل إن الأرمن أسسوا أول مطبعة في إيران في العام 1938م، وكانوا أول من طبع كتاباً هناك، ولهم متحفان شهيران: الأول: المتحف الموجود داخل كنيسة «وانك» الشهيرة في أصفهان، والذي تم بناؤه في العام 1905م، وفيه أكثر من 700 مخطوطة، والثاني: المتحف الموجود

داخل كنيسة مريم المقدسة في تبريز، ويحتفظ في هذا المتحف بمخطوطات نفيسة باللّغات العربية والفارسية والأرمنية، وعملات وفصوص خواتم وأوان مختلفة.

كان الأرمن سباقين في الانفتاح على التعليم الحديث بالمقارنة مع سائر الجماعات في إيران. ويحظى اسم ميرزا حسن خان رشدية باحترام الأوساط التعليمية في إيران. ففي القرن التاسع عشر بذل جهوداً كبيرة من أجل تأسيس المدارس الحديثة، ويُحكى أنه أثناء عودة ناصر الدين شاه من رحلته إلى أوروبا وأثناء وصوله إلى نخجوان (وكانت جزءا من الأراضي الإيرانية آنذاك)، أمر رشدية تلامذته بحمل الأعلام على جانبي الطريق التي ستمر فيها عربة الملك من باب الترحيب به، وحينما رأى ناصر الدين شاه منظر عشرات الأطفال الذين يحيونه بأعلام ملونة نزل من عربته، وتفقد المدرسة. وتحادث مع رشدية، ووافق على طلبه في تأسيس مدارس حديثة في المدن الأخرى، كما أمر بأن ينتقل رشدية معه إلى طهران ليباشر عمله هناك.

لكن حاشية الملك الرافضة لتأسيس مدارس عصرية في إيران حبست رشدية في نخجوان، وأبلغت الشاه أنّه تأخر عن اللحاق بهم. وبعد هروبه من السجن عاود ميرزا حسن رشدية نشاطه التعليمي في كل من أرمينيا وإيران، ويقول رائد الشعر الفارسي المعاصر نيما يوشيج في هذا الصدد «كلما شيد رشدية مدرسة هجم عليها المتحجّرون وهدموها بالمعاول وضربوا طلابه. لقد هرب من طهران إلى مشهد وحينما أغلقوا مدرسته في مشهد سافر إلى تبريز، وأسس مدارس للتعليم العالي هناك، وفي نهاية المطاف انتصر على ذوي الأذهان المتحجرة والعقول

المتخشّبة، وبفضل جهوده شاعت مدارس التعليم الحديث في جميع المدن الإيرانية».

كما أنشأ الأرمن مكتبات كبيرة في إيران، ويُذكر لهم تأسيس أول مدرسة للبنات الأرمنيات وذلك في العام 1858.

دور الأرمن في العمارة

في جميع المدن والمناطق التي سكنها الأرمن، على الأقل، بناء تاريخي له ميزات فنية رفيعة، وبالتعاون مع مؤسسات ثقافية مختلفة، كمؤسسة الحفاظ على التراث الفني؛ حيث قام المهندسون الأرمن بترميم العديد من هذه الأبنية التي تدل على الذوق الرفيع والإبداع الخلاق والمهارات العالية التي يتمتّعون بها.

وفي كتاب يحمل عنوان «موسوعة العلماء الأرمن» يذكر الباحث أنت لازاريان أن أكثر من 150 معمارياً أرمنياً صمّموا ونفّذوا أهم المشاريع العمرانية الإيرانية في القرن العشرين.

وشيّد المعماريون الأرمن في العهد القاجاري أفضل عمارات مركز مدينة طهران، أبرزها بناية البريد وقصر العدل وعمارة وزارة الخارجية وعمارة مصرف سبه والمتحف الإيراني وقصر المرمر الذي يعتبر من التحف النادرة في فن العمارة الإيراني.

ويرى بعض الخبراء في مجال الفن المعماري أن أهم معماريّي القرن العشرين في إيران هم غابريل غوريكيان وأرطان هوانسيان. وكما يتّضح من أسمائهم فهم جميعاً من الأرمن.

ويُعتبر مبنى وزارة الخارجية في ميدان مشق في طهران من معالم العاصمة، وهو من تصميم المعماري غوريكيان المولود في تركيا في

العام 1900، والذي هاجر مع عائلته إلى إيران في العام 1915 إثر المجازر البشعة التي تعرّض لها الأرمن على يد الأتراك. وبعد حصوله على الجنسية الإيرانية سافر إلى أوروبا ثم عاد بدعوة من رضا شاه، وحقّق مشاريع عمرانية ضخمة في طهران ومدن أخرى أضافت الكثير إلى رصيده كاسم بارز في المشهد المعماري العالمي.

وبعدما صمّم غوريكيان مبنى وزارة الخارجية قام المهندس الأرمني الكال كالستيانس بتنفيذ المشروع، وأنجزا معاً مشاريع عمرانية تعدّ من أجمل مباني طهران القديمة في عهد رضا شاه مثل قصر العدل الواقع في قلب العاصمة.

وكان المعماري الشهير أرطان هوانسيان، قد حقّق إنجازات مهمة أبرزها مبنى مصرف سبه في ميدان توبخانه وفندق دربند وفندق فردوسي وقصر شهناز بهلوي.

أما المعماري آبكار، فصمّم عشرات المباني الإدارية في طهران ومدن إيرانية أخرى، ويمكن ذكر مبنى الضرائب كأحد أهم إنجازاته المعمارية.

ولا بدّ من ذكر معماري أرمني آخر له مهارات فنية عالية وهو أوجن افتاندايليانس الذي صمّم قاعة الثقافة ووزارة الثقافة والفنون ومطار مهرآباد الدولي وكنيسة سركيس وإعدادية رضاشاه.

وهناك الكثير من المباني الحديثة في العاصمة طهران التي تعتبر من إنجازات المعماريين الأرمن، كقاعة رودكي وسينما متروبل وسينما ونياكارا وسينما غولدن سيتي وسينما كريستال. ومن الصعب ذكر جميع إنجازاتهم، ولكن تكفي الإشارة إلى جزء منها: 31 كنيسة في مدينة

أصفهان، عشرات المساجد في مدينة قم وفي مقدمتها مسجد المدينة، إضافة إلى المحطة المركزية للمواصلات، وأهم شوارع ومباني مدينة تبريز، وعشرات الكنائس في إقليم أذربيجان الإيراني.

الكنيسة السوداء من أقدم كنائس الطائفة الأرمنية في إيران

تُعتبر «قره كليسا» أو الكنيسة السوداء من أقدم كنائس الطائفة الأرمنية في إيران وهي لُقِّبت بالسوداء؛ لأنها تتربع منذ 7 قرون في منطقة جبلية بين إيران وتركيا وأرمينيا يغلب على حجارتها البركانية اللون الأسود، ويعتقد الأرمن، أن القديس تاديوس الذي عاش في القرن الأول والذي بشّر الأرمن بالمسيحية، استشهد ودفن في المكان الذي شيّدت عليه الكنيسة.

وقد غادر آخر قس الكنيسة الأرمنية السوداء قبل أكثر من نصف قرن، ومذ ذاك خوت صوامع الرهبان في تلك المنطقة الجبلية. لكن إيران تعتبر الكنيسة التي شُيّدت في العصور الوسطى دليلاً على احترامها حقوق أتباع الديانات الأخرى.

وفي هذا الإطار طالبت منظمة التراث الثقافي والسياحة الإيرانية بضم هذه الكنيسة إلى قائمة المواقع الأثرية العالمية. مع الإشارة إلى أنها، مع أوائل كل صيف تصبح قبلة لأرمن العالم ليعبروا المنطقة المظلمة من التاريخ إلى حيّز أكبر للتعايش بين مختلف الديانات والأعراق.

الأرمن حالياً

يتراوح عدد الأرمن الإيرانيين اليوم بين 130 و150 الفاً، وهم

موزّعون بشكل متفاوت جغرافيا على ثلاث أبرشيات هي أصفهان وأذربيجان (مركزها تبريز) وطهران التي تضمّ نحو 80 ألفاً من الأرمن الأرثوذكس الذين يشكّلون الأكثرية الساحقة من المسيحيين في العاصمة، حيث يبلغ عدد الأرمن البروتستانت نحو 350 شخصاً، والأرمن الكاثوليك 50 شخصاً، فضلاً عن 17 من السريان والكلدان. وتناقص عدد هؤلاء مع الأعوام فهاجر قسم منهم لأسباب متعدّدة شبيهة بتلك السائدة في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ومصر.

وقد شارك الأرمن في إعادة بناء المناطق المنكوبة، ومع الثورة الإسلامية، تمت المحافظة على حقوقهم في الدستور الإيراني، وهذا الأمر شمل الأقليات الأخرى من الآشوريين والكلدانيين واللاّتين والبروتستانت. فقد خصّص لهم عضوان في مجلس الشورى الإسلامي، أحدهما عن أرمن طهران والشمال، والآخر عن أرمن أصفهان والجنوب، وهم يشتهرون بأنهم تجار أغنياء، ولهم دور بارز في تطوير الصناعات الفنية الدقيقة الخاصة بالمجوهرات والآلات الدقيقة، ويساهمون في الصناعات البترولية.

من جانب آخر، يمارس الأرمن طقوسهم وتقاليدهم الدينية بحريّة، وانطلاقاً من أن حقوق الأقليّات محفوظة في الدستور، لم يفرض على الطوائف والأديان غير الإسلامية فرائض مسلمة باستثناء الحجاب الذي أصبح نوعاً ما قانون دولة أو قانوناً مدنياً بتوجيه ديني. أمّا بالنسبة إلى مرجعية الأرمن فهي المطرانية، وتفضّل الدولة الإيرانية عدم تدخّل المسيحيين في شؤون المسلمين؛ لأن هنالك العديد من المسلمين ممن يرغبون بالتنصّر ويأتون للاستماع إلى القدّاس.

ولم تؤثّر الثورة الإسلامية سلباً على أوضاع الأرمن بسبب حسن جوارهم مع المسلمين، ووحدة مصالحهم تجاه تركيا، ولحسن درايتهم وحكمتهم. وفي هذا السياق نلفت إلى لقاء شهير جمع الإمام الخميني والكاثوليكوس الأرمني.

إلى ذلك بدأ الأرمن بنشر جرائدهم باللغة الأرمنية منذ سنة 1794، والفضل يعود إلى الأب هاروتيون شماونيان من مدينة شيراز.

وفي القرن العشرين، وبعد نجاح الثورة الدستورية سنة 1906، اهتم مسيحيو إيران بالمسائل الاجتماعية والسياسية أكثر من ذي قبل، وزاد عدد جرائدهم بعد العام 1920. وانتشرت جريدة «آليك» باللّغة الأرمنية بدءاً من العام 1931، وهي لا تزال تصدر حتى اليوم، بالإضافة إلى صحف آراكس، آرارات، زيازان، بيام وأهاليك، وعدة مجلات أدبية دوريّة.

وللأرمن في إيران حالياً عشرات الكنائس والمدارس، ولهم عطلاتهم الرسمية ونواديهم الرياضية، وجمعياتهم الخورية[1] ومراكزهم الثقافية، ومعظم كنائسهم مسجّلة في فهرس الآثار الإيراني الوطني. وهم يملكون 25 مؤسسة اجتماعية، ثقافية، رياضية، نسائية وصحية.

وقد أُجيز لأحد أحزاب الطائفة الأرمنية (الطاشناق) بممارسة العمل السياسي. ويمنح أبناؤها أيام الآحاد إذناً خاصاً بحضور القداس لثلاث ساعات (من التاسعة صباحاً إلى الثانية عشرة ظهراً).

---

(1) نسبةً إلى القديس «خورين».

على صعيد آخر، يوجد في طهران 28 مدرسة أرمنية من الروضة إلى الثانوية من إجمالي 50 مدرسة موجودة في كلّ إيران، وليس للمسلمين الحق في دخولها. أما الطلبة الأرمن فلا مانع من تسجيلهم في مدارس المسلمين. ويسمح بتدريس تاريخ أرمينيا ولغتها في بعض المدارس خصوصاً في أصفهان وتبريز حيث لا يستقبل إلّا الطلاب الأرمن، مع اتّباع المنهج الرسمي الذي تقرّه الدولة مضافاً إليه التعليم المسيحي.

كما يوجد في طهران 19 جمعية اجتماعية وثقافية أرمنية، أبرزها «أرارات» التي تدير مركزاً ثقافياً يضمّ ألفي عضو، وينظّم كلّ سنة ألعاباً أولمبية تجمع سنوياً رياضيين أرمن يفدون من كلّ أنحاء البلاد.

ويعيش الأرمن في إيران برفاهية؛ لأنهم من الطبقة الوسطَى وهم يشهدون أنهم يلقون احتراماً كبيراً من قبل الحكومة الإيرانية، ويعترفون بعدم وجود أية مضايقات، أمّا بالنسبة إلى الحجاب، فهذه ثقافة الجمهورية الإسلامية ـ على حد تعبيرهم ـ وعلى من يعيش بين المسلمين أن يحترم عاداتهم.

الباب الرابع

الآشوريّون

ما قبل الإسلام

الآشوريّون من أقدم الطوائف التي استوطنت إيران، فبعدما أغار شابور الثاني الساساني (310/ 379م) على مدينة أورها (الرُّها) التي كانت تحت سيطرة الرومان، جلب مجموعة كبيرة من الآشوريين إلى إيران. وأنشأت هذه المجموعة مدارس عديدة في جنديسابور وهرات وطوس، وعكف أبناؤها على نشر العلم، إلى أن حظوا بحُريَّة واسعة في عهد يزدجرد الثاني (399ـ 420م).

كما أسَّس الآشوريون العديد من الأديرة والصوامع في مختلف بقاع إيران، وواصل أثرياؤهم نشر العلم وتأسيس المدارس. وفي عهد أنوشروان، وجهت الدعوة إلى الأساتذة الأشوريين المقيمين في نصيبين وأورها؛ لكي يتوجَّهوا إلى جنديسابور للتدريس في جامعتها. وكان هؤلاء الأساتذة يقومون بتدريس علوم: الطب والنجوم، والرياضيات وقواعد اللغة. وفي القرن السادس الميلادي تأسَّست في إيران جامعة في نصيبين، وعهدت إلى هؤلاء الأساتذة بالتدريس فيها، ولم يقتصر دور

الآشوريين على تقديم الخدمات العلمية، بل شاركوا الإيرانيين في الصراعات العسكرية، كما أنشأوا مدارس في أرومية ومغان وضواحي خراسان وهرات وخوزستان وطوس ونيسابور في ظلّ الحكم الإسلامي.

من نساطرة إلى آشوريين

كان النساطرة متمركزين في جبال كردستان شرقي تركيا (كوتشانس) منذ القرن السابع عشر، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، اضطرّوا إلى ترك مناطقهم لتورّطهم مع الروس ضد الأتراك، فلجأوا آخر الأمر إلى العراق، ورحل قسم منهم إلى منطقة الخابور الأعلى في الجزيرة (سوريا).

كما تخلّصوا من اسمهم القديم، «النساطرة»، فأطلق عليهم اسم الآشوريين ليتميّزوا عن الكلدان الكاثوليك. واتخذوا مؤخراً اسماً رسمياً لكنيستهم هو «كنيسة الشرق الآشورية». وكان البطاركة منذ نهاية القرون الوسطى يتوارثون منصبهم من عم إلى ابن أخ متّخذين اسم شمعون (أو إيليا).

توسع المد الآشوري

ظهر من منطقة بيت قطرابي (قطر في الخليج) علماء كتبوا كلهم بالآشورية منهم: جبرائيل قطرايا: وأحوب قطرايا: وداد يشوع قطرايا: واسحق أسقف نينوى.

وقد اتسعت فتوحات الآشوريين النصارى الدينية، وصار لهم أيضاً كراسٍ مطروبوليتية في فارس وماداي وخراسان وتركستان والصين شرقاً، وفي أران وبلاد الديلم وكيلان شمالاً، وفي سوريا وفلسطين وجزائر البحر المتوسط غرباً.

وكانت فارس الأصلية محاطة جنوباً بالخليج وغرباً بقرمانية وشرقاً بالأهواز وشمالاً بماداي. ومركز الكرسي المطروبوليتي مدينة رواردشير وموقعها على نهر تاب في حدود فارس. ومن المدن الأسقفية في فارس: اصطخر وبهشابور وقيش وكازرون ومشكنا قردو (زموم الأكراد) وأردشير كورة واسمها القديم كور أو جور ثم سمِّيت بيروز آباد. وكانت بلاد كلدو وآشور مع البلاد المتصلة بها، منقسمة إلى ست أبرشيات، ثلاث منها في كلدو وثلاث في آشور.

خلال الإسلام

الآشوريون أيام الشاه

لقد حظي الآشوريون في عصر الشاه عباس الصفوي (996م) الذي وطّد صلته بالمسيحيين الأوروبيين، بتعاطفه، فكان يشاركهم مناسباتهم الدينية. واختار فتح علي شاه القاجاري (1212م) فتاة آشورية زوجة له، وكوّن من الآشوريين فرقتين من المتطوعين لشهرتهم في القتال والصمود.

وفي عهده قَدِمَت إلى إيران عدة إرساليات مسيحية، ما كان سبباً في تقسيم الآشوريين إلى أربعة مذاهب لكل مذهب منها كنيسة مستقلة.

اللّغة:

أصبحت اللّغة الآرامية السريانية لغة الإمبراطورية الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد، واستمرت اللّغة الرسمية لبلاد الهلال الخصيب وإيران، وصارت في العصر الميلادي لغة المسيحيين والكتّاب النصارى في بلاد فارس.

الآشوريون حالياً

يُقدَّر عدد الآشوريين في إيران بحوالي عشرة آلاف ولهم مدارسهم وجمعياتهم الخيرية وروابطهم ونواديهم الرياضية الخاصة بهم في طهران العاصمة وأرومية وعدة مدن أخرى، وهم يمارسون نشاطهم السياسي بحيث يوجد مندوب واحد يمثلهم في مجلس الشورى الإسلامي.

وبعد الحرب العالمية الثانية أسس الآشوريون في المناطق التي يقطنوتها مجالس تحت اسم (موثبا)، وحالياً لا يوجد أحزاب لهم في إيران، بل جمعيات مختلفة واتحادات مثل اتحاد الطلبة الجامعيين الآشوريين واتحاد الشبيبة الآشورية.

وتعتبر أرومية المركز الرئيسي للمسيحية الآشورية، وهي تقع غرب إيران، على الحدود العراقية ـ التركية، ويعود تأسيس الكنيسة الآشورية في طهران إلى 58 سنة مضت.

ويتمتّع الآشوريون في إيران بالخدمات الآتية:

- الخدمات البرلمانية: لديهم نائب واحد في مجلس الشورى الإسلامي.
- الخدمات الكنسية: يبلغ عدد الكنائس الآشورية، أو الآشورية الشرقية حوالي 59 كنيسة في مدينة أرومية فقط، وستاً في طهران، وبهذا يكون المجموع 65 كنيسة، ست منها يعود تاريخها إلى العهد الساساني.
- الخدمات العلمية والثقافية والترفيهية: إضافة إلى إمكانية دخول أبناء هذه الطائفة إلى المدارس العامة، فإن لديهم مدارس خاصة، أهمها مدرسة مريم للبنات، ومدرسة بهنام للبنين. وللآشوريين 27 نشرة،

و20 مركزاً ثقافياً واجتماعياً، و12 جمعية، واحدة للنساء، وأخرى للمهندسين وغير ذلك، ودار للعجزة. وفي كل سنة يأتي زعيمهم الروحي لزيارتهم، فيقيم بينهم شهراً أو شهرين. هذا بالإضافة إلى «نادي الآشوريين» وهو ليس تابعاً للكنيسة، بل تُقام فيه نشاطات ثقافية واجتماعية. وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الكنيستين الكلدانية والآشورية أصبحتا كنيسة واحدة.

الباب الخامس

الكلدان

عاشت الكنيسة النسطورية في ظلّ الملوك الفرس تارة في هدوء وسلام، وطوراً في اضطراب واضطهاد، إلى أن استولى العرب على الدولة الفارسية فنما النساطرة في ظلّ حكمهم نموّاً سريعاً، وتكاثرت أبرشيَّاتهم وعمرت أديرتهم وامتدت كنيستهم امتداداً واسعاً، فبلغت في العهد العباسي أراضي الصين نفسها. وقد انقسم النساطرة في ما بعد إلى كلدان وأشوريين.

ولمّا استولى المغول على بغداد بزعامة هولاكو (1258 ـ 1265)، لم يتعكّر صفاء عيشهم، بل نعموا بالحريّة الدينية، ولم يتسرّب الفتور إلى قلب الكنيسة النسطورية إلّا في عهد تيمورلنك (1336 ـ 1405)، فتقلص ظلّها وقلَّ عدد أبنائها، وتفرّقوا في العراق وبلاد العجم.

وانضمّ بعض النساطرة في القرن الخامس عشر إلى الكنيسة الرومانية بمناسبة انعقاد مجمع فلورنسة (1439 ـ 1442) فلُقّبوا بـ«الكلدان»، كما طلب إليهم ذلك البابا أوجانيوس الرابع، وعرفت كنيستهم بالكنيسة الكلدانية. ولم يدم هذا الاتحاد إلّا فترة وجيزة، فعادوا إلى النسطورية.

نظرة موجزة إلى الكنيسة الكلدانية

الكنيسة الكلدانية هي كنيسة رسولية، تنسب تأسيسها إلى الرسول توما عندما كان في طريقه إلى الهند، وتبعه أحد التلاميذ من الاثنين والسبعين وهو إدي، ثم تلميذه ماري.

بدأت هذه الكنيسة وانتشرت سريعاً في الإمبراطورية الفارسية التي كانت تشمل، بالإضافة إلى إيران الحالية، الرقعة التي بين نهري دجله والفرات؛ ولذا كانت تُسمّى «ما بين النهرين ـ ميزوبوتاميا»، وقسماً من جنوب تركيا المسمى «الجزيرة»، والخليج العربي، والجزيرة العربية، واليمن وقبرص.

وفي العام 410، التأم أول مجمع للكنيسة الكلدانية، وكان ذلك في عهد بطريركها مار إسحق. وتوالت مجامعها العديدة حتى القرن الرابع عشر. وقد أرسلت مرسليها لنشر الإيمان في الأصقاع الشمالية لإيران، وإلى منغوليا والصين، (حيث لا تزال المسلة التي اكتشفت في الصين تحمل حروفاً صينية وكلدانية منذ القرن السابع المسيحي)، وغطت أيضاً منطقة التيبت وجنوب الهند المسمّى ملبار، (حيث ينتمي أكثر من ثلاثة ملايين شخص إلى الكنيسة الكلدانية في منطقة كيرالا).

ومنذ نهاية القرن الخامس، إثر المناقشات حول التجسّد، قطعت الكنيسة الكلدانية علاقتها مع الكنائس الموجودة في الإمبراطورية الرومانية من غربية ومشرقية، وبقيت مزدهرة في إيمانها الذي نشرته في آسيا، وفي إدارتها الفريدة لأبرشياتها الكثيرة بمجامعها القانونية الدقيقة، إلى أن هاجمتها القبائل الهمجية المغولية ابتداء من هولاكو إلى تيمورلنك الذي اجتاح العام 1393 بغداد، فحطّم كنائسها والأبرشيَّات الكلدانية فيها

وقضى على سكانها. وهكذا اختفت كنائس وأبرشيات وأديرة كانت مزدهرة في تلك الربوع، إلى أن التقت الكنيسة الكلدانية بالكنيسة الرومانية في العام 1552 واتّحدتا بشخص بطريركها مار شمعون الثامن يوحنا سولاقا. وكان لهذا الاتحاد نتائج مهمة وكثيرة لإعادة أمجاد الكنيسة الكلدانية القديمة. وقد كان مقر الكرسي البطريركي في القرون السبعة الأولى في المدائن (ساليق ـ قطيسفون) ثم نقله البطريرك طيماثاوس الكبير إلى بغداد في العام 790 .

ومنذ المد المغولي، انتقل الكرسي البطريركي إلى مراغة (1283 ـ 1317) وبعده إلى أربيل(1318 ـ 1332) ثم إلى كرمليس (1332 ـ 1364) وبعده إلى الموصل (1365 ـ 1497) وإلى قوجانس (1551 ـ 1903) وإلى سلماس 1903 ـ 1918) والموصل (1918 ـ 1920) وسان فرنسيسكو (1936 ـ 1975) وأخيراً إلى شيكاغو منذ 1976.

أما بالنسبة إلى الفرع الكاثوليكي في الكنيسة ومنذ اتحاده بروما، فقد أقام البطريرك في آمد (دياربكر) (1552 ـ 1555) وبعده في سعرد (1555 ـ 1571) ثم عاد إلى آمد وإلى القوش فالموصل، وأقام عملياً منذ 1947 في بغداد، إلى ان انفصلت أبرشية الموصل عنها في العام 1960 فصارت بغداد الأبرشية البطريركية.

استقلاليّة كنيسة الكلدان وعلاقتها بالكرسيّ الرسوليّ

استقلاليّة كنيسة المشرق

شغلت كنيسة المشرق رقعة جغرافية كانت تحت الحكم الفارسي، في حين أن الكنيسة الغربية كانت تحت الحكم الروماني. لم يكن لهذا

الأمر أهمية إلا بعد مرسوم ميلانو الصادر سنة 313 (أعلن هذا المرسوم الملك قسطنطين بتشجيع من أمه القديسة هيلانة. وبموجب هذا المرسوم، أعطيت حرية اعتناق المسيحية وممارسة شرائعها لمواطني الإمبراطورية الرومانية)، حيث بدأ الفرس ينظرون إلى مسيحيي إمبراطوريتهم على أنهم جواسيس موالين لأعدائهم الرومان الذين كانوا يرعون الديانة المسيحية التي كانت قد انتشرت في الإمبراطورية، بل وتغلغلت حتى في البلاط الفارسي. فصار هذا الأمر أحد أسباب اضطهاد المسيحيين في تلك البلاد.

من ناحية أخرى، فرضت الحروب بين الفرس والرومان على مسيحيي كنيسة المشرق صعوبة الاتصال بإخوتهم الغربيين، الأمر الذي ساهم في نموّ هذه الكنيسة بشكل مستقل إدارياً عن كنيسة الغرب.

أما من الناحية العقائدية، فلم يكن هناك فرق في بداية نشأة الكنيسة، إلا أن ظهور تعاليم نسطوريوس وانتشارها في كنيسة المشرق عن طريق مدرستي الرها ونصيبين، من ناحية، ومحاولات المنوفيزيين التغلغل في كنيسة المشرق، من ناحية أخرى، جعل أساقفة كنيسة المشرق ومعلّميها يميلون إلى تعليم نسطوريوس. وقد أدّى ذلك إلى الإسهام في تمييز الفرس بين نوعين من المسيحيين: فمسيحيو الإمبراطورية الفارسية لا يدينون بالمعتقد الروماني نفسه؛ لذا يمكن القول: إن الوضع السياسي كان عاملاً في قبول كنيسة المشرق التعاليم النسطورية والانفصال العقائدي عن الغرب، بالإضافة إلى الدافع الوقائي ضد المنوفيزية.

محاولات مبكرة للاتحاد مع روما

أما على صعيد العلاقة الرسمية بكنيسة الغرب، فقد ادّخر لنا التاريخ

من الوثائق ما يؤكّد حدوث محاولات مبكرة نسبياً للاتحاد بالكرسي الرسولي في روما. وقد جرت هذه المحاولات بعد زوال الدولة الفارسية ونشوء الدولة الإسلامية واستقرارها وبنائها علاقات طيبة مع جيرانها، ما جعل كنيسة المشرق تنعم بالاستقرار والسلام، وتفكر بتحسين علاقاتها مع باقي الكنائس التي طالما بقيت كنيسة المشرق شبه منعزلة عنها.

وقد جرت أولى المحاولات الرسمية على يد الجاثليق سبريشوع الخامس (1226 ـ 1256) الذي عُرف بعلمه وقداسته، وكان سبّاقاً في مضمار الوحدة، فأعرب عن رغبته فيها وعن معتقده الميّال إلى معتقد الكنيسة الجامعة. وقد نقل المرسلون الغربيون هذه الرغبة إلى البابا أشنسيوس الرابع الذي وجّه رسالة إلى الجاثليق يهنّئه فيها على حقيقة إيمانه، وأجاب الجاثليق على رسالة البابا برسالة، أوكل كتابتها إلى الربّان آرا وكيله العام، يشكره فيها ويبدي اعترافه بسلطة الحَبر الروماني، كما أرفق معها رسالة من مشارقة الصين وأخرى تتضمن صورة إيمان رئيس أساقفة نصيبين إيشوعياب برملكون تحمل توقيعه مع تواقيع مطرانين وثلاثة أساقفة مع صورة إيمانهم. إلا أن الأمر وقف عند هذا الحد، بعدما جاء الاجتياح المغولي لينشر الفوضى والإرهاب في المنطقة.

وقد جرت المحاولة الثانية في عهد الجاثليق يهبالاها الثالث (1281 ـ 1317) بواسطة زميله الربّان صوما سنة 1287، حين أرسله كلّ من الجاثليق يهبالاها الثالث والملك المغولي أرغون مبعوثاً إلى البابا نيقولا الرابع وملوك الغرب. وحظي الربّان صوما بإكرام وترحاب البابا الذي حمّله هدايا إلى الجاثليق مع رسالة بيّن فيها عقيدة الكنيسة الجامعة ودعا

الجاثليق إلى الانضمام إليها. ثم توقفت المراسلات عند هذا الحد حتى سنة 1304، حين أرسل الجاثليق رسالة إلى البابا بندكتس الحادي عشر بيد الراهب الدومينيكي يعقوب مبيّنا فيها صورة إيمانه، ومبدياً طاعته وتعلّقه، هو وجميع أساقفته، بالكرسي الرسولي. إلا أن هذه المساعي ذهبت أدراج الرياح؛ إذ كانت تفتقر إلى دراسات رصينة شاملة، كما قضت عليها الظروف السياسية ومواقف المغول المتقلّبة.

التقسيم الإداري للكنيسة:

كانت اللّغة الليتورجية اللّغة الكلدانية، وهي أحد الفروع الآرامية. وتوجد ثماني أبرشيات موزّعة كالآتي: ثلاث في إيران (وهي طهران، الأهواز وأرومية)، وواحدة في كل من تركيا، سورية، لبنان، مصر، وأخيراً في الولايات المتحدة الأميركية.

كما توجد في كلّ الكنائس نشاطات مختلفة مثل مساعدة العائلات المحتاجة.

الأوضاع الحاليّة للكلدان في إيران

يبلغ عدد الآشوريين والكلدان في إيران حوالي 16000 ومنهم 8500 كاثوليكي. كما يوجد 8 كهنة كلدان، اثنان من أصل إيراني و3 أتوا من العراق، و2 من فرنسا وواحد ينتمي إلى كنيسة سيرو مالنكار في الهند. أما الأرمن الكاثوليك، فلديهم كاهنان فقط آتيان من لبنان.

أبرشيّات الكلدان في إيران:

1 ـ **أبرشيّة الأهواز**، وهي رئاسة أسقفية أُعيد تأسيسها سنة 1966، كان يرأسها منذ سنة 1974، المطران حنا زورا المقيم حالياً في كندا.

ولكن كرسي الأبرشية شاغر اليوم بسبب هجرة المسيحيين.

2 ـ **أبرشيّة أرومية وسلماس**، وهي رئاسة أسقفية منذ سنة 1560، وقد أعيد تأسيسها سنة 1890، ويرأسها المطران توما ميرم منذ سنة 1984.

3 ـ **أبرشيّة طهران**، وهي رئاسة أسقفية منذ سنة 1853، يرأسها المطران رمزي كرمو منذ سنة 1996.

مؤسّسات الكنيسة الكلدانية

بالإضافة إلى تنظيم الكنيسة من الناحية الإدارية، في ما يخص تنظيم الأبرشيات، اهتمت الكنيسة الكلدانية بتنظيم مؤسّساتها الرهبانية والثقافية والإعلامية.

المؤسّسات الرهبانية

وعرفت الكنيسة الكلدانية، وعموم كنائس المشرق، خلال القرون الأولى حركات رهبانية زاخرة أمدّت الكنيسة بلاهوتيّين ومتصوّفين وكتّاب ومفكّرين وشعراء كهنة وأساقفة وبطاركة. واستمر هذا الازدهار حتى نهاية العهد العباسي، ثم أصاب الكنيسة التراجع في هذا المجال، كما في مجالات أخرى، في العهدين المغولي والعثماني لأسباب أمنيّة ولظروف المنطقة السيّئة وقتذاك.

الباب السادس

الكاثوليك

يُعتبر الكاثوليك الطائفة المسيحية الأكبر في العالم. لكن ما هو عددهم في إيران؟ وكيف هي ظروف الحياة التي يعيشون؟

انخفض عدد الكاثوليك في إيران بحسب «جوفاني لاجولو» الذي يشغل منصب أمين عام الكرسي الرسولي للعلاقات مع الدول إلى درجة صار يمثّل فيها واحداً على عشرة مما كان عليه في العام 1973، إذ لم يعد يشكّل سوى 0,01 من مجموع الشعب الإيراني. وهو وفق التقديرات يتراوحُ بينَ عشرةِ آلاف وخمسةٍ وعشرينَ ألفَ شخص، من أصلِ مجموعِ عددِ الجمهوريةِ الإسلامية.

وتبيّن كذلك في تقرير أعدته وكالةُ الأنباءِ الكاثوليكية الأميركية/ كاثوليك نيوز سيرفيس/ أنّه على الرغمِ من تحسّنِ الأوضاعِ، مقارنةً مع السنواتِ الأولى التي تلتِ الثورةَ الإسلاميةَ في العام 1979، ما تزالُ الجماعةُ الكاثوليكيَّة في إيران تعاني من صعوباتٍ تعمل السلطة على حلّها بالتعاون مع الكاثوليكيين. وأشار هذا التقرير إلى أنّ الكنيسةَ الكاثوليكية في إيران تُديرُ ثلاثَ مدارسَ تعلّم فيها تعاليمها الدينية.

ويعود تاريخ هذه الكنيسة إلى ما قبل القرن السادس عشر الميلادي، وذلك عندما انقسم النسطوريون إلى فرقتين هما: الكلدانيون، وقد عَيّن لهم الحَبر الأعظم جول الثالث أسقفاً العام (1555)، والنسطوريون الذين بقوا على وفائهم للكنائس الآورية الشرقية. وتُدار الكنيسة الكاثوليكية هذه بإشراف لجنة من الأساقفة مُكوّنة من 13 قساً، وهي تشمل ثلاث كنائس:

1 ـ **كنيسة الأرمن الكاثوليك**: ويرجع تاريخها إلى ما قبل أربعة قرون؛ أي إلى عهد الدولة الصفوية، حيث بدأت في ذلك العهد حملات التبشير الكاثوليكية بين الأرمن الإيرانيين، وينتمي إلى هذه الكنيسة من الأرمن 12 ألف نسمة، لديهم ثماني كنائس، وأربعة نواد رياضية ترفيهية، وستة مراكز تعليمية، ومقبرة خاصة.

2 ـ **الكنيسة الكاثوليكية للآشوريين الكلدانيين**: تلتزم هذه الكنيسة بعقائد الكاثوليكية التزاماً تاماً، وتؤدّي مراسمها العبادية باللّغة الآشورية، ولهذه الكنيسة ثماني كنائس فعالة، ويبلغ عدد أتباعها حالياً 13 ألفاً.

3 ـ **الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية**: كانت هذه الكنيسة خاصة بالأجانب الذين أسّسوها، عند وفودهم إلى إيران في مهمّات رسمية، ويرجع تاريخها إلى سنة 1630 ميلادية. تقام في هذه الكنيسة مراسم أيام الآحاد بشكل دائم، فيحضرها الفرنسيون والإيطاليون والهولنديون والبولونيون. ويتراوح عدد أعضاء هذه الكنيسة بين الألف والألفين وخمسمئة نسمة، ترتبط بها 9 كنائس، وذلك حسب إحصاء قام به المطران الكاثوليكي في إيران.

الباب السابع

الإنجيليّون

الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في إيران

انطلقت الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في إيران مع إرسالية بروتستانتية أميركية، وهي المجلس الأميركي (ABCFM) في العام 1832، والإنجيليّون هم فرقة من البروتستانت (بروتستانت تعني المحتجيّن أو المعارضين). ولم يكن في نيّة الإرسالية المشيخية ومرسليها القيام بتنظيم كنيسة مستقلّة، بل أطلقوا على ذاتهم اسم «الإرسالية النسطورية» التي تمّ تنظيمها سنة 1834. وهم عملوا مع الكنيسة النسطورية من أجل إعادة إحيائها وتقويتها وتنشيطها. غير أنها رفضت الإصلاح في البداية، ولكن أخيراً تأثّر بعض أعضائها بالروح الإنجيلية، وانفصلوا عن الكنيسة القديمة، وألّفوا سبع رعايا بروتستانتية في مقاطعة رزايه Rezaiyeh وحولها، في شمال غربي إيران.

نُظّمت الكنيسة المشيخية الأولى في العام 1862، وتلتها كنائس أخرى. وفي العام 1933، قامت ثلاث كنائس مشيخية، وأعادت الكنيسة الإنجيلية توزيعها حسب اللّغة بدلاً من توزيعها جغرافياً. ونشأت عن هذه

الكنيسة رعايا إضافية توزّعت في مناطق مختلفة من البلاد، وجمعت أناساً من الذين اعتنقوا المسيحية وكانوا من معتقدات دينية مختلفة.

أما اللّغة اللّيتورجية فهي الأرمنيّة، السريانيّة والفارسيّة.

التقسيم الإداري:

ألّف سينودس المشيخي الكنيسة الإنجيلية سنة 1934. وفي العام 1963، اعتمدت هذه الكنيسة دستوراً جديداً واتخذت لنفسها اسم كنيسة إيران الإنجيلية المشيخيّة.

التعليم والتربية والخدمة الإجتماعيّة:

تجسّدت أبرز الإنجازات التي حقّقتها الإرسالية في حقل التعليم، حيث أنشأت كليّة ألبرز الشهيرة وكليّة أخرى للبنات، وسلسلة مستشفيات في رزاية، تبريز، رشت، طهران، مشهد، همدان، وكرمنشاه. ولكن كنيسة إيران الإنجيلية المشيخية أُجبرت كغيرها من الهيئات المسيحية والشِيَع الأخرى على تسليم مدارسها إلى المجموعات المحليّة عندما أمرت الحكومة بإغلاق جميع المدارس التابعة للإرساليات سنة 1940. وقد قام عدد من الرعايا بتأسيس المدارس ووضعها بإدارة الكنيسة الإنجيلية المسيحية. وفي العام 1965 حُلّت الإرسالية الأميركية وخضع جهازها، الذي كان يقوم بالتعليم المسيحي وتعليم الإنجيل، لسلطة الكنيسة الإيرانية، ولكن عملها توقف بعد الثورة الإيرانية في العام 1991.

الانتساب إلى هيئات أو مؤسّسات كنسيّة:

إقليمياً: تنتسب الكنيسة الإنجيلية الإيرانية إلى مجلس كنائس الشرق

الأوسط منذ العام 1974، ورابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط منذ العام 1974.

عالمياً: أصبحت الكنيسة عضواً في مجلس الكنائس العالمي في العام 1950، وهي عضو في الإتحاد العالمي للكنائس الإصلاحية (الكنائس البروتستانتية).

الباب الثامن

الأرثوذكس

يوجد في إيران كنيستان أرثوذكسيّتان: الروسية واليونانية، والكنيستان يعود تاريخهما إلى بداية هجرة الروس واليونانيين إلى إيران، ولا تزالان تمارسان نشاطاتهما الدينية والطقسيّة إلى الآن. يدير كنيسة تيكلاس المقدّسة الروسية حالياً قسّ موفد من كنيسة موسكو، ويؤدّي نشاطاته الدينية بشكل رسمي، فهو زعيم روحي للآلاف من المستشارين الصناعيين المعماريين الروس والعوائل الروسية المقيمة في إيران. ويتولى، بالإضافة إلى ذلك، مهمة الإشراف على الروس المسيحيين في منطقة الخليج العربي من محل إقامته في طهران.

الباب التاسع

البروتستانت

ظهر المذهب البروتستانتي في إيران مع توجّه الإرساليات التبشيرية من بريطانيا وأميركا إليها، وذلك في القرن التاسع عشر. وأهم كنائسه الكنيسة الإنجيلية الإيرانية (المشيخية = Presbyterian) التي تعتمد في عقائدها على مبادئ كالفين، ويعتقد أتباعها بأن عيسى المسيح ولد من مريم العذراء، ثم صلب ودفن، وبأنه قام من بين الأموات في اليوم الثالث من دفنه، ثم عرّج إلى السماء بعد أربعين يوماً، وسيعود إلى الأرض من جديد.

وهناك كنائس أخرى للبروتستانت، ومعابد رسمية أخرى لليهود والمجوس المقيمين في إيران، والذين يمارسون نشاطاتهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية بكامل حرّيتهم، وفي ظلّ الحماية التي يؤمّنها لهم قانون الجمهورية الإسلامية.

الفصل الرابع

الباب الأول

الأنظمة والقوانين التي ترعى شؤون غير المسلمين عامةً والمسيحيّين خاصة في إيران

تُعتبر حقوق الأقليّات من أبرز المشكلات المعقّدة والمثيرة للجدل في العالم، وعلى الرغم من تحوّل هذا العالم بفعل العولمة إلى قرية كونية، فإن هذه المشكلة لم تُحسم بعد.

وقد حاول الإسلام تحديد العلاقة بين المسلمين والأقليّات فأطلق عليهم منذ البداية وصف أهل الكتاب أو أهل الذمة، واعتبر القرآن الكريم أن لهم حقوق المواطنة الكاملة ويمارسون عبادتهم بكل حرية. وفي هذا المجال، قرّر الإسلام أصولاً عامة تحكم العلاقة بين جميع الأديان وهي تتلخّص بالنقاط التالية:

1 ـ الحياة الكريمة هي حقّ إلهي ثابت للجميع.

2 ـ الإنسان حرّ ولا يحقّ لأيّ فرد أو جهة سلبه الحق في الحياة الإنسانية وبالتالي حرّيته.

3 ـ التعبير عن الرأي.

4 ـ الاستعمار والاستعباد محرّمان قطعاً.

5 ـ حق الأمان ثابت للإنسان في كلّ المجالات في ما يتعلّق بشخصه ومن يرتبط به من عرضه وماله.

ويُعتبر الحوار من أهم وسائل الدعوة التي بدأها الرسول في رسائله التاريخية إلى هرقل والمقوقس والنجاشي وغيرهم، وتتجسّد ثقافته من خلال الانفتاح على الأقليّات وتحديد الأولويات التي تؤدّي إلى التفاهم. في الواقع أن الحوار بين الأديان بدأ منذ ظهور الإسلام، حيث كان هناك حوار بين الإسلام والمسيحيين باعتبار أن المسيحية هي ميراث شرقي ومتّصلة بالمجتمع الشرقي. وهذا يعود إلى تاريخ وثقافة إيران منذ عهد الملك كورش الذي ضمن حريّة الأديان والمعتقدات. وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع الأشوري كان المجتمع الأول الذي اعتنق المسيحية، ومنذ صدر الإسلام عاش أبناؤه تعايشاً سلمياً إلى جنب المسلمين. وكان الإمام علي عقد معاهدة مع المجتمع المسيحي ـ الآشوري أصلها موجود في مكتبة تْشِهِلْ ستون (أربعون عموداً)[1] في أصفهان، وهي تنصّ على التعايش السلمي بين الأديان[2].

الأقلّيات والاستبداد:

لا يندرج معنى الأقليّات دوماً ضمن مفهوم المظلومية والاستبداد، بل كانت هناك أقليّات حاكمة وأكثرية محكومة، ففي إتحاد جنوب افريقيا مثلاً نرى أن الأقلية الساحقة الإنكليزية كانت تحكم الأكثرية الساحقة من الأفارقة، وتعاملهم كأقليّة بقوة السلاح، إضافةً إلى المسلمين في القدس

---

(1) موقع أثري يحتوي على أربعين عموداً.

(2) بحث في الأقليات للباحث الإسلامي الإيراني في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة كريم النوري.

المحتلّة الذين يشكلون 78 بالمئة من غالبية الشعب، ولكنهم يتعرَّضون إلى حكم وتسلط الأقليّة الإسرائيلية.

وبالمقابل، تسعى الأقليّة في أغلب الأحيان إلى الارتباط بالقوى الخارجية من أجل صيانة حقوقها، وقد ساهمت الدول الكبرى في تعزيز هذه القناعة عند الأقليّات لأهدافٍ عديدة أغلبها لا يكون في مصلحة هذه الفئة المحكومة.

ولا بدَّ من التذكير بأنّ الكثير من الدراسات تنازلت موضوع الأقليّات في العالم[1] منها عن المسيحيين العراقيين والسوريين من اليعاقبة السريان والكلدان والآشوريين، الأمازيغ والأرمن والجراكسة والشيشان والدروز والعلويين والزيدية اليمنيين والأقباط المصريين والأفارقة، وعن التركمان المتنوعين واليزيدية والشبك والمتاولة والقبائل والشلوح والبدو وبقايا المماليك والكراغلة والطوارق والإباضيين والشراكوة والدارفوريين والموريسكيين، وجاليات من الخواجات الأوربيين والكاوريين، إضافة إلى أقليّات إيران وتركيا التي لا تُعدّ ولا تُحصى.

وفي سياق حقوق ووضع الأقليّات المسيحية في إيران، أشار المتحدّث الرسمي باسم الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي[2] إلى احتفالات الأقليّة المسيحية فى إيران بعيد ميلاد السيد المسيح وبرأس السنة الجديدة، وقال إن المسيحيين الإيرانيين منشغلون بشوق ولهفة فى إحياء هذه المراسم ما يؤكّد أن الادعاءات حول انتهاك حريّات الأقليّات الدينية في البلاد هي ادعاءات واهية.

(1) د. سيَّار الجميل، مدخل لفهم الأقليّات في الشرق الأوسط: رؤية مستقبلية ـ.
(2) 26 ـ ديسمبر 1999 ـ وكالات.

وقد صرح الملحق الثقافي الإيراني في يريفان عاصمة جمهورية أرمينيا بأن الجمهورية الإسلامية[1] هي الوحيدة في العالم التي تخصّص ميزانية سنوية لترميم الكنائس في إيران، بحيث اعتمدت الحكومة في العام 2006 مبلغ خمسة مليارات ريال لهذا الخصوص.

وفي الوقت الحالي هناك سلسلة من القوانين في الدستور الإيراني تضمن الحرّيات من ناحية الأحوال الشخصية للأقلّيات. وقد «اضطر المشرّع بمقتضى ظروف الثورة وفي بداياتها، إلى سن بعض القوانين التي ربما سبّبت بعض الإشكاليات البسيطة في ما يتعلّق بالحريّات الفردية. كما أن قانون العقوبات الإسلامية أيضاً لا يوافق على أن يكون هناك إجحاف بحق أحد. لكن، للأسف، أن بعض المحاكم، وعلى أساس الروايات والفتاوى والفقهاء السابقين، ربما كانت تصدر أحكاماً غير متكافئة وغير متساوية، بيد أنّه في الآونة الأخيرة، وبناءً على أوامر قائد الثورة الإسلامية ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام، تمّت المصادقة على قرار يضيف ملاحظة إلى المادة 207 من الدستور، تنصّ بصراحة على أن الأقليّات رسمياً معترف بها وفقاً للدستور، وبناءً على رأي الوليّ الفقيه تتمتّع بحقوق متساوية»[2].

القوانين التي تحكم الأقليّات في إيران:

تمارس الأقليّات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية شعائرها وطقوسها، وحرية القضاء في الأحوال الشخصية، وحرية تدريس المعالم الدينية للمذاهب في المدارس الرسمية، وتأسيس المدارس الدينية الخاصة.

---

(1) www.vefagh.com/html/1384/840620/html/mahaliat.htm.

(2) هويك بهبو في برنامج «من طهران» ـ قناة العالم/ 2007.

وقد عالج دستور الجمهورية الإسلامية واقع الأقليّات في موادّ عدة نستعرضها على الشكل التالي:

المادة الثانية عشرة:

تنصّ هذه المادة على أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الاثني عشري. وهذه المادة غير قابلة للتغيير إلى الأبد ولكن المذاهب الإسلامية الأخرى وهي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي تتمتّع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم الدينية حسب فقههم. وتتمتع هذه المذاهب رسمياً في التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية، الزواج، الطلاق، الإرث، الوصية (والدعاوى المرتبطة بها في المحاكم)، وكل منطقة يتمتّع فيها أتباع هذه المذاهب بأكثرية، فإن المقررات المحليّة لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب في نطاق صلاحيات مجالس الشورى المحليّة مع حفظ حقوق سائر المذاهب الأخرى».

المادة الثالثة عشرة:

وهي تنصّ على أن «الإيرانيين: الزرادشت واليهود والمسيحيين هم الأقليّات الدينية الوحيدة المعروفة التي تتمتّع بالحرية في أداء مراسمها الدينية، والعمل وفق مبادئها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية».

المادة الرابعة عشرة:

«بحكم الآية الكريمة: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ فإن على حكومة جمهورية إيران الإسلاميّة وعلى المسلمين أن يُعامِلوا غير

المسلمين بالأخلاق الحسنى والقسط والعدل الإسلامي، وأن يُراعوا حقوقهم الإنسانية، وهذه المادة يجري مفعولها بحق الذين لا يتآمرون ضد الإسلام وجمهورية إيران الإسلامية».

المادة الخامسة عشرة:

«اللغة والخط الرسميان للشعب الإيراني: هما الفارسية، ويجب أن تكون الوثائق والمكاتبات والمتون الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والخط، ولكن يُسمح بالإستفادة من اللّغات المحليّة والقومية في الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وكذلك تدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللّغة الفارسية».

المادة السادسة عشرة:

«لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والعلوم والمعارف الإسلامية؛ ولأن آداب اللّغة الفارسية متداخلة معها بشكل كامل، يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية، وفي جميع الصفوف وكافة الحقول الدراسية».

المادة التاسعة عشرة:

«أفراد الشعب الإيراني متساوون في الحقوق من أية قومية أو عشيرة كانوا، وإن اللون والعنصر واللغة وماشابه ذلك لا يكون سبباً للتفاضل».

المادة الرابعة والستون:

«عدد نواب الشعب في مجلس الشورى مئتان وسبعون نائباً، وبعد عشر سنوات وفي حالة ازدياد نفوس الدولة، يضاف في كلّ دائرة انتخابية نائب واحد لكل مئة وخمسين ألف نسمة، وينتخب الزرادشت واليهود

كلّ منهما نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الآشوريون والكلدانيون معاً نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الأرمن في الجنوب وفي الشمال كلّ منهم نائباً واحدا، وفي حالة ازدياد نفوس أي واحدة من الأقليّات فإنه يتمّ بعد عشر سنوات إضافةً نائب واحد عن كل مئة وخمسين الف نسمة إضافية».

هذا بالإضافة إلى الفقرة الأخيرة في المادة السابعة والستين والتي تنصّ على أن «نواب الأقليّات الدينية يؤدّون «القسم» مع ذكر كتابهم السماوي. . . ».

الأحوال الشخصيّة للمسيحيين في إيران

هي مشابهة إلى حدٍ كبير للأحوال الشخصية للمسلمين، فمثلاً يتزوّج المسيحيون في الكنيسة لكنّهم يسجّلون زواجهم في دوائر الدولة. والقرار الفعلي في أمور الزواج والطلاق والإرث هو بيد الكنيسة المسيحية باختلاف طوائفها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ علاقة المسيحيين المباشرة هي مع وزارة الثقافة الإسلامية، ففيها قسم يهتم بشؤون الأقليّات، حتى أن العلاقات مع وزارات الداخلية والتربية والخارجية تمرّ عبر هذه القناة. كما يملك الأرمن محكمة دينية تهتم بالأمور الآنفة الذكر. ويُسمح للمسيحيين بالدخول إلى دوائر الدولة رغم وجود صعوبة كبيرة بالوصول إلى الدرجات الأولى. أما في الجيش، فيشاركون في خدمة العلم الإجبارية ولكن من غير المسموح لهم البقاء في الجيش والترقّي داخل صفوفه.

مبدأ التعامل مع القضايا المذهبية

يظهر من خلال موادّ الدستور، أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة

تتعامل مع الأحداث والقضايا، تعاملاً إسلامياً عاماً، سواء اختصت القضية بأفراد ومؤسّسات شيعيّة، أم أفراد ومؤسّسات سنيّة، أو قضية ترتبط بالقوميّات والأقليّات الدينية الأخرى.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى أساليب التعامل مع المعارضة، بمختلف ألوانها. فجماعات المعارضة، سواء كان أفرادها سنّة أم شيعة، فرساً أم عرباً، أتراكاً أم أكراداً، تعاملهم بمقتضى الدستور وأحكام الشريعة. إذ إن القاعدة، كما يقول مسؤولو الجمهورية الإسلامية، هي ممارسات هؤلاء ومستويات انتهاكهم للدستور والقوانين العامة والخاصة.

من جهة أخرى، لم تُذكر أيّة تقارير ومعلومات عن مضايقات حلّت بالمسيحيين بعد انتصار الثورة. عدا حادثة واحدة أدت إلى مقتل ثلاثة كهنة، لكن المسؤولين الإيرانيين يؤكّدون أن أعداء الثورة هم وراء هذا العمل الذي كان موضع إدانة واسعة، وأنّه جاء في سياق المجازر التي ارتكبت ضدها، وأن أيدي الإجرام بعدما يئست من محاولاتها، تمدّدت إلى اللعب بنار النعرات الطائفية.

خطط ومقترحات لرقيّ الأقليّات

بقيت الأقليّات مهمّشة في أغلب بلدان العالم وفي أغلب مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وأما الخطة المناسبة لإعادة شخصيّتها والعمل على الإرتقاء بحضورها الاجتماعي، فيمكن أن يتمّ بما يلي[1]:

---

(1) بحث في الأقلّيات للباحث الإسلامي الإيراني في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة كريم النوري.

- التضامن والتعاون وتعميق الترابط وتمتينه بين الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وأقطارها، وتأكيد ذلك من خلال مقرّرات فعلية في الهيئات الدولية والإنسانية كالأمم المتحدة ومؤتمر القمة الإسلامية، وإدراج الأمر ضمن بنود هذا المؤتمر، ومتابعة التجاوزات والإخفاقات الحاصلة بحق الأقليّات في العالم.
- ترسيم حدود الأقليّات وتحديد واجباتها وحقوقها على أساس مراعاة القواعد والمبادىء الدولية في التعامل، وتفعيل ملفات حقوق الإنسان لاسيما تلك المتعلّقة بها.
- القبول بالتعدّدية واحترام الرأي الآخر، والدعوة للحوار الإيجابي في الأديان والمذاهب بهدف البحث عن القواسم المشتركة لتحقيق خير الإنسان ومصلحته.
- دعوة الأقليّات في كلّ بلد تعيش فيه إلى أهمية السعي الإيجابي لكي يكون أفرادها مواطنين صالحين من دون إثارة الخلافات التي هي خارجة عن إطار المذاهب والأديان، والمشاركة الفاعلة في تقديم النموذج المشرق للتعايش والتوحّد والتفاهم.
- عدم اعتماد الأقليّات كأوراق ضغط في الصراعات الجانبية أو الحدودية بين البلدان، والسعي الجاد لإبعادها من عملية التوريط في الصراعات والأزمات السياسية والعسكرية التي تحصل بين البلدان عادة.
- مطالبة المنظّمات والهيئات الدولية والإسلامية والعربية بدعم ومساندة الأقليّات على أساس احترام سيادة الدول وعدم التدخّل في شؤونها.
- الاستفادة الممكنة من مبدأ الحوار بين الحضارات والأديان الذي

إقترحه الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي باعتبار أنّ هذا الحوار يمثّل الخطوط الإيجابية في معرفة الآخر والتعاون معه، مع التأكيد على احترام الخصوصيّات العقيدية والثقافية للأقليّات المسلمة.

- الاستفادة من العلاقات السياسية والإقتصادية التي تقوم بين الدول، وتأكيد أهميّة تحسين الظروف والأوضاع العامة للأقليّات، وحلّ مشاكلها من دون الإيحاء بالتدخّل في الشؤون الداخلية لتلك البلدان التي تحتضن الأقليّات.

- تأسيس محكمة دولية لمتابعة الإعتداءات والتجاوزات بحق الأقليّات من أجل حمايتها من محاولات الاستئصال والإبادة العرقيّة والدينيّة، وتشكيل لجان دولية لتقصّي أوضاعها في كل العالم مدعومة من الأمم المتحدة.

- الارتباط الوثيق بلجان حقوق الإنسان الدولية وتزويدها بالمعلومات اللاّزمة عن أوضاع الأقليّات التي تتعرّض للحصار والدمار.

- إبراز حقيقة الإسلام ومبادئه إمام المجتمع البشري، ودوره في تأكيد كرامة الإنسان وحريّته، ومناهضته لكلّ أنواع الاضطهاد والإرهاب والتطرّف، والدعوة إلى تعاون إنساني شامل في إطار الحق والعدالة الإنسانية.

- عدم تحميل الأقليّات تداعيات المشاكل التاريخية التي شغلت البشرية في وقت من الأوقات، وتبرئتها من جرائم لم تقترفها هي أساساً، وإنما فعلها أسلافها، وتأكيد قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

---

(1) سورة النجم: الآية 37.

وفي هذا الاتجاه، يشير يوناتن بت كليا، وهو نائب عن الآشوريين في المجلس الشورى الإسلامي، إلى المساواة الموجودة بين المسلمين وغير المسلمين و«هذا من وحي الشارع الإسلامي المقدّس والحقيقة منذ ثلاث سنوات وإثر الفتاوى التي أصدرها العلماء العظام وصدّق على ذلك مجلس الشورى الإسلامي ومجمع تشخيص مصلحة النظام، وأصدر القائد قراراً بذلك، وتم ازالة بعض المشاكل الموجودة»[1]. في المقابل، يلفت هذا النائب الأشوري إلى أن ليس للأقليّات محكمة خاصة.

من جهته، يؤكّد د. عبد المجيد ميردامادي رئيس مركز حوار الأديان والثقافات في إيران، أنّ الدستور الإيراني هو أشمل دستور في ما يتعلق بالأقليّات، معتبراً أنّ هناك دقة وحريّة البيان وحريّة ممارسة الطقوس والأعمال الدينية، والأهم من كلّ ذلك أنّه يحق للأقليّات أن تتحدّث في مجتمعاتها بلغاتها الأم. بالإضافة إلى ذلك، يمتلك المسيحيون تنظيمات خاصة بهم ومعترفاً بها في القانون الإيراني، فهناك مجلس خاص للأرمن، وهناك جمعيات مستقلة للأشوريين ينتخبون فيها أعضاء الهيئة الإدارية التابعة لهم بشكلٍ مباشر.

في الوقت الحاضر، تحظى أربع أقليّات دينية برعاية الحكومة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تؤكد أنها مكلّفة بالحفاظ على حقوق هذه الأقليات، وعلى حريّتها الدينية، وعلى توفير الأمن لها. فهي تتمتّع ـ في إطار القوانين الإسلامية ـ بحريّات ثقافية واجتماعية وسياسية، شأنها في ذلك شأن جميع أفراد وطبقات الشعب الإيراني، وهذه الأقليّات هي: الأقليّة اليهودية، الأقليّة المسيحية (آرمن وآشوريون)، والأقليّة الزرادشتية.

---

(1) برنامج «من طهران» ـ قناة العالم/ 2007.

الفصل الخامس

المسيحيّون الإيرانيّون في العالم

الباب الأول

هجرة المسيحيّين من إيران

تتميّز منطقة الشرق الاوسط بأنها مهبط للديانات التوحيدية الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية). وقد كان المؤمنون جنباً إلى جنب محافظين على تراثهم ومقدّساتهم، ولم تخل المنطقة من اتباع لإحدى هذه الديانات على مرّ التاريخ. وإذا كانت هناك غلبة للإسلام مقارنة بالديانتين الأخريين، إلّا أن المسيحية حافظت على وجود مهم في المنطقة خلال الألفي عام الماضية. لكن هذه المكانة مرشحة للتغيير في الألفية الثالثة، فالوجود المسيحي يسير إلى مزيد من التناقص الحاد، ليس في إيران فقط بل في معظم دول الشرق الأوسط.

تركيا

تُظهر الإحصاءات أنه لم يعد في تركيا سوى 80 ألفاً من المسيحيين؛ أي بنسبة واحد بالمائة من الأتراك، معظمهم من الأرمن، بعدما كان عددهم في حدود مليونين، أي بنسبة 15 في المئة سنة 1920 ، بينهم عدد كبير من اليونانيين الأرثوذكس. وهؤلاء رحلوا إلى اليونان في إطار عملية تبادل الجاليات بين تركيا واليونان عقب الحرب العالمية الأولى، وسقوط

الخلافة العثمانية 1923، في حين رحل الأرمن إلى دول الغرب مباشرة أو إلى لبنان و الأردن وسورية ومصر، ومنها إلى الغرب في وقت لاحق. وقد تصاعدت هجرة الأرمن الأتراك منذ صعود تيار الإسلام السياسي في تركيا في ثمانينيات القرن الماضي، وفي الوقت الحاضر فإن الأرمن في تركيا يقعون بين مطرقة صعود الإسلام السياسي، وسندان تزايد المشاعر القومية بسبب مشكلة الأكراد في الجنوب الشرقي، والخلاف بين تركيا وجمهورية أرمينيا بشان مذابح الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى والنزاع في إقليم ناغورنو كراباخ الواقع بين أرمينيا وأذربيجان الموالية لتركيا، فضلاً عن رفض الاتحاد الأوروبي (المسيحي) أن تكون تركيا (المسلمة) عضواً فيه.

المشرق العربي

في المشرق العربي تبدو الصورة أوضح. ففي منتصف الخمسينيات الماضية شكّل المسيحيون نسبة تتراوح ما بين 15 و20 في المائة من مجموع سكان عدة دول عربية مشرقية، فيما هم الآن لا يشكّلون أكثر من 10 في المئة.

وقد يبلغ عدد المسيحيين في القدس 2 في المئة بعدما كانت نسبتهم 53 في المئة في العام 1922 ، وحتى مدينتا بيت لحم والناصرة ، وهما أكثر المدن ارتباطا بالمسيحية على الأرض، وتمتّعتا بأغلبية سكانية مسيحية على مدى ألفي عام تقريباً. لم يعد الأمر كذلك الآن. فبيت لحم لم يعد فيها سوى 12 في المئة من المسيحيين بعدما كانت نسبتهم بها 85 في المئة في العام 1948. وكان المسيحيون يشكلون إجمالاً نحو20 في المئة من سكان فلسطين آنذاك. لكن نسبتهم الآن لا تتجاوز 10 في المئة.

وفي مصر، ولأول مرة منذ خمسينيات القرن العشرين ، يغادر المسيحيون الأقباط بلدهم بأعداد كبيرة، وهم لا يتجاوزون الآن ـ وفقاً لتقديرات غير رسمية ـ نسبة 6 في المائة من السكان البالغ عددهم نحو 72 مليون نسمة بحسب تعداد العام 2006. وفي العراق، وطبقاً لتعداد السكان الذي أُجري في العام 1977، كان عدد المسيحيين نحو مليون و684 ألف نسمة، وفي آخر إحصاء أُجري في العام 1987 هبط إلى مليون وربع المليون نسمة؛ أي بنسبة 5 في المائة من الشعب العراقي، وعشية الغزو الأميركي في العام 2003 بلغ عدد المسيحيين العراقيين نحو 700 ألف شخص؛ أي نحو 3 في المائة من مجموع السكان البالغ عددهم نحو 25 مليون نسمة. وبعد مرور نحو أربع سنوات على الاحتلال يقدّر عدد الذين غادروا البلاد منهم بنحو 350 ألف نسمة.

إيران

بعد الفتح الإسلامي لإيران، وانتشار الإسلام فيها، ساعد المسيحيون العرب في إدارة شؤون البلاد، ولم يمنع الإسلام قيام علاقات اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وأهل الكتاب، سواء كانوا مسيحيين أم يهوداً. ومن عوامل زيادة عدد المسيحيين هناك خلال تلك المرحلة، تغيّر الأوضاع السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في روسيا وتركيا؛ إذ هاجر عدد كبير من مسيحيي هاتين الدولتين إلى إيران بسبب سوء المعاملة، خصوصاً تجاه الأرمن.

ويبلغ عدد المسيحيين الإيرانيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة فقط أكثر من 500 ألف أرمني. ويتوزّع المهاجرون في عدد من الدول كالنمسا وفرنسا. وتجدر الإشارة إلى أن هناك شركة يهودية تؤمّن الفيزا

للمسيحيين الإيرانيين للسفر إلى النمسا ومنها إلى الولايات المتحدة، فيما يبلغ عدد الأرمن الإيرانيين في اليونان حوالي 4 الآف نسمة.

إلى ذلك، تقدّر بعض المصادر المسيحية الإيرانية عدد المهاجرين بحوالي ثلاثة أو أربعة ملايين من كلّ الطوائف المسيحية.

الباب الثاني

أسباب هجرة المسيحيّين وتناقص أعدادهم

في حال استمرار التناقص في أعداد المسيحيين في الشرق الأوسط بهذه المعدلات، ليس هناك شكّ في أنه خلال عقد أو عقدين من الزمن، سيفقدون أيّة أهميّة حيوية أو تاثير سياسي. وهذا التناقص الشديد يُعزى أولاً إلى انخفاض معدل المواليد بينهم بسبب ارتفاع مستواهم الاجتماعي والاقتصادي. وثانياً إلى فشل مشاريع التنمية والنهضة في معظم دول المنطقة، وشعور المسيحيين وفئات اجتماعية أخرى بعدم جدوى البقاء في هذه البقاع بسبب تردّي الأوضاع الاقتصادية والسياسية فيها إضافةً إلى أسباب ذاتية. أمّا ثالثاً والأكثر أهمية، فهو أن منطقة الشرق الأوسط تشكّل بيئة طاردة بسبب الصراعات والحروب التي شهدتها على مدى نصف قرن تقريباً، بداية من تأسيس إسرائيل في العام 1948، ثم صعود التيار الإسلامي عقب هزيمة 1967، والأحداث الأمنية المضطربة في إيران والمنطقة، واشتعال الحرب العراقية ـ الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات، ثم الحصار الاقتصادي للعراق عقب غزوه الكويت في العام 1990 ، وانتهاء بالغزو الأميركي لأفغانستان أواخر العام 2001، والعراق في العام 2003، في إطار ما تسمّيه واشنطن الحرب العالمية على

الإرهاب عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 ، تلك الحرب التي أجّجت العداء التاريخي والإيديولوجي بين الاسلام والغرب، وأطلقت موجة من التطرّف والإرهاب لا تقتصر تداعياتها على الأقليّات المسيحية فقط.

في المقابل، يشكّل الغرب بيئة إغراء وجاذبية للمهاجرين عموماً بسبب تقدّمه الاقتصادي وتأمينه الحريّات الدينية والمدنية. وفي هذا الشأن يفضّل الغرب الرأسمالي استقدام واستقطاب مهاجرين ينتمون إلى المسيحية بطوائفها المختلفة، خصوصاً من فئة الشباب، كي يسهموا في نموّه الاقتصادي، ويسدّوا العجز في المواليد الذي يعاني منه.

تداعيات خطيرة

وممّا لاشك فيه أنّ خلوّ الشرق الأوسط من مسيحييه سيفقد المنطقة أحد العناصر الرئيسية من تمّيزه الحضاري، وينسف أحد الجسور المهمّة بين المنطقة والغرب، في وقت هما أحوج ما يكونان فيه إلى مدّ الجسور وليس قطعها أو التفريط في أحدها. ويتخوف البعض من أن يصبح منطقة موحشة تتصارعها أصوليتان: يهودية وإسلامية، وستحاول إسرائيل استغلال هذا الصراع في تجديد دورها «الوظيفي» في المنطقة باعتبارها قلعة متقدّمة في مواجهة الإسلام فتحفظ بذلك استمرار دعم الغرب لها. وكان مسؤول القدس الراحل فيصل الحسيني أول من حذّر من هذا الأمر. فقبيل وفاته زار فرنسا لمناشدة أسقف باريس في حينه، المونسنيور لوستيجيه والرئيس جاك شيراك، التدخّل وحضّ مسيحيّ القدس والأراضي الفلسطينية والدول العربية المختلفة على عدم مغادرة بلدانهم، عملاً بسياسة متعمدة لإفراغ فلسطين والعراق وسورية ولبنان من المسيحيين. وقال الحسيني: «إنّ إسرائيل تقف وراء هذه السياسة

التي تهدف من خلالها إلى إفراغ المنطقة من العناصر المعتدلة لتبقى هي منفردة مع الإسلام المتشدّد، ما يسهّل عليها قمع التطرف الديني والحصول على دعم غربي مقابل ذلك».

أسباب هجرة المسيحيّين من إيران

تعتبر الهجرة نحو الغرب كالوباء الذي يهدّد وجود كل كنائس الشرق فقد هبطت نسبة عدد الأقليات المسيحية من سكان إيران، خلال العشرين سنة المنصرمة، من 5،0% إلى 1،0%. ويمكن وصف الوضع في إيران حالياً كما يلي:

- إن الآشوريين الكلدان قد غادروا، من قبل، منشأهم التقليدي في القرى المحيطة بأورمية، خصوصاً إبان المجازر في الحرب العالمية الأولى؛ حيث كان يبلغ عديدهم، حوالى 30،000 نسمة. فتوجهوا منذ ذلك الحين نحو أوروبا وأميركا، حيث كانوا يحققون الثروات قبل أن يعودوا إلى البلاد، أو على الأقل البعض منهم. أما الآخرون، وهم أكثر عدداً، فقد توجّهوا، إلى المناطق النفطية والمدن الكبيرة في إيران. وبهذه الطريقة تمدنوا بشكل أسرع من سواهم. وقد قصد أكثرهم طهران، لكنهم لم يتجمّعوا في «أحياء مسيحية» مثلما نعرف من المدن الأخرى المنتشرة في الشرق الأوسط. ولا ريب في أنّ هذا التمدّن يمثّل، بالنسبة إلى الآشوريين الكلدان، وهم أقل عدداً من الأرمن، اقتلاعاً مهماً من الجذور يهدّد انتقال لغة الجماعة وتقاليدها الكنسية.

- ومن المهم القول إن حركة الهجرة هذه، هي في ارتفاع مستمر، ويصعب إعطاء أرقام عنها. لكن نشرة «عمل الشرق» رسمت جغرافية هجرة الكلدان، سواء أكانوا عراقيين أم إيرانيين وفق الأرقام التالية:

85000 في أميركا، 22000 في أوروبا، 1000 في أستراليا، وبضعة آلاف في بلدان الخليج. أما في البلدان التي يعبرونها أو ينتظرون فيها، فقد أحصي 20000 كلداني يبحثون عن بلد يستقبلهم. مع الإشارة إلى أن هذه الأرقام تعود إلى سنة 1992.

ويمكن أن نقول هنا إنّ نتائج هذا النزيف واضحة من خلال:

* الأشخاص الأكثر ثراءً وطموحاً وثقافة هم الذين أخذوا المبادرة أولاً في الرحيل، ونجاحهم النسبي يجرّ آخرين وراءهم رغم أنهم أقل استعدادا للمغامرة هذه.

* الشباب هم الذين يغادرون أولاً ما يدفع بالشابات إلى أن يتزوجن من مسلمين حكماً، ويصرن مسلمات.

ربما هناك دافع آخر إلى الهجرة، هو فقدان الرجاء بمستقبل الكنيسة، بسبب غياب التجديد وخصوصاً التجديد الديري؛ لأن التاريخ يخبرنا كيف كانت تلك الأديرة العديدة مراكز إشعاع.

* وأخيراً شجعت الكنائس الهجرة من خلال ما علمته في المدارس ليس فقط اللّغات الأجنبية، وإنما نمط حياة غربياً وثقافة غربية أيضاً.

إنّ هجرة المسيحيين من إيران هي جزء من هجرة المسيحيين من الشرق الأوسط بشكل عام، ولها أسباب موضوعية خاصة بكل بلد، وأسباب ذاتية تتعلّق بالمسيحيين وبسلوك الكنائس المسيحية في الشرق.

الخاتمة:

هناك عدة تحديّات تواجه المسيحيين في إيران من جهة، والحكومة الإيرانية من جهة أخرى. ومما لا شك فيه أنه ليس هناك من اضطهاد للمسيحيين من قبل السلطة الحاكمة، وليست هناك أيّة عمليات إلغاء

بحقهم، لا بل هم يتمتعون ببعض الحقوق المدنية والاجتماعية، ولكن: ترى هل هذا الأمر كافٍ لإشعار المسيحيين بأنهم مواطنون متساوون مع الآخرين في الدولة؟.

لقد تطور النظام الإيراني من أيام الثورة الإسلامية حتى الآن في أسلوب تعاطيه مع المسيحيين، فوسّع هامش الحريّات للأقليّات بشكل عام، على الرغم من أن التجربة الإيرانية لم تكتمل بعد لكونها ما زالت فتية وفي طور النموّ ولكنها تتطوّر في هذا المجال.

هذا الواقع يعطي صورة مغايرة عن إيران، وهي أنها قادرة على إشراك جماعات أخرى في العملية الديمقراطية. وهذه العملية هي جزء من تحدّي حوار الحضارات الذي أطلقه الرئيس السابق محمد خاتمي، وعمل على توسيع مفهومه بين مختلف الطوائف والجماعات على المستوى العالمي، ومن البديهي تجسيده على الصعيد الإيراني ليكوّن صورة ومثالاً.

ومع الأخذ بعين الاعتبار التركيب الإتني والمذهبي للجمهورية الإسلامية، وهو في أغلبيته الساحقة من المذهب الشيعي، نرى أن التحدّي الأكبر للنظام الإسلامي هو كيفية تعاطيه مع مختلف المذاهب والإتنيات، وكيفية المحافظة على التماسك الوطني بعيداً عن التعصّب والتفكّك، لذلك يعمل النظام على تطوير طريقة ومنهجية القوانين الخاصة بالأقليّات وإعطائهم مزيداً من الحقوق السياسية. كما أنه من مصلحته العمل على استيعاب كل أبنائه لمنع أيّ تدخّل خارجي في شؤونه الداخلية، خاصة وأن الإدارة الأميركية تسعى لعزل إيران عن المجتمع الدولي وفرض حصار وعقوبات عليها، إضافةً إلى محاولات تحريض ودعم بعض القوى الداخلية لخلق اضطرابات فيها.

أما التحدّي الأبرز فيقع على عاتق المسيحيين أنفسهم. فهل هم قادرون على القيام بجهد من أجل بلورة المواطنية الإيرانية التي هي صورة عن الشراكة بين كلّ الطوائف والإتنيات التي تعبّر عن الدولة الدينية؟.

وفي هذا الإطار، نرى أن المسيحيين يواجهون تحدّي ابتداع صيغة لمسيحية إيرانية تأخذ من التعاليم والإيمان المسيحي، وتجسّده في الخصوصية الإيرانية، آخذين في الوقت نفسه الثقافات المشتركة والمختلفة بعين الاعتبار، ما يسمح لهم بتعميق الشعور بالانتماء إلى البيئة والتراث والأرض الإيرانية. وهذا الأمر يرتّب عليهم الابتعاد عن التبعية والتقليد لنماذج غربيّة غريبة عن ثقافتهم ولا تتماشى مع المسيحية الأصيلة التي تقوم على المحبة والتسامح والتضامن مع القريب ومساعدة المحتاج.

فهل يستطيع رجال النخبة المسيحيين ابتداع طريق خاص لمسيحية إيرانية أصيلة ونابعة من واقعها ومن تراثها، حتى لا تتحوّل إلى مسيحية على هامش الحياة الإيرانية؟. هكذا يكون التحدّي الفعلي أمامهم بأن لا يكونوا جالية مسيحية أو مغتربين في إيران وكأنهم قطعة من الغرب مزروعة في أرضهم، وبالتالي يكون التحدي الأكبر هو ان تزدهر المسيحية في أماكن وجودهم، وتستمر على الرغم من الصعوبات والعقبات التي يواجهونها، لأن المسيحية جزء من تاريخ هذا البلد. هذه الرؤية يمكن القيام بها وهي تتبلور من خلال الالتزام بالقضايا الوطنية والوقوف إلى جانب الحق والمظلومين مهما كانت انتماءاتهم السياسية والدينية.



ملحق رقم (1)

مقرّرات الأحوال الشخصيّة للأرمن الغريغوريّين

الكتاب الأوّل: في القرابة

القرابة النسبيّة، السببيّة، والابن المعمّد

المادّة 1: القرابة النسبيّة هي عبارةٌ عن علاقة الدمّ بين جميع أفراد الذكور أو الإناث، المولودين من زواجٍ قانونيّ، ويوجد بينهم سلَف مشتركٌ، أعمّ من أن يكونوا من عائلةٍ واحدةٍ أم لا.

المادّة 2: تتعيّن علاقة الدمّ قرباً وبعداً بواسطة خطوط ودرجات، وتُشكّل كلّ ولادةٍ درجةً، ويكوّن تسلسلُ الدرجات خطَّ النسل.

أ) خطوط القرابة عبارة عن:

1 ـ الخط العموديّ الانحداري: وهم الأولاد وأولاد الأولاد وإن نزلوا (مهما تسلسلت الدرجات نزولاً).

2 ـ الخط العموديّ التصاعدي: وهم الأبوان، والأجداد، وأجداد الأجداد وإن علَوا (مهما تسلسلت الدرجات صعوداً).

3 ـ الخط الأفقيّ: وهم الأخوة والأخوات، الأعمام والعمّات، الأخوال والخالات، وأولادهم جميعاً.

ب) درجات القرابة:

1 ـ الأقرباء النسبيّون من الدرجة الأولى؛ وهم الأبوين والأولاد.

2 ـ الأقرباء النسبيّون من الدرجة الثانية؛ وهم الأجداد، وأولاد الأولاد، والأخوة والأخوات.

3 ـ الأقرباء النسبيّون من الدرجة الثالثة؛ وهم آباء الأجداد، وأولاد أولاد الأولاد، وأولاد الأخوة والأخوات، والأعمام والعمّات، والأخوال والخالات.

4 ـ الأقرباء النسبيّون من الدرجة الرابعة؛ وهم أولاد أولاد الأخوة والأخوات، وأولاد الأعمام والعمّات والأخوال والخالات، وأخوة وأخوات الأجداد.

المادّة 3: يتبع أصل القرابة، المقرّرة في المادّة الأولى والمتعلّق بابن التبنيّ أو الأولاد غير الشرعيّين، الاستثناءات التالية:

أ ـ يمكن أن يكون هناك قرابة نسبيّةٌ بين الابن بالتبنيّ وبين أبيه أو أمّه بالتبنّي حتى لو لم يكن هناك رابطة الدّم.

ب ـ يملك الولد غير الشرعيّ، رغم أنّه وُلد بطريقةٍ غير قانونيّة، قرابةً نسبيّة مع أمّه، ويعتبر أولاده، من جهة حرمة النكاح فقط (لا من ناحية حقّ التوارث أو الأمور الأخرى) قريباً نسبيّاً مع أبيه وأقربائه النسبيّين.

المادّة 4 : تنتج القرابة السببيّة من خلال علاقةٍ عائليّة عبر زواج شخصين، بين الزوج وأقرباء الزوجة النسبيين، وبين الزوجة وأقرباء الزوج النسبيين، وكذلك بين الأقرباء النسبيين للزوج والزوجة، وتبقى العلاقة السببيّة على قوّتها حتى لو انفسخ لاحقاً الزواج الذي كان سبباً في وجودها.

أ ـ تتعيّن درجات القرابة السببيّة من خلال جمع الدرجات من جهة الزوج مع الدرجات من جهة الزوجة؛ مثلاً القرابة السببيّة لأخت الزوجة وأخ الزوج تعدّ من الدرجة الرابعة (2 زائد 2)، أو الزوجة مع عمّة الزوج تعدّ من الدرجة السببيّة الرابعة (1 زائد 3)، أو القرابة السببيّة للزوج مع أب الزوج، أو الزوج مع أم الزوجة فكلّ منهما من الدرجة الأولى (1 زائد 0)، وأمثال ذلك.

ب ـ لا تعدّ العلاقة السببيّة من موانع النكاح، ما عدا العلاقة بين الزوجة وأب الزوج، والزوج مع أمّ الزوجة، فيمنع الزواج فيما بينهم.

المادّة 5 : الإخوة والأخوات من الأمّ والأبّ (من رحمٍ وصلبٍ واحدٍ) هم الإخوة والأخوات المشتركون بالولادة من الأمّ والأب.
وتتحقّق القرابة غير الصلبيّة أو غير الرحميّة بأحد الأسباب التالية:

أ ـ قد تكون القرابة غير صلبيّةٍ وغير رحميّةٍ بشكلٍ كاملٍ، وذلك عندما تكون العلاقة عائليّة بين أشخاصٍ ليسوا من دمٍ واحدٍ، ناتج من الزواج المجدّد لوالديهم، بنحو أن يكون الأولاد من زواج سابق للزوج أو زواج سابق للزوجة، فتحصل بينهم علاقة

الأخوّة. ومن ناحيةٍ أخرى لا تكون العلاقة بين هؤلاء الأولاد السابقين مع الزوجة أو الزوج بحسب المورد علاقة الأبوّة، وكذلك بالنسبة للزوجين مع الأولاد السابقين على زواجهما لا تكون العلاقة معهم بحسب المورد علاقة البنوّة.

ب ـ القرابة غير الصلبيّة وغير الرحميّة غير الكاملة، هي العلاقة العائليّة بين الأخوات والإخوة الذين يوجد في ما بينهم قرابة الدمّ بواسطة أحد الوالدين، بمعنى أن يكون لهم أبٌ مشترك وأمهات مختلفة، أو أمٌّ مشتركة وآباء مختلفون.

المادّة 6 :العلاقة التي تحصل بين الابن بالتعميد والأب بالتعميد هي عبارة عن قرابة معنويّة تمنع من تحقّق الزواج بينهم.

المادّة 7 : تؤدّي القرابة السببيّة بين أقرباء الزوجين، والقرابة غير الصلبيّة وغير الرحميّةِ بشكلٍ كامل، والقرابة الناتجة من علاقة التعميد إلى حرمة النكاح فقط، ولا توجد أيّ حقوقٍ أخرى من قبيل حقّ الإرث، أو حقّ الإلزام بالنفقة، أو أيّ شيءٍ من الحقوق العائليّة الأخرى.

المادّة 8 : يتبع حقّ الإلزام بالنفقة المقرّرات التالية:

أ ـ تتعلّق نفقة الزوجة بالمادّة 36 من هذه المقرّرات.

ب ـ الملزم بالإنفاق، في علاقة القرابة، خصوص الأقارب النسبيّين الواقعين في الخطّ العموديّ الصعوديّ والنزوليّ.

ج ـ المعدم هو الذي يستحقّ النفقة وهو [الذي لا يملك نفقة نفسه] ولا يستطيع تأمين وسائل عيشه بواسطة العمل.

د ـ الملزم بالنفقة هو الشخص القادر على الإنفاق، أي القادر على إعطاء النفقة من دون أن يواجه بذلك ضائقة معيشيّة في حياته الشخصيّة، ولا بدّ لأجل تشخيص القدرة هذه، من ملاحظة جميع التزاماته الشخصيّة وأوضاعه المعيشيّة في المجتمع.

هـ ـ إنّ نفقة الأولاد على عهدة الأب، وعند وفاة الأبّ أو عدم قدرته على الإنفاق تنتقل إلى الأجداد من جهة الأبّ مع مراعاة أصالة الأقرب فالأقرب، وفي حال عدم وجود الأب أو الأجداد أو عدم قدرتهم على الإنفاق، تنتقل النفقة لتصبح على عاتق الأمّ، ومع عدم قدرة الأمّ على الإنفاق ينتقل حقّ وجوب النفقة إلى الأجداد والجدّات من جهة الأمّ مع مراعاة الأقرب فالأقرب.

و ـ تجب نفقة الأبوين على الأولاد وأولاد الأولاد مع رعاية الأقرب فالأقرب.

ز ـ تجب النفقة على الجميع بحصص متساوية، فيما لو كان للشخص أقارب في الخط العموديّ الصعوديّ أو النزوليّ، وهم جميعاً متساوون من حيث درجة الإلزام بالنفقة، وعليه فلو كان لمستحقّ النفقة أب وأم وأولاد مباشرون، فعلى الأب والأولاد أن يؤدّوا النفقة من دون أن يكون للأمّ أيّ سهم في ذلك، وكذلك لو كان لمستحقّ النفقة أمّ وأولاد مباشرون، فالأمّ والأولاد يدفعون النفقة بالتساوي.

ح ـ إذا تعدّد الأقارب واجبو النفقة، ولم يكن باستطاعة المنفق أن يقدّم نفقةً للجميع، عندها تكون نفقة الأقارب في الخط العموديّ النزوليّ مقدّمة على نفقة الأقارب في الخط العموديّ الصعوديّ.

ط ـ في حال وجود الزوجة مع أحد أو عدّة أشخاص واجبي النفقة: ففي حال كون الأولاد الواجبي النفقة كباراً، أو في حالة عدم وجود ابن واجب النفقة، عندها تقدّم الزوجة على الآخرين، وأمّا في غير هذه الحالات فتكون الزوجة والأولاد على حدّ سواء في أخذ النفقة.

ي ـ نفقة الأقارب هي تأمين المسكن والملبس والغذاء وأثاث المنزل بحسب الحاجة والضرورة، مع مراعاة الظروف الزمانيّة والمكانيّة وقدرة المنفق على الدفع.

الكتاب الثاني: التبنِّي

المادّة 9: يستطيع أيّ شخصٍ، سليم العقل، رجلاً كان أم امرأة، متزوّجاً كان أم أعزب، ويبلغ من العمر ثلاثين عاماً، أن يتبنّى رعايةَ ولدٍ أصغر منه بخمس عشرة سنة وذلك بعد موافقة محكمة رجال الدين. وقد يكون بين ابن التبنّي وأبيه أو أمّه بالتبنّي علاقة الدم وقد لا يكون. وفي حال كان الابن بالتبنّي صغيراً أو كان كبيراً لكنّه ما زال تحت القيمومة، يتوجب أخذ رضا الأب أو القيّم حسب المورد، وإذا كان الابن بالتبنّي أو من يعتبر بالنسبة إليه ابناً بالتبنّي، متزوّجاً فالواجب أخذ رضا الزوجة أيضاً.

المادّة 10: في حال وجود علاقة قرابة بين الابن بالتبنّي والأب الذي تبنّاه، يمنح الشخص المتبنّي اسم عائلته للشّخص المُتبنَّى، وفي حال كان المتبنّي كلٌّ من الزوج والزوجة معاً يعني ذلك أن المتبنَّى يرث من كلا الطرفين، وتبقى علاقة التوارث بين

الابن بالتبني مع أقربائه بالدمّ على ما هي عليه من دون أيّ تغيير، على الرغم من رابطة التبنّي الجديدة الحاصلة بينه وبين الأب بالتبني أو الأم بالتبنّي حسب المورد.

المادّة 11 : تتحقّق عملية التبنّي من خلال إثبات ذلك في المكتب الخاصّ بالأسقفيّة، بعد إمضاء كلّ من الابن بالتبنّي والشخص الذي تبنّاه، وإذا كان الابن بالتبنّي صغيراً أو محجوراً عليه، يمكن أن يثبّت التبنّي بإمضاء ممثلٍ عنه أو القيّم عليه، حسب المورد، وإن لم يكن عنده قيّم أصلاً يتمّ ذلك بإمضاء ممثّل عن الأسقفيّة، وبعد أن تتمّ الإجراءات المذكورة في إثبات التبنّي يقوم المسئول عن الأسقفيّة بإصادر الهويّة المؤلّفة من نسختين؛ الأولى تتعلّق بالابن بالتبنّي والثانية تتعلّق بالشخص المتبنّي، وعند إبراز هذه الهويّة الشخصيّة الصادرة من الأسقفيّة تُجرى فيها التعديلات اللاّزمة.

الكتاب الثالث: القيمومة [الولاية]

المادّة 12: الأب هو الوليّ القهريّ لأبنائه، وتتولى المحكمة الشرعية تعيين القيّم على الأبناء بعد موت الأب، أو في حال حُرِم من حقّ رعاية أبنائه بحسب المقرّرات المذكورة في المادّة 40، أو في حال كونه مفقوداً.

أ ـ إذا كانت الأمّ موجودةً أو كان الجدّ من جهة الأب موجوداً، يعيّن بالترتيب الأمّ أو الجدّ قيماً، إلّا إذا رفضا ذلك، أو لم يكونا صالحين لتحمل هذه المسؤولية، وذلك بعد تشخيص المحكمة الشرعية، عندها تنتقل القيمومة بالترتيب إلى الجدّ للأمّ أو الجدّة

للأب أو الجدّة للأمّ. وفي حال عدم وجود أحد من المذكورين، أو عدم صلاحيّتهم لذلك؛ ومن ضمن أسباب عدم الصلاحيّة كبر السنّ، وبحسب تشخيص المحكمة الشرعية، تختار المحكمة شخصاً من الأقرباء النسبيّين، مؤهّلاً لصلاحيّة ما يوكل إليه، وتعيّنه قيّماً على الصغير. وفي حال عدم وجود شخصٍ بهذه المواصفات، عندها تقوم المحكمة بتعيين شخصٍ متديّنٍ ملتزم، بحسب تشخيصها هي، ليكون قيّماً على الصغير.

ب - من الضروريّ تعيين القيّم، وينبغي أيضاً تعيين شخصين كناظرين على القيمومة، واختيار النظّار يكون من بين الأقرباء النسبيّين للصغير أو المحجور عليه، وفي غير هذه الحال يتمّ اختيارهما من بين المؤمنين الملتزمين، وأمّا دور النظّار فهو الرقابة على عمل القيّم من دون التدخّل بعمله، وعليهم إخبار المحكمة إذا ما ظهر أيّ خلل أو قصور في عمله.

ج - إنّ سنّ الثمانية عشرة هي السن التي يخرج فيها الطفل من تحت الولاية أو القيمومة، عند الذكور أو الإناث.

المادّة 13 : يتبع تعيين القيّم على الأشخاص كبار السنّ المحجور عليهم طبق قوانين الدولة، وكذلك تعيين الأمين على أموال الغائب المفقود، المقرّرات التالية:

أ - يعيّن القيّم على الأشخاص كبار السنّ المحجور عليهم وفق قوانين الدولة، في حال لم يكن الوليّ القهريّ حيّاً، بواسطة المحكمة الشرعية، مع مراعاة المقرّرات المذكورة في المادّة 12 السابقة.

ب ـ لو اعتبر الغائب، بحسب قانون الدولة، مفقوداً، ولم يكن قد حدّد طريقة لإدارة أمواله، كما ولم يكن هناك شخصٌ بمقتضى القانون له حقّ التصدّي لشؤونه، في هذه الحالة تعيّن المحكمة الشرعية شخصاً مؤمناً من المتصدّين الصالحين لهذه المهمّة، بعنوان كونه أميناً، وعلى هذا الأساس يمكن للمحكمة أن تطلب من الأمين أن يكون ضامناً، أو تطلب منه بعض الضمانات الأخرى، وفي حال قدّم بعض ورثة الغائب الضمانات اللاّزمة، يتعيّن على المحكمة تعيين الوارث المذكور ـ لا أحد غيره ـ أميناً لهذا العنوان، وأمّا مسؤوليّات ووظائف الأمين المعيّن طبق هذه المادّة فهي نفسها تلك المسؤوليّات المقرّرة للقيّم.

المادّة 14 : يجري العمل على تعيين القيّم على الأولاد غير الشرعيّين وفق المقرّرات في المادّة 12، وأمّا الأولاد مجهولو الآباء منذ الولادة فتعيّن محكمة رجال الدين القيّم أو الناظر عليهم، وهي بدورها تختارهم من بين الأشخاص المؤمنين والمعتمد عليهم.

المادّة 15 : يشترط في القيّم أو الناظر أن يكون كبيراً عاقلاً، وأن لا يكون هناك من هو قيّم عليه.

المادّة 16 : إنّ حقوق القيمّ وفق المقررات المذكورة في المواد 12 إلى 19، تطابق حقوق الأب بالنسبة إلى أبنائه، والناظر مكلّف بالنظارة على أعمال القيّم على الصغير أو المحجور وأمواله، وعليه رفع ذلك إلى محكمة رجال الدين عند ملاحظة أيّ تقصير.

المادّة 17 : لو أقدم القيّم في المسائل المتعلّقة بالصغير أو المحجور عليه على أمرٍ خارجٍ عن أموره اليوميّة المعتادة، كأن قام ببيعٍ ماليٍّ وغير ذلك من أموال المحجور عليه، أو في صورة وجود تعارض بين مصالح القيّم ومصالح الصغير أو المحجور عليه، فعلى القيّم أن يُطلع محكمة رجال الدين على ذلك كي تشخّص له التكليف الصحيح.

المادّة 18 : بعد تعيين القيّم والنظّار، عليهم مباشرة بعد التعيين أن يهيّئوا معاً صوراً عن أموال الصغير أو المحجور المنقول منها وغير المنقول، وتسليمها بعد الإمضاء إلى الأسقفيّة. وعلى القيّم أن يحفظ أموال الصغير أو المحجور عليه بأكمل وجه، فيضع مثلاً الأموال النقديّة في المكان الأمين، الذي يحفظ له المنافع من هذا المال، ويبذل المال على حفظ هذه الأموال مع رعاية منتهى الدقّة في الاقتصاد، كما عليه أن يبذل المال على مصالح الصغير أو المحجور عليه مراعياً في ذلك الأصول الوجدانيّة والأخلاقيّة. وعلى القيّم وتحت إشراف النظّار، عندما تنتفي أسباب القيمومة، أن يهيّئ جدولاً بكلّ الأموال الشخصيّة الموجودة تحت إدارته، ويعرض ذلك مع جميع ممتلكاته لتتحوّل جميعها إلى الشخص صاحب العلاقة فيضعها تحت تصرّف الوارث، وتنتفي المسؤوليّة عن القيّم والنظار بعد إنجاز عمليّة التحويل هذه.

المادّة 19 : على القيّم أن يقدّم تقريراً عن كلّ سنة بالمخارج والمداخل الماليّة، وبشكل عام، عليه أن يقدّم تقريراً حول كلّ عمليّة

ماليّة تتعلّق بالصغير أو المحجور عليه، وبعد إمضاء التقرير من قِبل النظار يسلّم للأسقفيّة.

المادّة 20 : على الوارث أن يراقب كلّ شؤون القيمومة، وعليه أن يحدّ من الإجحاف في أموال الصغير أو المحجور عليه ومن المسامحة في مسائله الشخصيّة.

المادّة 21 : لو اعتذر أو تخلّف كلّ من القيّم أو الناظر عن القيام بمسؤوليّته، عندها تقوم محكمة رجال الدين بعد المحاسبة، بعزله أو بعزلهم من جهتها، وتعيين شخص أو أشخاص جدد مؤمنين ملتزمين مكان المعزول. مع ملاحظة: أن لا تمنع المحاسبة المذكورة من الملاحقة القانونيّة للشخص المتخلّف.

الكتاب الرابع: الخطوبة، الزواج، فسخ الزواج، الطلاق

الفصل الأول: الخطوبة

المادّة 22 : الخطوبة هي الوعد بالزواج بين الرجل والمرأة اللذين ينويان الزواج في ما بينهم، ويتمّ تثبيت الخطوبة عبر المراسم الدينية وفي المكتب الخاصّ بالأسقفيّة.

وفي فترة الخطوبة، إذا قام أحد الطرفين بفسخ الخطوبة، سواء كان لسبب وجيهٍ أم غير وجيهٍ من وجهة نظر محكمة رجال الدين، فعليه أن يعيد للطرف الآخر كلّ الهدايا المقدّمة في هذه الفترة، مع التعويض عن الخسارة التي لحقت بالطرف الآخر أيضاً، بشرط أن تتحقّق المطالبة بذلك في مدّة أقصاها سنة واحدة من تاريخ فسخ الخطوبة.

الفصل الثاني: الزواج

الباب الأول: ملزمات الزواج وموانعه

المادّة 23: يُعتبر عقد الزواج قانونيّاً في حال تم بين الرجل والمرأة في الكنيسة، وعلى القسّ التأكّد في مكان إقامة الزوج حتى يطمئنّ على أنّ الزواج لا يتنافى مع المذكور في المادّة 25 إلى المادّة 29، وعليه أيضاً أن يطلع الأسقف أو الممثّل عنه على كافّة الإجراءات.

المادّة 24: يجب أن يُجري عقدَ الزواج رجل من رجال دين، يكون له صلاحيّات إجراء عقود الزواج طبقاً للقواعد والرسوم الكنسيّة الأرمنيّة الغريغوريّة، وينبغي أن يُثبّت في دفاتر الزواج الرسميّة التابعة للدولة، ثم تُعطى وثيقة الزواج للزوجين وفق القوانين الرسميّة للدولة.

المادّة 25: لا يمكن للإناث دون 15 سنة الزواج و لا يمكن للذكور دون 18 سنة التقدّم للزواج.

المادّة 26: ينبغي أن يتحقّق الزواج من دون خديعة أو تهديدٍ أو استعمال عنف، بل ينبغي أن يكون بكامل الإرادة والاختيار المستقلّين، وبكامل المعرفة والوعي العقليّ. أمّا زواج صغار السنّ أو الكبار الذين هم تحت رعاية قيّم، فلا بدّ من أخذ موافقة الأب أو القيّم، حسب المورد، وإذا كان الزواج لصالح الصغير أو المحجور عليه، ولم يوافق القيّم على ذلك، عندها تستطيع محكمة رجال الدين أن تأذن وتعطي

إجازة بالزواج هذا، بدلاً عن القيّم، بعد تقييمها لواقع أنّ هذا الزواج هو لصالح الصغير أو المحجور عليه.

المادّة 27 : يمنع الزواج الثاني ما دام الزواج الأوّل غير منحلّ بالطلاق أو بموت أحد الزوجين، أو لم تُلغِ محكمةُ رجال الدين الزواجَ أو تفسخه طبق المقرّر في المادّة 31 و32 حسب المورد.

المادّة 28 : يمكن الزواج من الأقارب النسبيّين إذا كانوا من الدرجة الخامسة وما فوق (أي أبعد من ذلك). ويمنع زواج الأب التعميديّ أو الأم التعميديّة من الابن التعميديّ، أو الأب بالتبنّي أو الأم بالتبنّي من الابن بالتبنّي. ومن ناحية حرمة الزواج يعتبر الابن غير الشرعيّ قريباً نسبيّاً للأب وأقاربه.

المادّة 29 : يطلب من الذين يريدون الزواج وثيقة طبيّة، لذلك يمنع الزواج بذوي الأمراض المعدية والأمراض العقليّة.

المادّة 30 : يمنع زواج المسيحيّ الغريغوريّ من غير المسيحيّ، رغم أنه يجوز في حال تم مراعاة الأحكام المذكورة في الكنيسة المسيحيّة الغريغويّة، وأجاز ذلك الأسقف أو الممثّل عنه.

الباب الثاني : الزواج الباطل والزواج القابل للفسخ

المادّة 31 : يعتبر الزواج الذي لا يُراعى فيه القسم الأوّل من مقرّرات المادّة 24 أو كلّ من الموادّ 25 و27 و28 أو المادّة 30، باطلاً على الإطلاق، وبناءً على المقرّر في المادة 27 تستطيع الزوجة الأولى المهجورة الطلب من المحكمة الشرعية إلغاء الزواج الثاني، ويمكن لكلّ من الزوجين في الحالات الأخرى المطالبة بإلغاء الزواج من محكمة رجال الدين.

المادّة 32 : الزواج الباطل هو الزواج الحاصل من دون مراعاة المقرّرات المذكورة في المادّة 26 أو المادة 29، وفي حال تمّ الاعتراض في الوقت المحدّد من قبل الأشخاص الذين يملكون حقّ الاعتراض طبق المادّة 33، وبعد التأكد من صحّة مورد الاعتراض، يعتبر هذا الزواج فاسخاً بمقتضى حكم المحكمة الشرعية.

المادّة 33 : يمكن للأشخاص المذكورين أدناه أن يتقدّموا بطلب فسخ الزواج من المحكمة الشرعية:

أ - في مورد القسم الأوّل من المادّة 26. يمكن للطرف المخدوع أو المهدّد أو المُعنَّف، أو الذي لم يكن بكامل المعرفة والوعي العقليّ، والذي وافق على الزواج بدون إرادة كاملة، في مدّة 6 أشهر بعد اطلاعه على الخديعة الحاصلة له، أو ارتفاع التهديد أو العنف، أو ارتفاع المرض العقليّ، ان يتقدم بطلب فسخ الزواج.

ب - في مورد القسم الثاني من المادّة 26. يمكن فسخ الزواج في مدّة 6 أشهر بعد اطلاع الأب أو القيّم على تحقّق الزواج.

ج - في مورد المادّة 29، يمكن إبطال الزواج من الشخص غير المريض، في مدّة 6 أشهر بعد إطلاعه على مرض الطرف الآخر.

وعلى أيّ حال، فإنّ مدّة طلب فسخ الزواج تنتهي بمرور 3 سنوات من تاريخ الزواج، بمعنى أنّه إذا مرّ على الزواج مدّة 3 سنوات من دون أي اعتراض، يصبح قطعياً لا بقبل الفسخ.

المادّة 34 : إنّ الزواج القابل للفسخ طبق المقرّرات في المادة 33 ينبغي أن يُعتبر صحيحاً وقطعيّاً من ابتداء تحقّقه.

المادّة 35 : الزواج غير الصحيح والملغى طبق المقرّرات في المادة 32، أو المنفسخ طبقاً للمادة 33، يعتبر كأنّه لم يكن من ابتداء الوقوع، باستثناء الموارد التالية فإنّ أيّاً منها لا يترتّب عليها التبعات الأخرى للزواج:

أ ـ إذا كانت علل إلغاء الزواج أو فسخه معلومة للزوج في فترة الزواج ولكنّها غير معلومة للزوجة، فإنّ الزوجة تستطيع المطالبة بالنفقة من الزوج كما في مورد الطلاق وذلك بعلّة تقصير الزوج.

ب ـ يعتبر الأولاد المولودون من الزواج الملغى أو المنفسخ أولاداً شرعيّين، ويُتعامل معهم كالأولاد المولودين من الزواج المنتهي بالطلاق.

الباب الثالث ـ الحقوق والتكاليف الناشئة من الزواج

المادّة 36 : يمنح الزوج اسم عائلته وكلّ حقوقه الشخصيّة المتعلّقة بموقعه أو بطبقته [الاجتماعيّة] للزوجة، وتسلب هذه الحقوق عنها بإلغاء الزواج أو انفساخه أو بالطلاق، ويكون على الزوج عهدة إدارة العائلة، كما وعليه اتخاذ القرارات المتعلّقة بجميع الأمور المهمّة للحياة الزوجية مع ملاحظة رأي الزوجة فيها.
وعلى الزوج الإهتمام بأمور نفقة زوجته طوال مدّة الزواج.
أمّا في حال حصول الطلاق أو إلغاء العقد أو انفساخه، فإنّ النفقة تتبع المقرّرات المذكورة في المادة 44 القادمة.
والمقصود بنفقة الزوجة في هذه المادة هي المسكن والملبس والمأكل وأثاث المنزل بما يتناسب مع قدرة الزوج والظروف الزمانيّة والمكانيّة.

المادّة 37 : إدارة شؤون المنزل هي في عهدة الزوج، وللزوجة الحق الكامل ضمن هذه الأمور بالتعهّد بدلاً عنه، وفي حال عدم قدرة الزوج الماليّة، على الزوجة قدر استطاعتها الماليّة أن تشاركه في النفقة على العائلة، والزوجة المتأهّلة والتي تملك الأهليّة الحقوقيّة الكاملة وتحوز أملاكاً شخصيّة، لها الحقّ في إدارة أملاكها الشخصيّة بكامل اختيارها، أو أن تختار عملاً بكامل حريّتها شرط أن لا يخالف شؤون الزوج.

المادّة 38 : الطفل المولود بعدما كانت كلّ مدّة الزواج قانونيّة، أو بعدما انتهى الزواج بالطلاق أو بالفسخ أو بالإلغاء، يعتبر ولداً شرعيّاً بشرط أن:

أ ـ يكون انعقاد النطفة أثناء وجود علاقة الزواج.

ب ـ في حال انعقدت النطفة قبل علاقة الزواج ولكن لم ينكر الزوج نسبة الحمل له.

ومدّة الحمل من الانعقاد حتى الوضع تتراوح بين 181 إلى 306 أيّام. وعلى أيّ حال، فإنّ نفي الولد حقّ شخصيّ للزوج، والزوج هو الشخص الوحيد الذي له الحقّ بمراجعة محكمة رجال الدين لأجل اتخاذ القرار المناسب فيما لو كان هناك تردّد في شرعيّة الولد. ولو ولد الطفل بعد موت الأب فالجدّ للأب هو الوحيد الذي له الحقّ في رفع الدعوى للتحقّق من شرعيّة الطفل.

وعلى الأب مسؤوليّة جميع المصاريف الماليّة لوضع الحمل والمعيشة وتربية الطفل إلى أن يصل إلى سنّ الكبر المذكور

في الفقرة ج من المادّة 12 وما بعدها، وكذلك لو كان الطفل غير قادر على إعالة نفسه لمرضٍ في جسمه أو في عقله.

المادّة 39 : يعتبر الأطفال المولودون خارج العلاقة الزوجيّة غير شرعيّين، ويحملون اسم عائلة أمهاتهم عند تعميدهم، ويُعتبر الشخص أباً عندما تنعقد نطفته أثناء المجامعة مع الأم.

والطفل غير الشرعيّ يصبح شرعيّاً بالزواج المتأخّر بين أبيه وأمّه.

المادّة 40 : الأب هو الوليّ القهريّ لأبنائه، ومن حقّه وتكليفه المحافظة على شخص وأموال أولاده الصغار، مثل (الرعاية، تأمين المعاش، التربية، دفع تكاليف الدراسة، تعيين المسكن وغير ذلك)، ويعمل على أساس أنّه الممثّل القانونيّ لأولاده. وفي حال عدم قدرة الأب على القيام بالأعمال المذكورة أو كان متساهلاً بها، أو أنّه كان مستغلاً لحقوقه، ووضع المصالح المعنويّة والجسميّة أو أموال أولاده في معرض الخطر، عندها تستطيع محكمة رجال الدين منع الأب من ممارسة حقوق ولايته، وذلك لأجل حفظ منافع الطفل، وتقوم بتنصيب قيّم على الطفل وفق المقرّرات المذكورة في المادّة 12.

وأمّا الأم فلها الحقّ ولها دور في المحافظة على الأولاد المشتركين، وعليها مساعدة الأب، وهي تقوم مقامه في حال غيبته أو مرضه أو أيّ شيء من هذا القبيل.

المادّة 41 : لا تعتبر جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة للزوجين، حتى الأموال التي حصلا عليها على مدار مدّة الزواج، والحياة

المشتركة بينهم، أموالاً مشتركة، ويملك كلّ واحدٍ من الزوجين أملاكه الخاصّة به، ومنافعه الخاصّة أيضاً، ويستطيع أن يحصل على أموال جديدة عن طريق الإرث أو أيّ طريق آخر، ولكلّ واحد من الزوجين الحقّ في إدارة أمواله الخاصّة والتصرّف بها بكامل اختياره.

الباب الرابع ـ الطلاق

المادّة 42 : يمكن لأيّ واحدٍ من الزوجين التقدّم بطلب الطلاق للأسقفيّة، أو يتقدّمان معاً بطلبه في حال توافقهما. والحلّ لهذا النحو من الدعاوى هو في عهدة المحكمة التي تقوم بعد التحقّق من الأمر ومطالعة المكتوبات والتوضيحات من الطرفين، ومراجعة الشهود المذكورة في الملف، وبعد تعثّر كلّ محاولات الإصلاح بين الطرفين، بإنشاء الحكم بالطلاق، وفي حكم الطلاق لا بدّ من التصريح بكلّ شروط الطلاق الأعم، من تعيين مسؤوليّة حضانة الأطفال المشتركة، ونفقة الزوجة والأولاد، وسائر الالتزامات الماليّة الناشئة من العلاقة الزوجيّة في ما بينهم، والأولاد المشتركين، وإذا اقتضى الأمر يصرّح أيضاً بكيفيّة إجراء التعهّدات المذكورة. ويصبح حكم الطلاق الصادر من محكمة رجال الدين رسميّاً وقابلاً للتنفيذ بعد تحقّق وموافقة الأسقف أو ممثّله.

أـ موجبات الطلاق

المادّة 43 : موجبات الطلاق عبارة عن:

أ ـ خيانة أحد الزوجين بالممارسة الجنسيّة.

ب ـ المرض العقليّ غير القابل للعلاج، أو النقص الجسميّ الكبير الحاصلان بعد عقد الزواج، أو أنّه كان موجوداً في فترة الزواج ولكن استطاع الناقص إخفاءه عن الشريك.

ج ـ الأمراض المعدية التي لا علاج لها.

د ـ خروج أحد الزوجين عن الدين، أو دخوله في إحدى الفرق المبتدعة.

هـ ـ في حال كان أحد الزوجين مفقوداً، ولمدة أكثر من 4 سنوات.

و ـ في حال الحكم على أحد الزوجين بالمؤبّد، أو بالنفي لمدّة أكثر من 4 سنوات، وتمّ تنفيذ الحكم المذكور.

ز ـ الاختلاف الأخلاقيّ الكبير، والخصومة الكبيرة بأن يكون مدمناً على الخمور، أو مدمناً على المخدّرات، أو عدوانيّ السلوك.

ح ـ عدم القدرة الجنسيّة لأحد الزوجين.

ط ـ المجامعة غير الاعتياديّة من أحد الزوجين.

ي ـ في حال الامتناع الكامل لأحد الزوجين ـ شرط التواجد ـ عن المجامعة في مدّة تزيد عن السنتين.

ب ـ آثار الطلاق

المادّة 44: إذا كان الطلاق وفق تشخيص محكمة رجال الدين بسبب تقصير الزوج، فإنّ الزوج مكلّف بتأمين معيشة الزوجة بقدر إمكانياته الماليّة ووضعه الاجتماعي إلى أن تتزوّج الزوجة برجل آخر أو أن تدركها الوفاة، أو أن يدفع لها وفق حكم

محكمة رجال الدين مبلغاً ثابتاً دفعةً واحدةً، وفي هذه الحالة، تأخذ معها جميع هداياها وجهازها الخاصّ بها وأملاكها الشخصيّة من بيت زوجها.

المادّة 45 : إذا كان الطلاق وفق تشخيص المحكمة الشرعية بسبب تقصير الزوجة، فلها الحقّ في أخذ جهازها وأملاكها الشخصيّة فقط من بيت الزوج. وكذلك في حال التقصير من الطرفين معاً أو لم يعرف المقصّر منهما.

يستطيع الزوج أن يمنع الزوجة، فيما لو كانت هي المقصّرة، من استعمال اسم عائلته، ويتعيّن عليها الاستفادة من اسم عائلة أبيها.

المادّة 46 : إذا كان سبب الطلاق أحد الموارد المذكورة في الفقرات (ب) و(ج) و(ز) من المادّة 43 فيجري العمل على النحو التالي:

أ ـ إذا كان الطلاق بسبب المرض أو عدم قدرة الزوجة الحاصل بعد الزواج ومن دون تقصيرها، أو كان قبل الزواج واستطاعت الزوجة أن تخفيه فترة الزواج عن زوجها، في هذه الحالة تملك الزوجة الحقوق المذكورة في المادّة 44.

ب ـ في حال كون الزوجة مريضة أو غير قادرة وتحقّق ذلك بعد الزواج بتقصير منها، أو أخفت ذلك عن الزوج عند الزواج، عندها يعمل طبق القسم الأول من المادّة 45.

المادّة 47 : إن حقوق وتكليف الزوجين بعد الطلاق أو فسخه أو إلغائه تجاه أولادهم المشتركين على النحو التالي:

أ ـ تستمرّ ولاية الأب على أولاده الصغار بعد الطلاق أو الفسخ أو إلغاء الزواج، كما وتبقى له حقوقه وأدواره المذكورة في المادّة 40 بالنسبة إلى أولاده الصغار، وهو مكلّف بالإنفاق عليهم وفق المادّة 8 المتقدّمة.

ب ـ لو أعتبرت الزوجة غير مقصّرة في الطلاق أو في فسخه أو إلغاء الزواج، يبقى الأولاد الصغار الذكور منهم أو الإناث في حضانة الأم، وأمّا نفقتهم فعلى عهدة الأب، وتنتقل حضانة الصغار إلى الأب عند وفاة الأم، ويسلب منها حقّ الحضانة فيما لو تزوّجت زواجاً جديداً وطالب بذلك الزوج، وأيّدت ذلك محكمة رجال الدين، فتُعطى الحضانة للأب فيما لو كان يملك الصلاحيّة للحضانة، أمّا لو ماتت الأم ولم يكن الأب صالحاً لحضانة الصغار، فتقوم محكمة رجال الدين طبق المقرّرات المذكورة في الكتاب الثالث بتعيين قيّم على الصغار، وعلى المحكمة الأخذ بعين الاعتبار رغبات الأطفال ـ لو بلغ الأطفال بحسب رأي المحكمة سنّ التشخيص ـ عند أخذ القرار في هذا المورد.

تُمنع الأم من رعاية الأولاد فيما لو كانت مختلّة العقل، أو لم تكن مؤهّلة أخلاقيّاً ـ بحسب تشخيص المحكمة الشرعية ـ لحضانة الأطفال، ويسلب منها حقّ الحضانة لصالح الأب.

المادّة 48 : للأب أو الأم الذي لا يملك حقّ الحضانة، حقّ الزيارة ولقاء الأولاد، وتحدّد محكمة رجال الدين الجزئيّات المتعلّقة بهذا الأمر ضمن الحكم الصادر بالطلاق.

الكتاب الخامس : الوصيّة

المادّة 49 : الوصيّة هي عبارة عن إظهارٍ لإرادة الموصي المتعلّقة بما بقي من أمواله عند موته، ويمكن له أن يعيّن أيّ شخص وصيّاً عند تحريره للوصيّة، أو أن يقوم هو بنفسه بتحديد ما يفعل بجميع أمواله عند الموت، ويستثنى من هذا الحقّ الموارد المذكورة في المادّة 52 الآتية.

المادّة 50 : تكون الوصيّة نافذة في الموارد التالية فقط:

أ ـ إذا كان الموصي بالغاً، ولا قيّم عليه، وقد قام بتحرير وصيّته وهو في كمال صحّتة العقليّة، والقدرة على التمييز، وسلامة الذاكرة، وبعيداً عن التهديد أو استعمال العنف في حقّه أو خداعه.

ب ـ أن تكتب الوصيّة بألفاظ صريحة وواضحة، وبذكر أسماء الأشخاص أو المؤسّسات الموصى لها، وتعيين حصصهم بالتفصيل.

ج ـ تكتب الوصيّة طبق المقرّرات المذكورة في المادتين 54 و 61 ـ حسب المورد ـ في الأسقفيّة، أو في الدوائر الرسميّة المخصّصة، شرط أن لا تخالف أحكام الكنيسة الأرمنيّة الغريغوريّة تغيّراً كبيراً.

د ـ لا يكون القسم المتعلّق بالأشخاص الموصى لهم نافذاً إلّا بعد قبولهم للوصيّة.

هـ ـ فيما لو كان الموصى له موجوداً، أو لو أسقط الجنين بطريقة إجراميّة ومات الحمل، فليس للوارث أو لمن يكون إسقاط الحمل من مصلحته أن يأخذ أيّ سهمٍ من حصّة السقط.

ملاحظة: إنّ عدم قبول الموصى به من قبل أحد أو عدّة أشخاص من الموصى لهم لا يؤثّر على الوصيّة في ما يتعلّق بباقي الوصيّة المتعلّقة بالأشخاص الراضين بها، ويتبع القسم المردود من الوصيّة لتقسيمات أحكام الإرث.

المادّة 51 : يستطيع الموصي الرجوع عن وصيّته أو تغييرها في أيّ وقت، أو إكمالها بوصيّة جديدةٍ لاحقة، وتُعتمد الوصيّة اللاحقة ويُعمل بها في موارد الاختلاف مع الوصيّة السابقة الأولى.

المادّة 52 : يُحدّد حقّ الموصي في تعيين مصير جميع أمواله حين الموت بالموارد التالية:

أ ـ في حال وجود طفلٍ صغير ـ عند وفاة الموصّي ـ أو محجور عليه من بين ورثته القانونيين، فلا يستطيع الموصي أن يحرم من الوصيّة الصغير أو المحجور عليه من الإرث، أو وأن يعطيه حصّةً أقلّ ممّا يحقّ له أخذه عن طريق الإرث.

ب ـ عندما يكون للموصي أبوان أو أولاد، لا يستطيع أن يوصي بأموال الأجداد غير المنقولة التي حصل عليها بالإرث.

المادّة 53 : إذا لم يكتب المُتوفّى وصيّة، أو كتب وصيّته وكانت غير معتبرة، فإنّ تركته تقسّم طبق المقرّرات المذكورة في الكتاب السادس. وفي حال كان هناك وصيّة متعلّقة بقسم من التركة فإنّها تكون نافذة بخصوص هذا القسم، ويتبع الباقي من التركة أحكام الإرث. وأمّا القسم المُستَثنى من الوصيّة فيتعلّق بالوارث الصغير أو المحجور عليه المذكور ضمن الفقرة (ألف) من المادّة 52.

المادّة 54 : الوصايا المثبتة في الأسقفيّة يجب أن تكتب بآلة كاتبة على أوراقٍ ويصرّح على كل ورقة بتاريخ تحرير الوصيّة، أو أن تكتب بخطّ الموصي وإمضائه، وفي حال كون الموصي أميّاً تُكتب الوصيّة وفق طلبات الموصّي بواسطة شخص ثالث ليس له أيّة مصلحة من الوصيّة، ويصدّق الموصي على الوصيّة ببصمة إصبعه أو بإمضائه إن كان قادراً عليه، أو بختمه، وتدرج المطالب الإضافيّة والتغييرات الجديدة في ذيل الوصيّة، ثمّ يختمها أو يمضيها أو يبصمها الموصي ـ حسب المورد ـ طبق المقرّرات المذكورة في القسم الأوّل من هذه الفقرة، وتؤكّد صحّة الوصيّة بإمضاء شاهدين ـ حسب المورد ـ مقبلين من هيئة رئاسة الهيئة المذهبيّة (محكمة رجال الدين) أو من القسّ، وتؤيّد في حال عدم وجود القسّ بثلاثة شهود ثمّ يمضيها الأسقف أو ممثّله وتُختم من قبل الأسقفيّة. وينبغي في الشهود توفّر العقل والبلوغ، والتصريح بشهاداتهم بأنّ الموصي قد كتب وصيّته وهو بكامل إرادته وعقله، ويجب أن تُكتب الوصيّة في نسختين أصليتين، تُمضيان وتُصدّقان، وتُعطى واحدة للموصي، وتُحفظ الثانية في مكتب الأسقفيّة.

المادّة 55 : يستطيع الموصّي بعد كتابة وصيّته أن يطويها ويحفظها عند مرجعٍ دينيّ أو مؤسّسة عموميّة أخرى بعنوان الوديعة، وأن يكتب برنامجاً لممثله كي يقوم بتنفيذ وصيّته عند وفاته، أو ليقدّمها لشخص معيّن أو لأحد من الورثة.

المادّة 56 : الشرط الوحيد للشهادة المذكورة في المادّة 54 هو البلوغ والعقل. ولا تُقبل شهادة الأشخاص التالين في الوصيّة:

أ - المُوصَى لهم.

ب - الوصيّ المعيّن بالوصيّة.

المادّة 57 : يستطيع الموصي في وصيّته أن يعيّن شخصاً أو أشخاصاً «حقيقيين أو حقوقيين» بعنوان كونهم أوصياء، وأن يجعل تنفيذ الوصيّة على عاتق الشخص أو الأشخاص المعنيين، وفي حال تعدّد المعنيين بعنوان كونهم أوصياء في الوصيّة ينبغي التصريح بأنّ الأشخاص المذكورين يجب عليهم العمل منفردين أو مجتمعين. ويحقّ للوصيّ بعد وفاة الموصي أن يردّ الوصيّة أو يعلن عدوله عن مجريات تنفيذ الوصيّة. وفي حالة إبهام الوصيّة في خصوص تعيين الوصيّ، وكذلك في حالة إعلان انصراف الوصيّ المعيّن أو أي واحدٍ منهم عن القيام بدوره، تقوم محكمة رجال الدين بتنصيب شخصٍ أو أشخاص معتمدين آخرين مكان الوصيّ المُعفى.

المادّة 58 : في حال لم يقم كلّ واحد من الأوصياء بدوره بشكل صحيح، تقوم محكمة رجال الدين - بعد الاطّلاع وحسب طلب المستفيد - بعزله من قبلها، وتنصيب شخصٍ معتمدٍ آخر مكانه.

المادّة 59 : في حال ردّ الوصيّة من قبل أيّ واحدٍ من الأوصياء، بعد ردّ الموصّي بسبب الحجر أو الوفاة، تنتقل مسؤوليّاته إلى عهدة الأسقف أو ممثّله.

المادّة 60 : تُحفظ جميع الوصايا والمستندات المتعلّقة بها في مكاتب الأسقفيّة، في تبريز، وطهران، وأصفهان، حسب المورد.

المادّة 61 : في حال لم يكن بالإمكان كتابة الوصيّة طبق المقرّرات المذكورة في المادّة 54، كحالة وجود خطر الموت الفجائي، أو في أيّام الحرب، أو فيما لو غرقت السفينة، وأمثال ذلك، عندها يمكن أن تتمّ الوصيّة شفهيّاً وبحضور شاهدين. وتسقط عن الاعتبار الوصيّة التي تمّ إجراؤها بهذا النحو، وتمت نجاة الموصي من الخطر، ولم يقم بكتابة الوصيّة طبق المقرّرات المذكورة في المادة 54 في مدّة شهرين من ارتفاع الخطر. وفي حال عدم نجاة الموصي يقوم الشهود المذكورين بكتابة وصيّة الموصّي مع إقرار كتابي منهم داخل الأسقفيّة، مع توقيعهما على ذلك. ويُعتبر هذا الإقرار المكتوب بهذا النحو والمؤيّد من قبل الأسقفيّة بمنزلة الوصيّة طبق المادّة 54.

الكتاب السادس: الإرث:

المادّة 62 : يُعتبر الأشخاص المذكورون أدناه ورثة المُتوفّى والغائب والمفقود:

أ ـ الأقارب النسبيّون من الذكور والإناث.

ب ـ الزوجة من الزوج، والزوج من الزوجة، شرط أن يكون زواجهما طبق المقرّرات المذكورة في الباب الأول، الفصل الثاني من الكتاب الرابع. وأن لا يكون قد بَطُل العقد أو فُسخ أو انتهى بالطلاق.

ج ـ الحمل الذي انعقدت نطفته ولو لم يولد بعد، شرط أن يولد حيّاً أو لم يتمّ إسقاطه بطريقةٍ إجراميّة.

د ـ يرث الولد غير الشرعي من أمّه وأقاربها النسبيين فقط، ولا يرث من أبيه ولا من أقاربه لجهة الأب، كما أنه ليس لهم حقّ وراثته.

هـ ـ التبنّي يُنشئ علاقة بين الابن والأب والأم بالتبنّي، كعلاقة البنوّة الطبيعية، وبالتالي يتوارث الأبناء بالتبنّي والآباء.

المادّة 63 : تُقسّم التركة بين ورثة المُتوفّى الذكور والإناث في جميع الطبقات بالسويّة.

المادّة 64 : يوجد تراتبيّة في طبقات الإرث؛ فالوارث من الطبقة اللاّحقة يرث فيما لم يكن هناك أيّ شخص من الطبقة السابقة، أو أنّه كان محروماً أو ممنوعاً بالكامل من الإرث، أو أنّه امتنع عن أخذ الإرث.

تترتّب طبقات الإرث على النحو التالي:

أ ـ ورثة الطبقة الأولى أقارب المُتوفّى الواقعون في الخط المستقيم النزوليّ (الأولاد، أولاد الأولاد وإن نزلوا).

يتبع تقسيم الإرث بين ورثة الطبقة الأولى المقرّرات التالية:

1 ـ يُراعى في تقسيم الإرث النسل؛ بمعنى وصول حصّة أولاد المُتوفّى إلى أولاده، وإذا تُوفّي واحد أو عدد منهم فإنّ الحصّة تنتقل إلى أولاده، وفي حال كان أحد الأولاد ممنوعاً من الإرث أو كان قد ردّ الإرث.

2 ـ تُضاف حصّة أولاد المتوفي أو المحروم من الإرث أو الممتنع عن قبول الإرث إذا لم يكن عنده أولاد، إلى حصّة الأخوات والأخوة.

3 ـ يُعتبر الابن بالتبنّي من ناحية حقّ الإرث في حكم الأولاد.

4 ـ يرث الابن غير الشرعيّ من أمّه أو أقاربها النسبيّين تماماً كما يرث الابن الشرعي منها أو منهم.

5 ـ يُعتبر والدا المُتوفّى من ورثة الطبقة الثانية، لكن في حالة الحاجة والطلب، يُعطى نسبة 15 بالمائة من التركة لأبوي المُتوفّى، أو أيّ واحد من الأبوين الحيّين، وما يبقى يقسّم على ورثة الطبقة الأولى.

ب ـ ورثة الطبقة الثانية عبارة عن (الأب، الأم، الأخوة، وأخوات المُتوفّى، وأولاد الأخوات والأخوة وإن نزلوا)، ويتبع تقسيم الإرث بين ورثة الطبقة الثانية المقرّرات التالية:

1 ـ إذا كان كلّ من أب وأمّ المُتوفّى حيّين، تقسّم التركة كلّها بينهما بالسويّة.

2 ـ إذا مات أحد أبوي المُتوفّى، تنتقل حصّته إلى أولاده وذريّته، وإذا لم يكن عنده ذرية وأولاد فتنتقل حصّته إلى الوالد الآخر الذي ما زال حيّاً.

3 ـ في حال لم يكن أحد الأبوين حيّاً، تنتقل حصتهما إلى أولاد وذريّة كلّ واحد منهما في الخط النزولي، بمعنى أنّها تنتقل إلى أخوة وأخوات الميّت وأولادهم.

4 ـ يرث الأخوة والأخوات من جهة الأب والأم للمُتوفّى من حصّة الأب ومن حصّة الأمّ أيضاً، وأمّا الأخوة والأخوات لأحد الأبوين فيرثون من حصّة أحد الأبوين فقط الذي ينتسبون من خلاله مع الميّت بقرابة الدم.

5 ـ إذا مات أيّ واحد من أخوة أو أخوات المُتوفّى فتنتقل حصّته إلى أولاده، وإذا لم يكن عنده أولاد تقسّم حصّته بين بقيّة الأخوة والأخوات.

ج ـ الورثة من الطبقة الثالثة عبارة عن: والدي الأب والأم، والأعمام والعمّات، والأخوال والخالات، وأولادهم جميعاً وإن نزلوا، ويقسّم الإرث بين الطبقة الثالثة على النحو التالي:

1 ـ في حال كان والدا المُتوفّى على قيد الحياة، تقسّم التركة كلّها بينهما بالسوية.

2 ـ لو مات أحد أبوي المُتوفّى للأب، تنتقل حصّته إلى أولاده وذريّته، وإن لم يكن عنده أولاد وذريّة، فترجع التركة إلى الزوج الذي ما زال على قيد الحياة، وكذلك الحال فيما لو مات أحد والدي المُتوفّى للأم.

3 ـ في حال كان أحد أبوي الأب وأولاده وذريتهم أحياء، تنتقل جميع التركة لأبوي الأم، وبالعكس.

4 ـ في حال كان أحد أبوي الأب أو الأم أحياء تنتقل حصّتهم إلى أولاده وذريّته، وتقسّم التركة طبق الأصول المقرّرة للوارث في الطبقة الأولى والثانية.

د ـ الطبقات الرابعة والخامسة عبارة عن أجداد أجداد الأبوين للمُتوفّى وإن علوا، وأولادهم وذريّتهم الواقعين في الخط النزولي الذي لم يحسبوا من عداد الطبقات الأولى والثانية والثالثة.

لا تقسّم التركة في الطبقة الرابعة وما بعد بحسب النسل، ولكن تنتقل كلّها إلى الشخص الذي عنده أقرب درجة قرابة مع المُتوفّى، وإذا كان هناك عدد من الأقارب بدرجة متساوية من القرابة مع المُتوفّى ويعتبرون الأقرب إليه من سائر الأقارب في هذه الحالة تقسّم التركة بينهم جميعاً بالسويّة.

المادّة 65 : يرث زوج المُتوفّى، فيما لو كان الشريك عند موته على قيد الحياة وعلى علاقة الزواج الشرعي مع المُتوفّى على النحو التالي:

أ ـ في حال موت الزوج ترث الزوجة على النحو التالي:

1 ـ إذا كان للزوج أولاد، سواء كان الأولاد المذكورون من الزواج السابق، أم من الزواج الفعلي، عندها ترث الزوجة حصّة مساوية لأولاد المتوفّى.

2 ـ إذا لم يكن للزوج أولاد من الزواج، لا من الزواج السابق ولا الزواج الفعليّ، ولكن كان عنده أقارب نسبيّون من الطبقة الثانية، في هذه الحال ترث الزوجة من كلّ تركة المُتوفّى نسبة الثلثين، ويقسّم الباقي وفق المقرّرات المذكورة في الفقرة (ب) من المادّة 64 بين ورثة الطبقة الثانية للمُتوفّى.

3 ـ لو كان للزوج أقارب فقط من الطبقة الثالثة وما بعد، أو لو لم يكن عنده أقارب أبداً، عندها ترث الزوجة كلّ التركة.

ب ـ في حال موت الزوجة يرث الزوج على النحو التالي:

1 ـ في حال كان للزوجة أولاد (سواء كانوا من الزواج السابق أم الفعليّ) فيرث الزوج بالتساوي مع أولاد المُتوفَّى ما عدا الأموال غير المنقولة التي وصلت للزوجة بالإرث فإنّ الزوج لا يرث منها.

2 ـ في حال لم يكن للزوجة أولاد أعم من الزواج السابق أو الفعليّ، لكن كان عندها أقارب نسبيّون من الطبقة الثانية، في هذه الحالة يرث الزوج من كلّ التركة نسبة الثلثين، ويقسّم الباقي على ورثة الطبقة الثانية للمُتوفّى وفق المقرّرات المذكورة في الفقرة (ب) من المادّة 64.

3 ـ في حال كان للزوجة أقارب من الطبقة الثالثة فقط وما بعد، أو لو لم يكن عندها أقارب أبداً، عندها يرث الزوج كلّ التركة.

المادّة 66: في حال لم يوصِ المُتوفّى بأمواله وتركته ولم يكن عنده ورثة قانونيّين، في هذه الحالة ترجع التركة إلى الأسقفية، التي تقوم بدورها بصرف هذه الأموال في الأعمال الخيريّة والمنافع العامة.

المادّة 67: يمكن للوارث الواحد أن يرث من شخصٍ واحدٍ بعناوين وبحصص مختلفة، (كما لو كانت الزوجة المتوفّاة ذات قرابة نسبيّة أيضاً مع الزوج).

المادّة 68 : ينبغي دفع جميع مصاريف الكفن والدفن وديون ووصايا المُتوفّى قبل تقسيم التركة.

المادّة 69 : يتحمّل الورثة من المبلغ الذي ورثوه مسؤوليّة القروض والالتزامات المتعلّقة بالمُتوفّى.

ويستطيع الورثة رفع المسؤوليّة المذكورة أعلاه عن عاتقهم فيما لو ردّوا التركة، ويجب أن يكون ردّ التركة رسميّاً عبر الوارث في مدّة شهرين من تاريخ اطلاعه على وراثته، وذلك عبر إعلام في المحكمة الشرعية.

ولو كان هناك قيّم على الوارث، فعليه إخبار المحكمة الشرعية مباشرة بعد الإطلاع على وراثة المولّى عليه، واستشارة المحكمة المذكورة في قبول أو ردّ التركة.

المادّة 71 : لو كان بين الورثة غائب مفقود فتوضع حصّته جانباً إلى أن يعلم حاله، وفي حال التأكّد من موته فيتعامل مع حصّته من التركة على ذلك النحو، كما إذا كان موته في فترة موت المورّث قطعيّاً، وفي غير هذه الحالة تتعلّق حصّته من الإرث به أو بورثته حسب المورد.

المادّة 72 : لو كان هناك شخص أو أشخاص من أقارب المُتوفّى ميّتين، ولم يكن معلوماً تاريخ موتهم، أو كان معلوماً تاريخ وفاة واحدٍ منهم فقط، فالحكم ـ حسب المورد ـ يتبع المقرّرات التالية:

أ ـ لو كانت وفاة الأشخاص الذين يتوارثون من بعضهم البعض

غير معلومة، ولا يُعلم تقدّم أو تأخر أيّ واحدٍ منهم، عندها لا يرث الأشخاص المذكورون من بعضهم البعض، إلا في حال كانت الوفاة بسبب الغرق أو القتل.

ب ـ لو مات الأشخاص الذين يتوارثون من بعضهم البعض، وقد علم تاريخ وفاة أحدهم ولم يُعلم من حيث التقدّم أو التأخر تاريخ وفاة الآخرين أو أحد الآخرين، عندها يرث مجهول تاريخ الوفاة من معلوم تاريخ الوفاة فقط.

المادّة 73 : يُحرم الأشخاص المذكورون أدناه من الإرث:

أ ـ الوارث الذي اشترك في القتل العمديّ لمورّثه، سواء قد باشر القتل بنفسه أم كان سبباً فيه، وسواء كان منفرداً أم مشاركاً لآخرين، مع ملاحظة هذا القيد، وهو في حال ثبت بحكم القانون أنّ القتل العمديّ للمورّث كان للدفاع فعندها لا يحرم الوارث [القاتل] المذكور من الإرث.

ب ـ الأشخاص المرتدّون عن الدين، أو المشتركون بجمعيّات منحرفة عن الدين.

ج ـ لا يحرم من الإرث أولاد وعائلة الأشخاص الممنوعين من الإرث بموجب هذه المّادة، وعليه يرث أولاد من قتل أبيه من جد القتيل.

الكتاب السابع: محكمة رجال الدين

المادّة 74 : في داخل كلّ أسقفيّة يوجد 5 إلى 7 أشخاص هم عبارة عن أعضاء لمحكمة يُطلق عليها اسم محكمة رجال الدين، أو

الهيئة المذهبيّة، وينبغي أن يوجد بين أعضاء المحكمة قسّ واحد على الأقل.

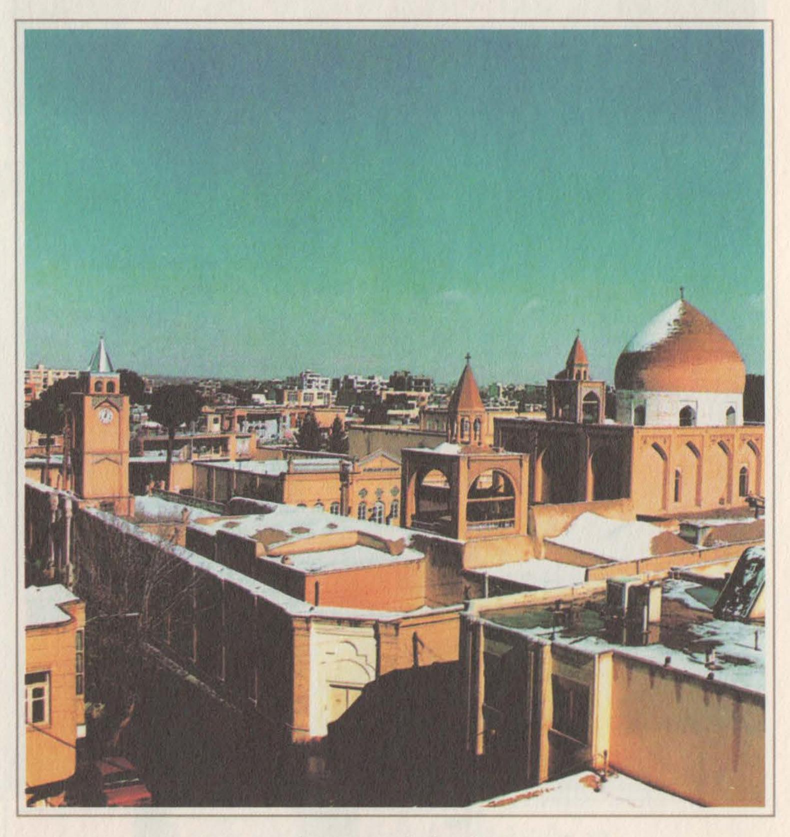
المادّة 75 : تُتخذ قرارات محكمة رجال الدين بأكثريّة آراء الأعضاء، وتُعتبر مُلزمة وقابلة للتنفيذ بعد تأييد الأسقف أو ممثّله في حالة غيابه.

المادّة 76 : ينحصر حقّ صلاحيّة توضيح وبيان هذه المقرّرات بالأسقفيّة.

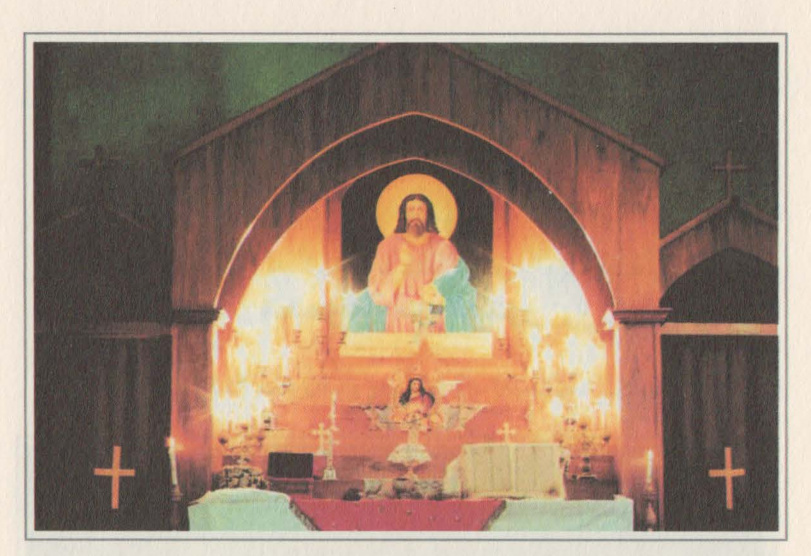
دوّنت هذه المقرّرات في 76 مادّة بتاريخ 28 اسفند في العام 1960. وقد وافق عليها الجاثليق الآرامي الأول، جاثليق دائرة الجاثليقيّة السيليسيّه، وتُعتبر نافذة من تاريخ الموافقة عليها.

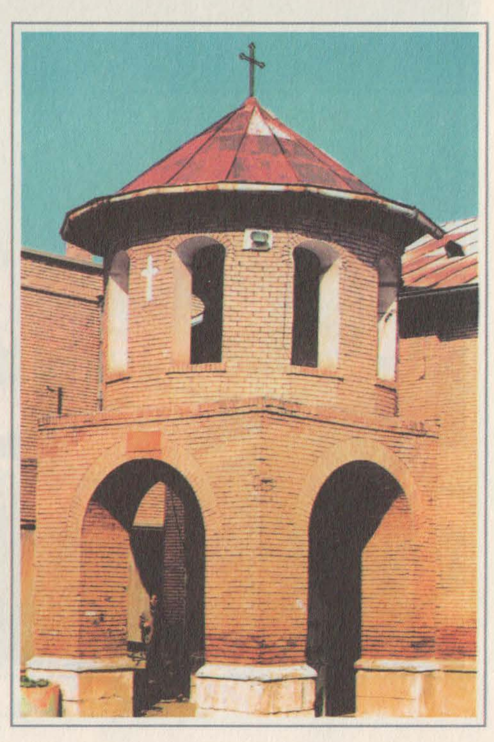
ملحق رقم (2)

مجموعة من الصور

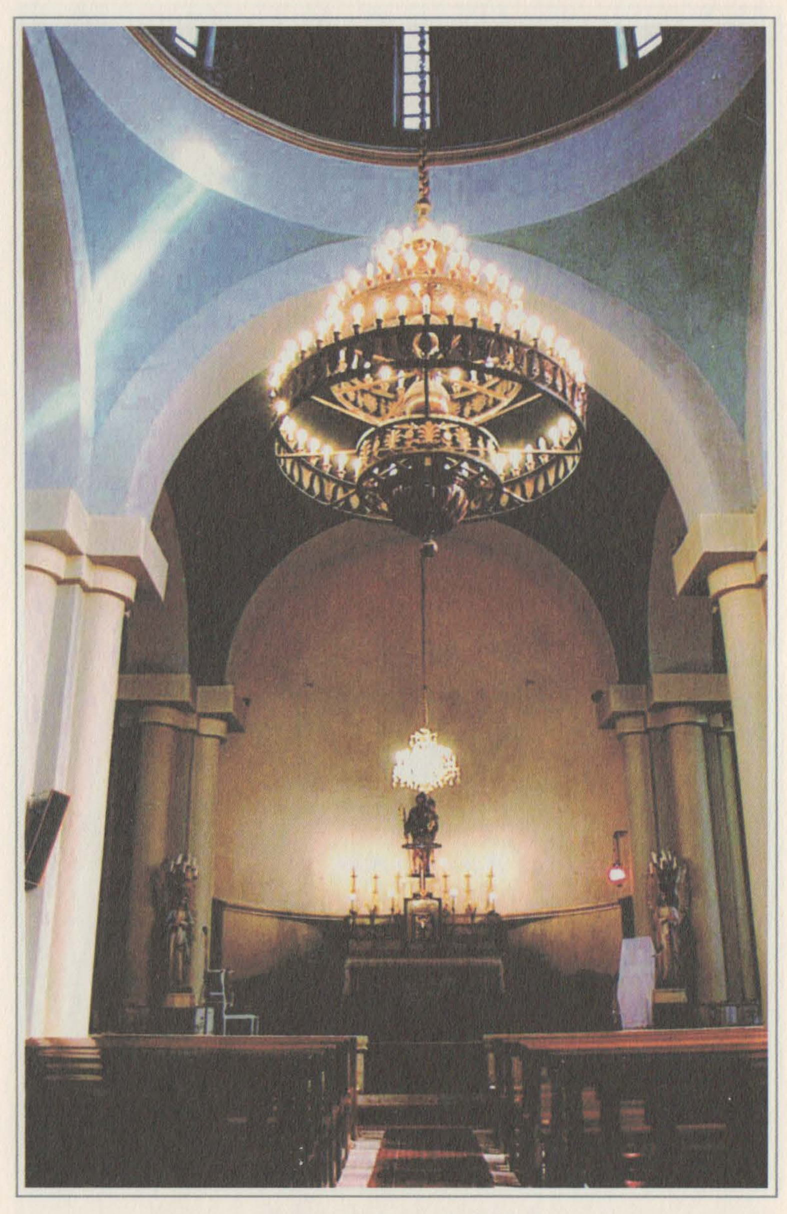


منظر عام لمدينة اصفهان

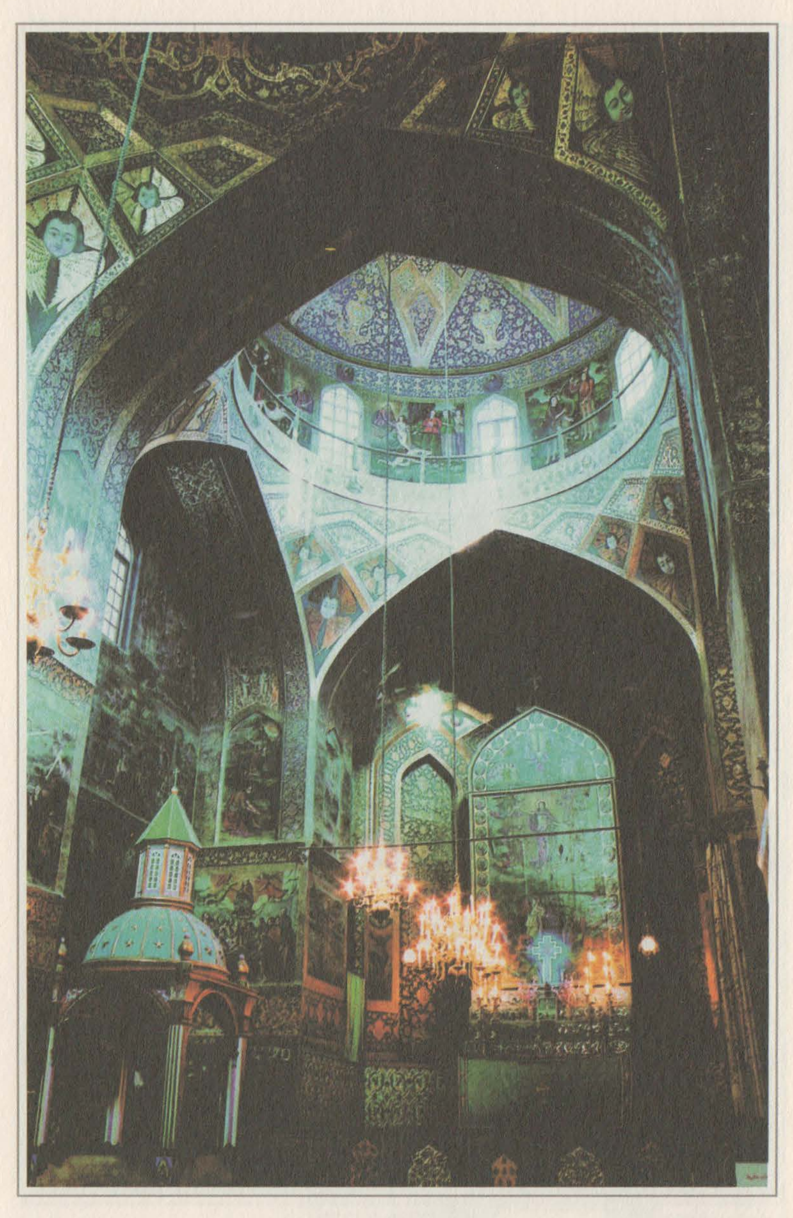




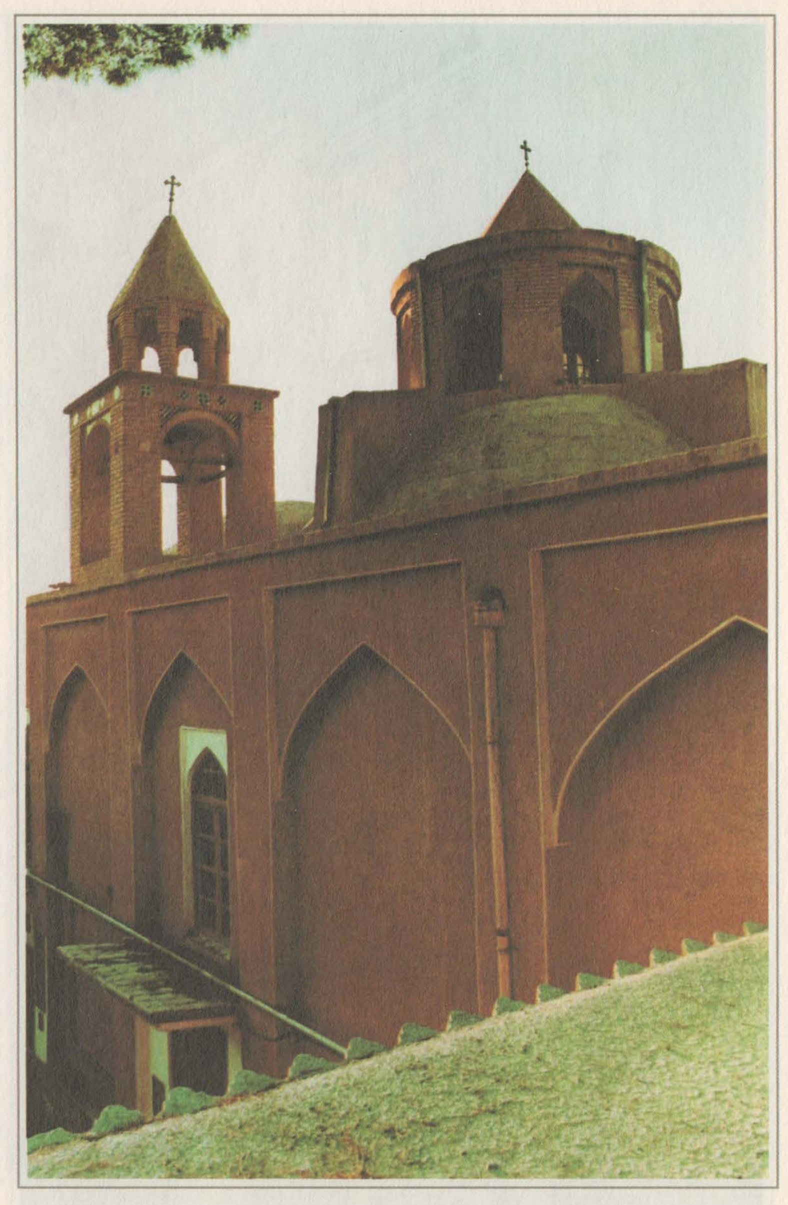
كنيسة سانت استيفان،
اورومية



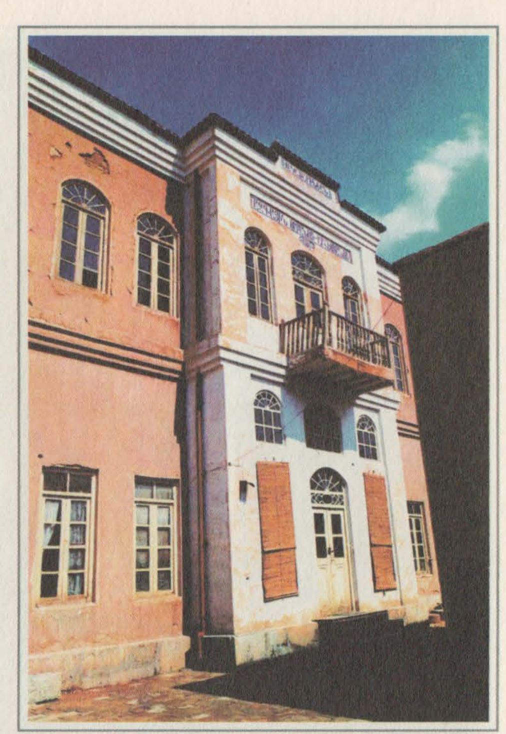
دير سانت استيفان، منظر داخلي، منطقة جلفا، مرند



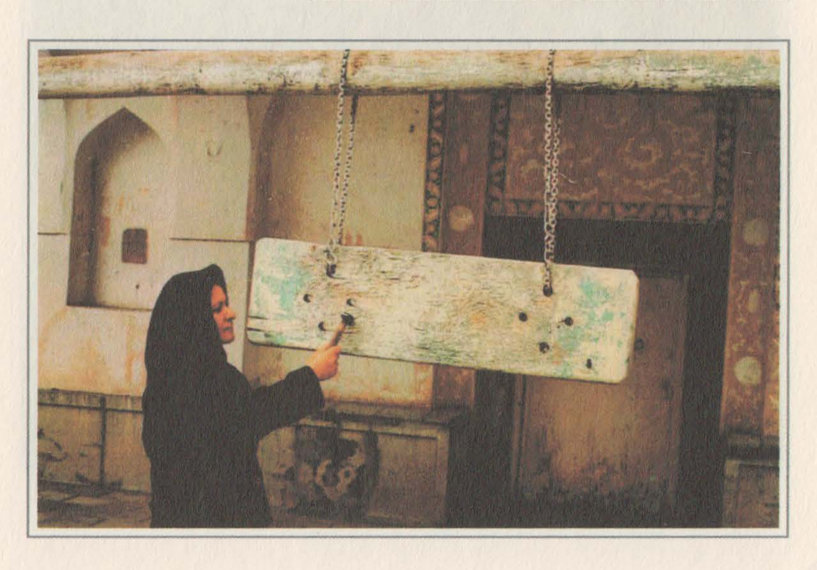
كاتدرائية وانك، منظر داخلي



كنيسة سانت نرسس في اصفهان

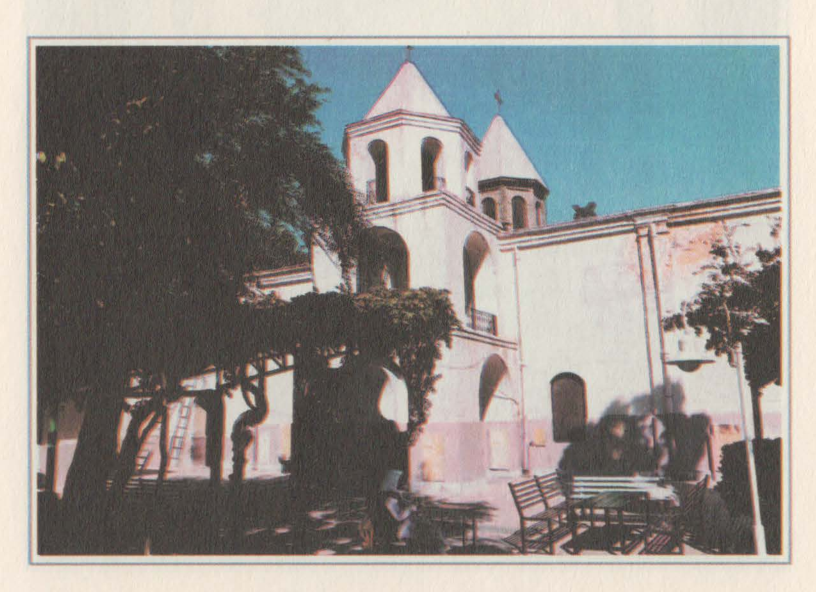


كنيسة سانت كاترينا في
اصفهان

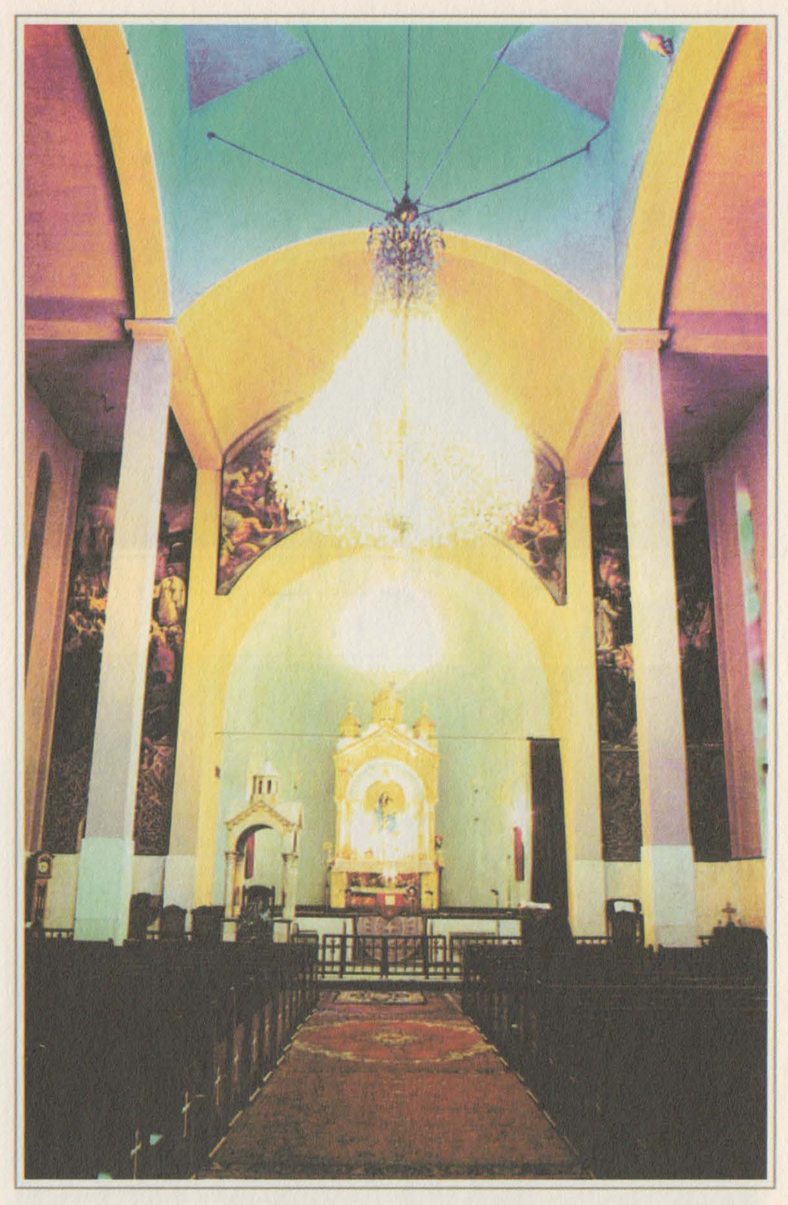




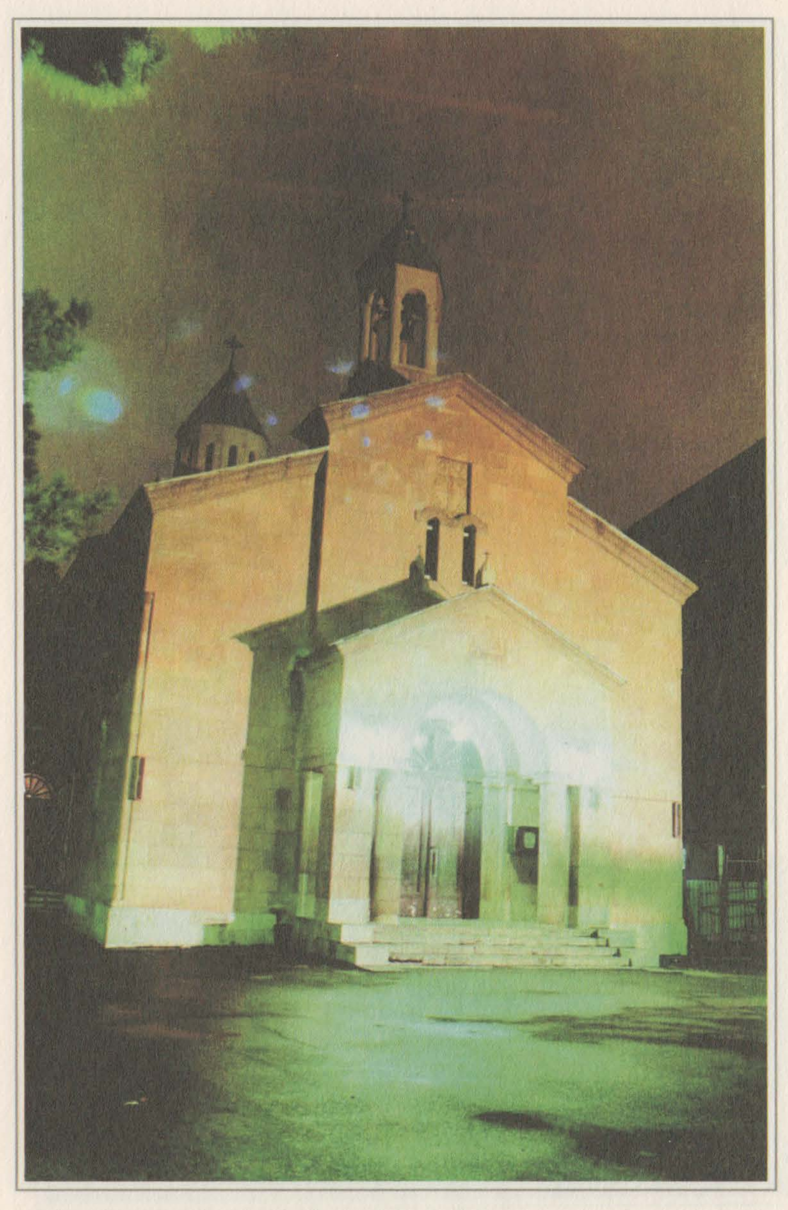
كنيسة سانت جورج في طهران



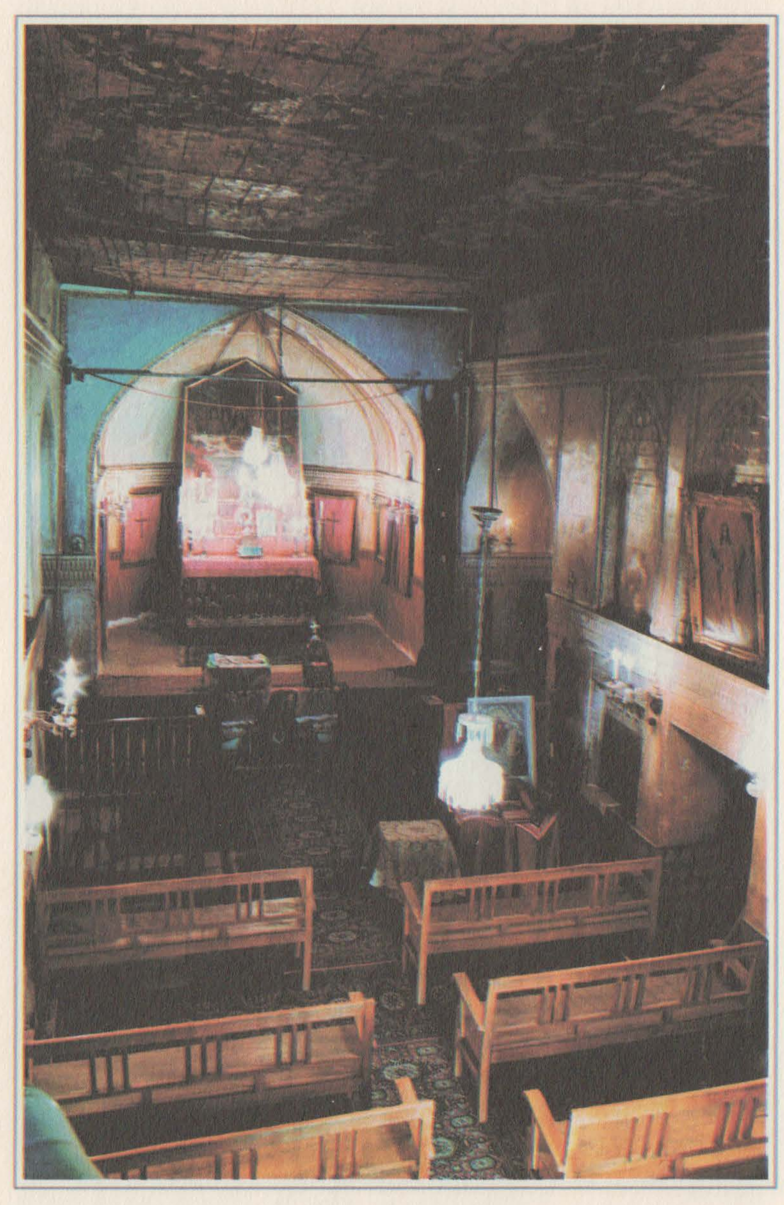
كنيسة سانت ماري: المحراب والكورس



كاتدرائية سانت سركيس في طهران



كنيسة السيدة مريم في طهران



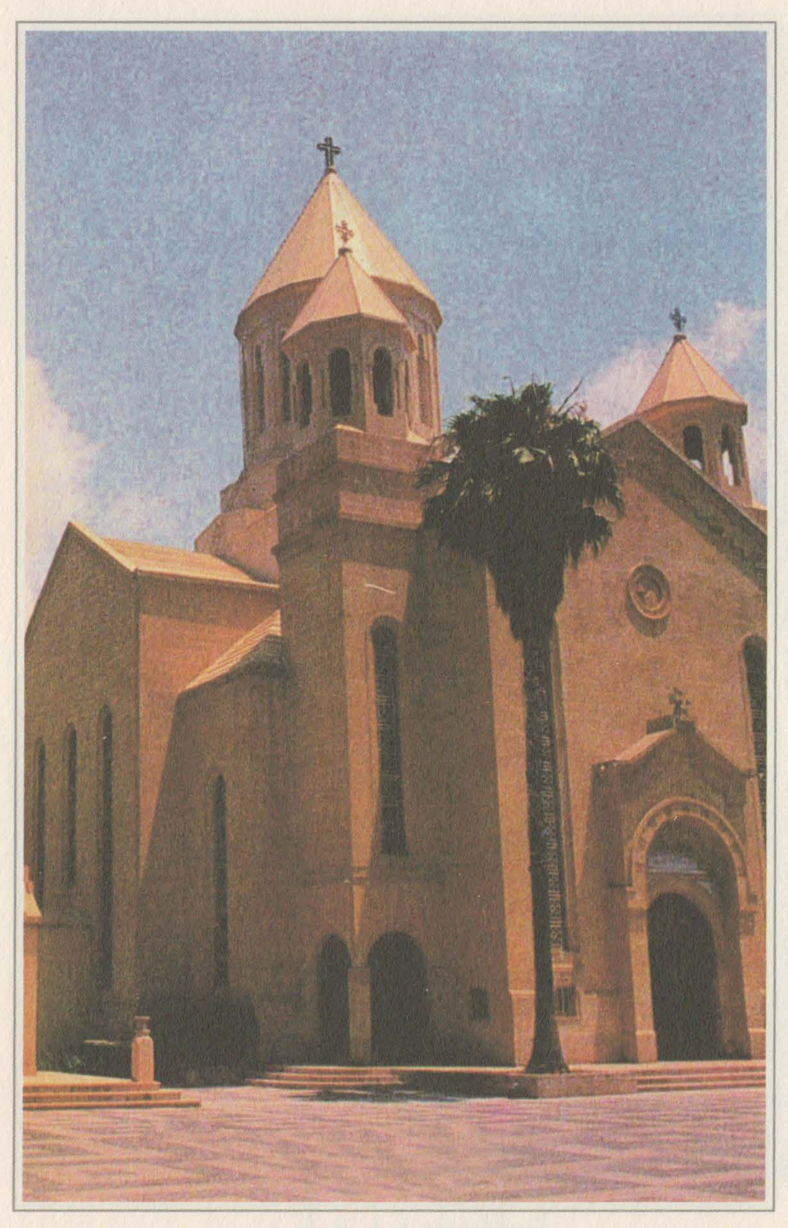
كنيسة السيدة مريم في شيراز



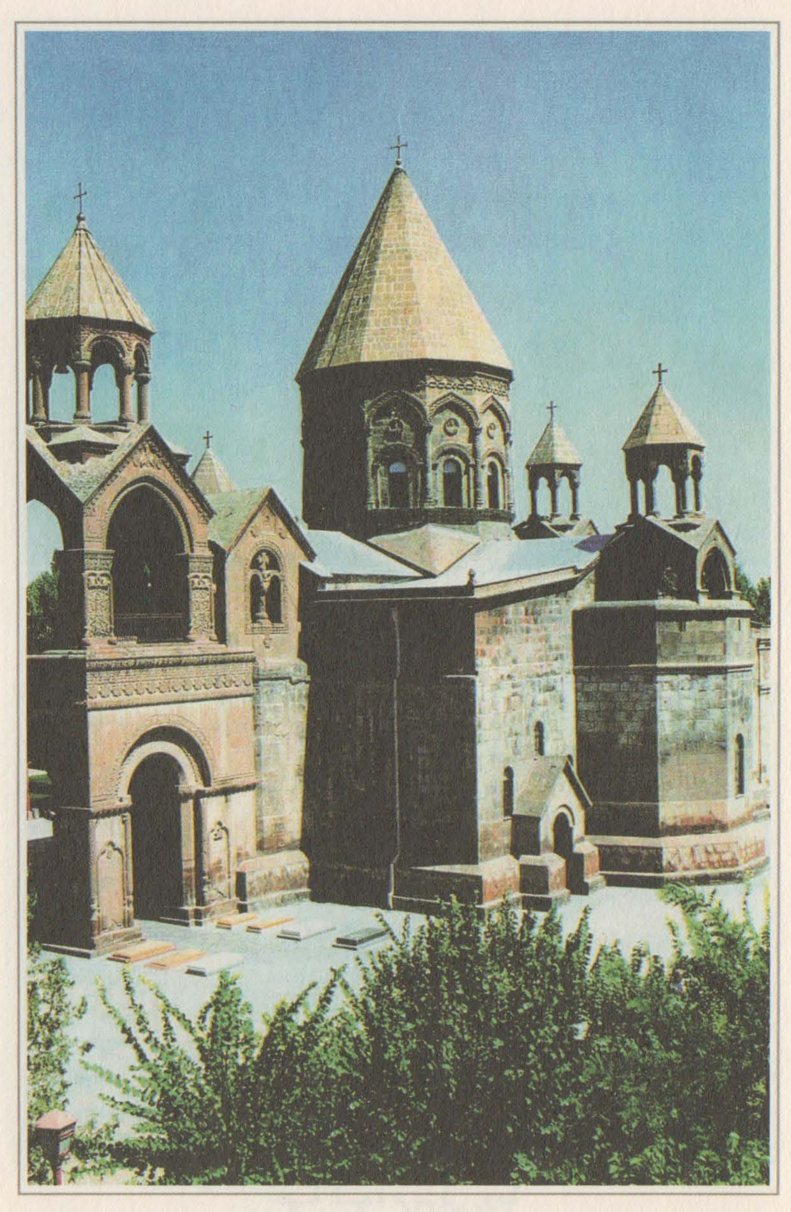
كنيسة سانت مسروب في رشت



كنيسة السيدة مريم في بندرانزلى



كنيسة سانت مسروب في رشت



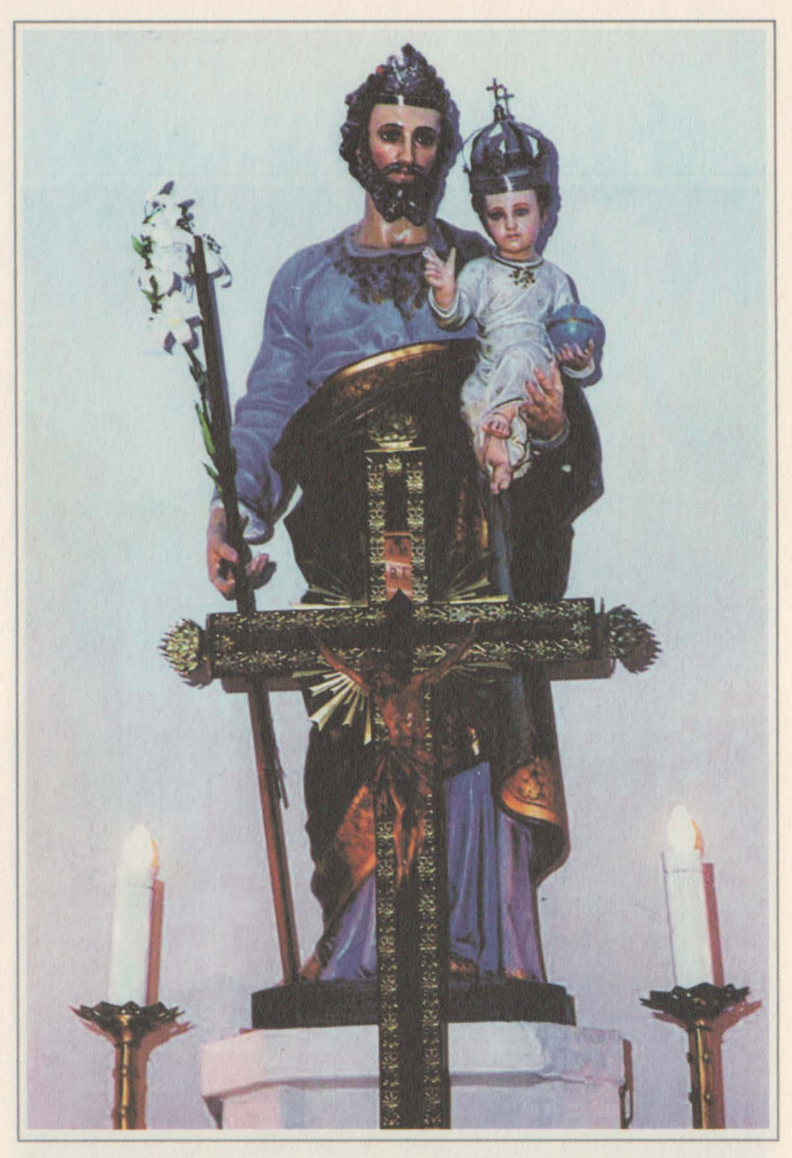
كنيسة سانت استيفان في اورومية



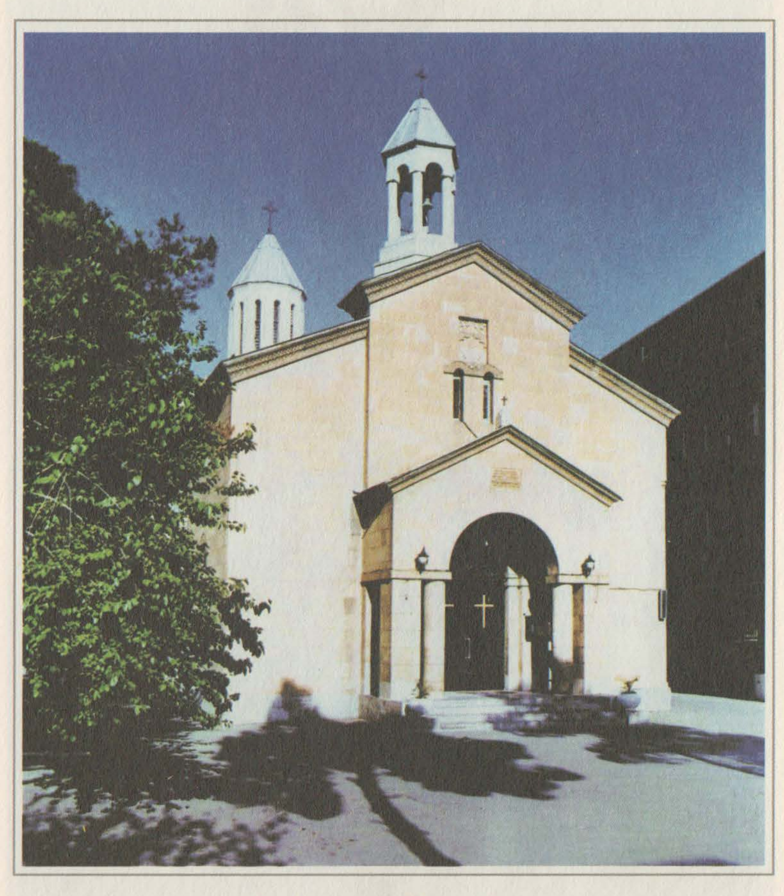
كنيسة سانت مسروب في الأهواز



كنيسة السيدة مريم في رومية



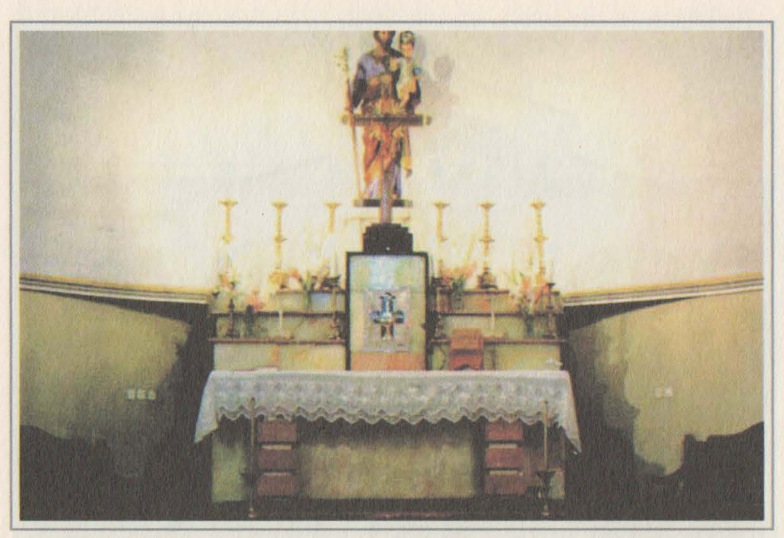
صورة مار يوسف: كاتدرائية الأشورية الكلدانية في طهران

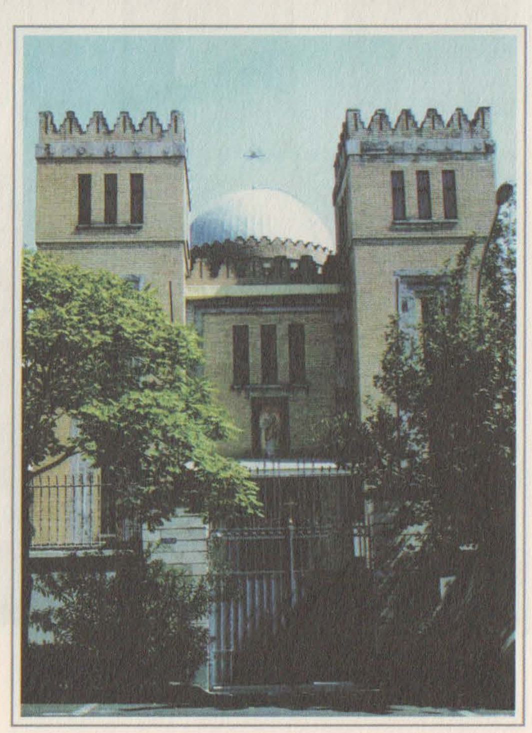


كنيسة مريم المقدسة في طهران

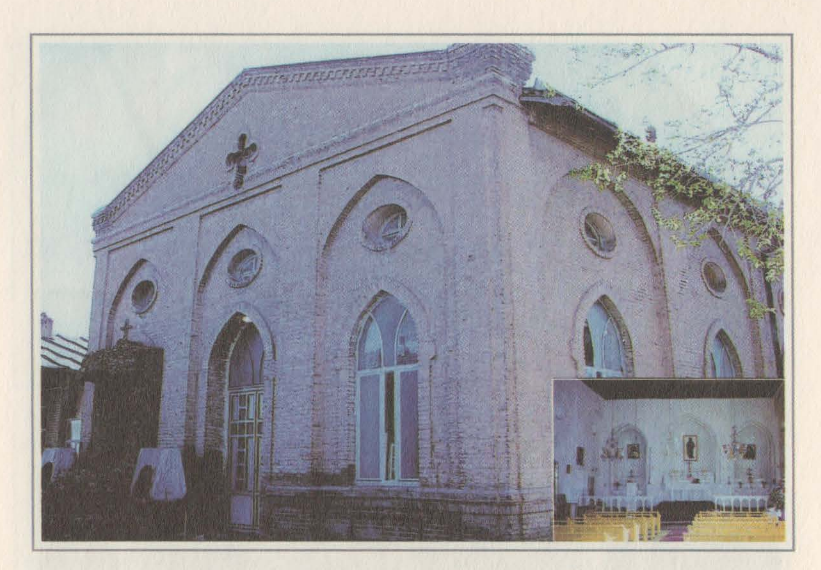


كنيسة وارطان الأرمنية

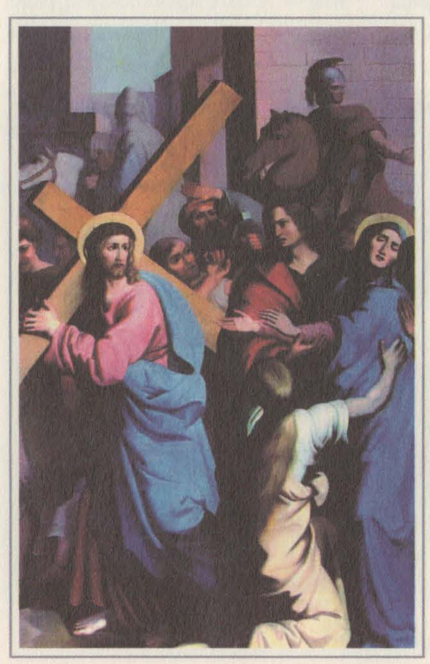




كنيسة القديس ماريوسف
في طهران



كاتدرائية قلب المقدس عيسى في كرمانشاه



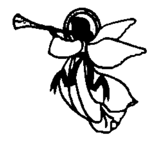
لوحة زيتية



الكتب الملونة



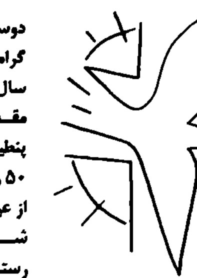




ماهنامهٔ کلیسای آشوری ـ کلدانی کاتولیک تهران

خرداد ماه ۱۳۸۷
می ۲۰۰۸

روح القدس منشاء شهادت مسیحیان



دوستان گرامی: هر سال کلیسای مقدس عید پنطیکاست را ۵۰ روز پس از عید با شکوه رستاخیز خداوندمان عیسای مسیح برگذار می کند ، در این عید مامسیحیان نزول روح القدس بر شاگردان را که در اورشلیم با حضرت مریم جمع شده بودند جشن می گیریم ، همچنین ما معتقدیم که در اثر این اتفاق آسمانی و اسرارآمیز کلیسا بوجود آمده و رسالت تبشیری خود را آغاز کرد ، در کتاب کارهای رسولان لوقای قدیس ما را از جزئیات این رخداد آگاه می سازد (اعمال رسولان باب ۲).

ایشان می فرمایند که پس از اینکه روح القدس به شکل باد شدید و زبانه های آتشی ظاهر شد و بر شاگردان مستقر گردید آنها قدرت یافته و مژده مرگ و رستاخیز عیسی مسیح را اول به یهودیان و سپس به دیگر ملل جهان اعلام کردند ، بدین صورت وعده خداوند عیسی که به آنها گفته بود: اما وقتی روح القدس بر شما نازل شود قدرت خواهید یافت و در اورشلیم و تمام یهودیه و سامره و تا دور افتاده ترین نقاط عالم شاهدان من خواهید بود تحقق یافت. (اعمال رسولان باب ۱ آیه ۸). چنانکه کتاب اعمال رسولان را با تعمق مطالعه کنیم می بینیم که نویسنده آن بر یک نکته بسیار مهم تأکید دارد و آن عبارت است از اینکه پیشرفت رسالت کلیسا و رساندن مژده انجیل به ملتها با مخالفین زیادی و دشمنان سرسختی مواجه شد که هم در جامعه یهودی و هم در جوامع ملتهای بیگانه و بت پرست پیدا شدند. برای مثال در "باب ۷ آیه ۵۴ تا ۶۰" صحبت از شهادت استیفان می باشد ، این مرد جوان و پر از روح القدس پس از اینکه درباره مسیح پسر خدا و نجات دهنده عالم سخنرانی طولانی ایراد کرد اعضای شورای یهود پر از خشم و کینه تصمیم به قتل او گرفتند و پس از اینکه او را از شهر بیرون انداخته سنگسارش نمودند. اما شهادت استیفان که اولین شهید مسیحیت است که با قدرت روح القدس زندگی خود را برای مسیح زنده تقدیم نمود نه فقط به رسالت بشارتی کلیسا آسیبی نرسانید بلکه آنرا بیشتر تقویت کرد تا جائیکه پس از شهادت او مژده انجیل به شهرهای دیگر نیز منتقل شد و بسیاری به نام مقدس مسیح ایمان آورده و نجات یافتند. همچنین می دانیم بر طبق اطلاعات تاریخی موثق دو تا رسول بزرگ کلیسا پطرس و پولس در شهر رم که در آن زمان ، یعنی قرن اول میلادی ، پایتخت بت پرستی بود به درجه رفیع و مقدس شهادت رسیدند و خون ایشان باعث شد تا

صورة عن صحيفة «بيام» التي تصدرها الطائفة الكلدانية الكاثوليكية في طهران.





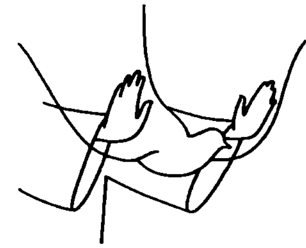


۴۴۹

ماهنامهٔ کلیسای آشوری ـ کلدانی کاتولیک تهران

اردیبهشت ماه ۱۳۸۷
آوریل ۲۰۰۸

ویژگیهای ظهورات مسیح برخاسته از قبر



دوستان گرامی: پس از اینکه در مراسم عید با شکوه رستاخیز خداوندمان عیسی مسیح شرکت کرده و از فیض آن بهره مند شدیم اکنون که در زمان ظهورات او به سر می بریم شما را دعوت می کنم تا در ویژگیهای این ظهورات و پیام ایشان تعمق کنیم. در آغاز باید گفت که ظهورات مسیح زنده پس از مرگش نشان محکم و بارز رستاخیز وی می باشد، چنانکه او پس از مرگ هرگز ظاهر نمی شد ایمان آوردن به زنده بودنش محال می بود با بررسی متون ظهورات مسیح بر طبق انجیل مقدس می بینیم که این ظهورات دارای چهار نکته مهم می باشند که عبارتند از:

۱- عطیه صلح و آرامش (رجوع شود به انجیل لوقا باب ۲۴ آیه ۳۶ و همچنین یوحنا باب ۲۰ آیه ۱۹ و ۲۶)
۲- تأکید بر اینکه مسیح برخاسته از قبر دارای جسم است و در جسم او جای زخمها دیده می شود (رجوع شود به انجیل یوحنا باب ۲۰ آیه ۲۰ و ۲۷)
۳- فرستادن رسولان به مأموریت (رجوع شود به انجیل یوحنا باب ۲۰ آیه ۲۱)
۴- وعده روح القدس (رجوع شود به انجیل یوحنا باب ۲۰ آیه ۲۲)

عطیه صلح و آرامش بر طبق کتاب مقدس نشانگر حضور خدا در زندگی ما می باشد و این حضور از روزیکه کلمه خدا یعنی (پسر او) انسان گردید عمیقتر و فراگیرتر شد، در شب میلاد فرخنده اش فرشتگان سرود صلح و آرامش بر زمین سرائیدند، همچنین در انجیل یوحنا باب ۱۴ آیه ۲۷ مسیح خطاب به شاگردانش می فرماید: «آرامش برای شما به جا می گذارم، من آرامش خود را به شما می دهم جهان نمی تواند آن آرامش را بطوری که من به شما می دهم بدهد، دلهای شما مضطرب نشود و ترسان نباشید». امروز نیز عیسای رستاخیز کرده به کسانیکه به او ایمان دارند صلح حقیقی و آرامش درونی را عطا می فرماید صلحی که جهان آشفته ما شدیداً به آن نیاز دارد. اما ویژگی دوم ظهورات عیسی زنده که بر رستاخیز جسم تأکید دارد بدین معنی است که جسم انسان نیز دعوت شده تا در روز آخر قیام کرده و از زندگی جاودانی برخوردار گردد. "انسان بینی" ما مسیحیان که ریشه در پیام کتاب مقدس دارد مبنی بر این باور است که همه مخلوقات و در رأس آنان انسان که بصورت و شمایل خدا آفریده شد فناپذیر نیستند بلکه پس از مرگ تغییر اساسی می یابند و از فیض نجات ابدی که عطیه مرگ و رستاخیز مسیح می باشد بهره مند خواهند شد. جهت توضیح بیشتر این مطلب رساله پولس به رومیان باب ۸ آیه ۱۹-۲۳ را مطالعه کنیم که در آن می گوید: «تمامی خلقت با اشتیاق فراوان در انتظار ظهور فرزندان خدا بسر می برد، زیرا خلقت نه به اراده خود بلکه به خواست خدا دچار بیهودگی شد، تا این امید باقی بماند که روزی خود آفرینش از قید فساد آزاد گردد و در آزادی پر شکوه فرزندان خدا سهیم شود، زیرا می دانیم که تمامی آفرینش تا زمان حاضر از دردی مانند درد زایمان نالیده است. نه تنها خلقت بلکه ما نیز که روح خدا را بعنوان اولین نمونه عطایای خدا دریافت کرده ایم در درون خود می نالیم و در انتظار آن هستیم که خدا ما را فرزندان خود بگرداند و کل بدن ما را آزاد سازد». در رابطه با جایگاه و ارزش بدن از دیدگاه

صورة عن صحيفة «پيام» التي تصدرها الطائفة الكلدانية الكاثوليكية في طهران.



ԱԼԻՔ

ՕՐԱԹԵՐԹ

روزنامه آليك

Հայ Յեղափոխական Դաշնակցութեան
30-րդ Ընդհանուր ժողովի յայտարարութիւնը

صورة عن صحيفة «آليك» التي تصدر باللغة الأرمنية عن الطائفة الأرمنية في ايران

المراجع

1 ـ أبونا (البير)، **تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام**، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، بيروت: دار المشرق العربي، 1992.

2 ـ أبونا (البير)، **تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من مجيء الإسلام حتى نهاية العصر العباسي**، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، بيروت: دار المشرق العربي، 1993.

3 ـ أبونا (البير)، **تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من العهد المغولي إلى مطلع القرن التاسع عشر**، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، بيروت: دار المشرق العربي، 1993.

4 ـ مالك خليل جوارو(ايشو)؛ ترجمة سليم واكيم، **الآشوريون في التاريخ**، بيروت: منشورات واكيم اخوان، 1962.

5 ـ حبي (يوسف)، **كنيسة المشرق الكلدانية ـ الآشورية**، الكسليك: مطبعة جامعة الروح القدس، 2001.

6 ـ فييه (جان موريس)، **القديسون السريان**، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.

7 ـ قاشا (سهيل)، التراث العربي المسيحي، حريصا: مطبعة معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، 1999 ـ 2000.

8 ـ بدر (حبيب)، سليم (سعاد)، أبو نهر (جوزيف)، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، الطبعة الأولى، بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط ـ برنامج الدراسات والأبحاث، 2001.

9 ـ السبكي (آمال)، **تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (1906 ـ 1979)**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1999.

10 ـ الجميل (سيّار)، **مدخل لفهم الأقليّات في الشرق الأوسط**،

11 ـ مقابلات خاصة مع مجموعة من الكهنة والمطارنة الموجودين في إيران.

وسائل الإعلام

12 ـ صادق (محمود)، صبوح سركسيان: **لا انتهاك لحقوق الأقليّات في إيران**، الوطن العربي، عدد 1247، 25/ 6/ 2004.

13 ـ ساسين (جورج)، **الأرمن الإيرانيون يمارسون طقوسهم بحرية**، الوطن العربي.

14 ـ برنامج من طهران، قناة العالم، 2007.

15 ـ مجلة المشرق، سنة 15، 1912 .

16 ـ وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية في إيران (ارنا).

16



Center of Civilization for the
Development of Islamic Thought

THE CONTEMPORARY IRANIAN THOUGHT SERIES

CHRISTIANITY IN IRAN
Its History and Present

من هم المسيحيّون الإيرانيّون؟ وكيف ومتى نشأت الكنيسة الإيرانيّة، وكيف تطوّرت وتوسّعت؟ وهل هم اليوم أقليّة مضطهدة أم جزء من الشعب الإيرانيّ في وحدةٍ متجانسةٍ مع سائر مكوّنات الشعب الإيرانيّ؟

أسئلة حملناها وبحثنا عنها في المراجع التاريخيّة طلباً للإجابة عنها على الرغم من قلّة المصادر المتاحة... فالمسيحية هي بنت الشرق، انطلقت من فلسطين وبشّر بها الرسل باتجاه الشرق والغرب من إيران في "الإمبراطورية الفارسية" وانتشرت بعدها باتّجاه الهند وآسيا عامّةً، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل لماذا انتشرت المسيحيّة وعُرفت أكثر في الغرب، وأصبحت الدين الرسميّ فيه؟ ولم تنتشر بالقدر نفسه في الشرق الذي وُلِدت فيه رغم تباشير الرسُل في أصقاعه كافّةً؟

لقد تراجعت المسيحيّة في الشرق لأسباب ذاتيّة عدّة، ولتنامي وصعود التيارات الدينية الأخرى في هذه المنطقة، تبقى الإشكالية الأبرز في مجال الكتابة عن المسيحيّة في إيران هي ندرة المصادر والمراجع فعسى أن يكون هذا الكتاب مساهمة متواضعة على هذا الصعيد...

ISBN 978-9953-538-09-9



مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

بيروت – لبنان – بئر حسن – شارع السفارات – بناية الصباح – ط ٢

هاتف: 826233 1 961+ – فاكس: 820378 1 961+ - ص.ب: 25/55

E-mail:info@hadaraweb.com - www.hadaraweb.com